



الجامعة الأمريكية المفتوحة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

الفلسفة الغربية

عَرْضٌ وَنَقْضٌ

إِعْدَادُ
د. طاهر مصطفى نصار
رئيس باحث بالجامعة الأمريكية المفتوحة

المطبعة الأولى

٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ

حقوق الطبع محفوظة
للجامعة الأمريكية المفتوحة

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى الدارس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الإخوة والأخوات طلبة وطالبات الجامعة الأمريكية المفتوحة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....وبعد

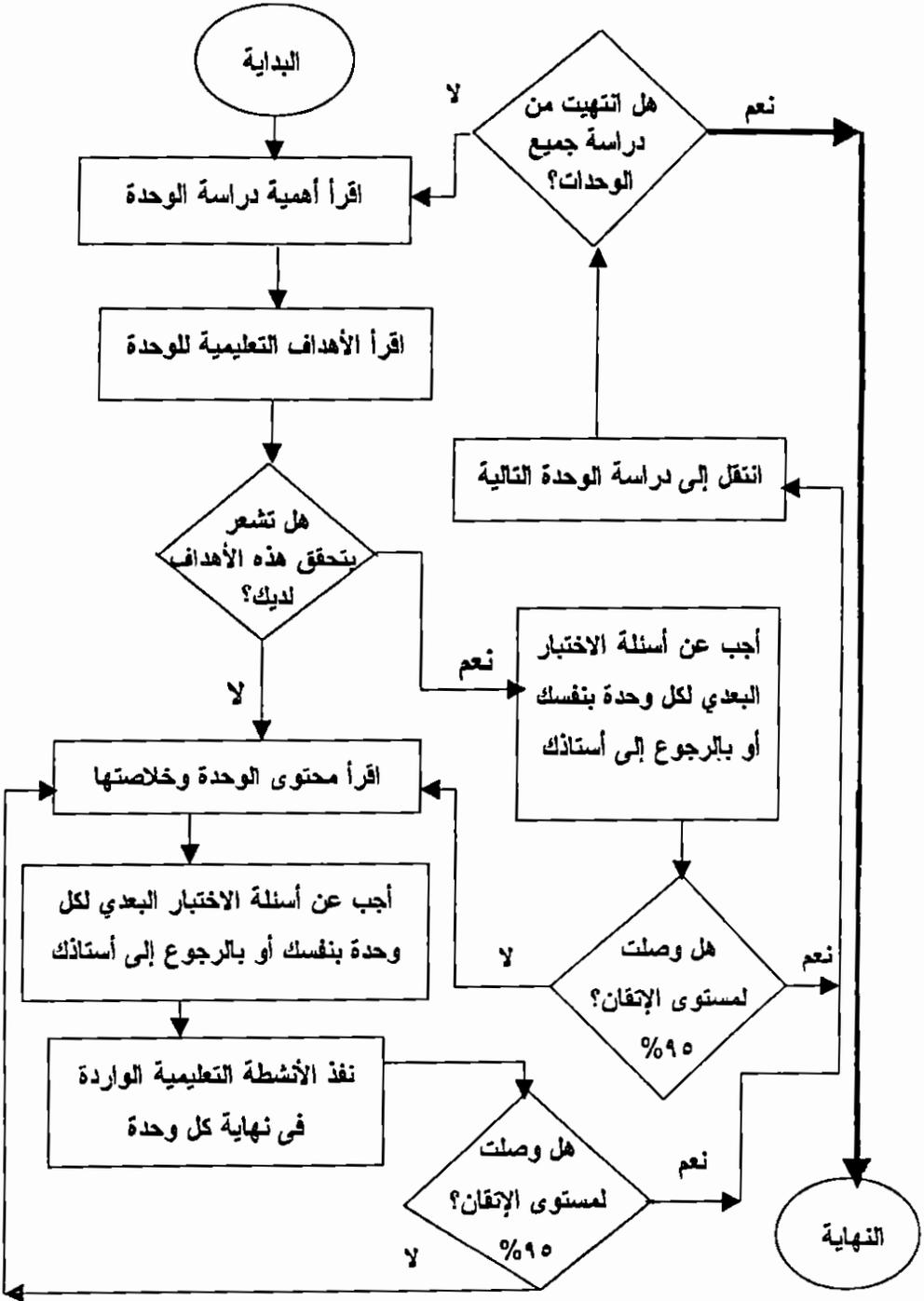
فمرحباً بكم على طريق التفقه في الدين، وأهلاً بكم أوفياء لدينكم في زمن الغربة
الثانية للإسلام، ونزف إليكم بشرى إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ أن: "من يرد الله به
خيراً يفقهه في الدين"^(١)، وأن الملائكة تضع أرحمتها لطالب العلم رضا بما يفعل، وأن
من سلك طريقاً يتغي فيه علماً يسر الله له به طريقاً إلى الجنة.

عزيزي الدارس... عزيزتي الدارسة، يطيب لنا أن نلتقي بكم مجدداً في مرحلة
السبكالوريوس مع مقرر الفلسفة الغربية. وقد تم إعداد هذه المادة وتنظيمها في صورة
وحدات تضم فصولاً، تحتوي كل وحدة على عناصر أساسية هي: (ممرات دراسة
الوحدة - الأهداف التعليمية - الرسومات الخطية - الاختبار البعدي - الأنشطة
التعليمية).

وإننا لنوصي إخواننا وأخواتنا - طلبة الجامعة - بأن يسيروا في دراسة هذا المقرر وفقاً
لنظام تصميم الوحدات الذي أعد به هذا الكتاب وذلك حتى يتحقق أكبر قدر من
الاستيعاب والفائدة، والله - تعالى - هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) رواد البحاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم: ٦٩، ومسلم، كتاب

الزكاة، باب: النهي عن المسألة، حديث رقم: ١٧٢١



مكونات الكتاب

لمحة عن تاريخ الفلسفة الغربية.

سمات الفلسفة الغربية.

قضية التأثير والتأثر بين المسلمين وفلاسفة الغرب.

الفلسفة التجريبية الحديثة.

الفلسفة العقلية الرياضية الحديثة.

الفلسفات الأوربية المعاصرة.

توضيح لأهم مصطلحات الماركسية والشيوعية.

مصادر الماركسية والشيوعية ونشأتها وأعلامها.

المادية الجدلية والمادية التاريخية.

الإنسان والدين في نظر الماركسيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ... وبعد:

إن القرآن العظيم قد انتهج منهجاً قوياً في دعوة الناس إلى الدين الحق؛ دين الإسلام؛ وإبطال الأديان الأخرى المنحرفة، وكان هذا المنهج قائماً على الأسس الآتية:

أولاً: الدعوة الصريحة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ مع الكفر بالطاغوت الذي يعبد من دون الله عز وجل؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

ثانياً: مخاطبة العقول عند إثبات أصول الإيمان؛ مع التنبيه على أن هذه الأصول تقر بها الفطر السليمة، وتحفو إليها النفوس الصافية، وتنفعل معها الوجدانات الصادقة؛ كما قال سبحانه في إثبات الوجدانية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]، وقال عز وجل في إثبات البعث: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمن: ١١٥ - ١١٦].

ثالثاً: عرض عقائد الكفار الباطلة؛ مع ذكر أدلتهم، ثم نقضها وتفنيدها بطريقة عقلية بارعة؛ ليكون في ذلك إقناع للكفار عسى أن يتوبوا ويتركوا هذه العقائد ويدخلوا في الدين الحق، وتثبيت للمؤمنين على الصراط المستقيم، وتعليم للدعاة إلى الله

الأسلوب الأمثل في مناقشة العقائد المنحرفة وإثبات بطلانها؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُذِّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

ولا شك أننا نحتاج إلى هذا المنهج القرآني السديد عند عرض ونقض التيارات الغربية في العصر الحديث؛ تلك التيارات التي اشتملت على كثير من الأباطيل والمناقضات للفطرة والعقل والعلم والتاريخ والواقع - أيضاً..

لذلك لم أكتفِ في هذا المقرر بمجرد عرض ووصف للمذاهب الغربية الحديثة والمعاصرة؛ بل أتبع كل مذهب بنقد أو نقض من منظور إسلامي؛ حتى يكون الميزان الذي نزن به هذه الفلسفات، والفرقان الذي نميز به ما اشتملت عليه تلك المذاهب من حق أو باطل؛ هو الدين الخاتم الذي لم ينله تحريف ولا تبديل؛ ولا يكون ذلك حتى قيام الساعة.

وقد قسمت هذا المقرر إلى ثلاثة أقسام:

- اشتمل القسم الأول على تاريخ الفلسفة الغربية وجذورها ونشأتها، وسمات قسماها: الفلسفة الحديثة، والفلسفة المعاصرة، وقضية التأثير والتأثر بين المسلمين وفلاسفة الغرب.

- وعرض القسم الثاني أهم تيارات الفلسفة الغربية وأبرز شخصياتها؛ وهي: الفلسفة التجريبية الحديثة، والفلسفة العقلية الرياضية الحديثة، وأشهر وأخطر الفلسفات المعاصرة؛ وهي: المثالية، والوضعية، والنفعية، والذرائعية (البرجماتية)، والجنسية الفرويدية، والوجودية.

- وفصل القسم الثالث في الحديث عن الماركسية الشيوعية- لما لها من أثر إichادي كبير على معظم دول العالم؛ وذلك بتوضيح مصطلحاتها وتحديد مفاهيمها، وبيان مصادرها ونشأتها والتعريف بأعلامها، وشرح المادية الجدلية؛ تلك الفكرة الغامضة التي فلسفت الإلحاد وجعلت له كياناً رسمياً في العالم؛ وكذلك ما بني على هذه الفكرة من فكرة المادية التاريخية ومراحل التاريخ المادي، وذكر موقف الماركسيين من الإنسان والأديان بصفة عامة؛ والدين الإسلامي بصفة خاصة.

- وقد نهت على دور اليهود في مساندة وتدعيم ونشر المذاهب الغربية الهدامة؛ مثل: الوضعية الاجتماعية، والجنسية الفرويدية، والوجودية الإلحادية، والماركسية المادية الشيوعية؛ وبيت أن غرضهم من إشاعة أفكار هذه الفلسفات المضلة هو تهيئة الشعوب لسيطرة صناديد الصهيونية على العالم، واستعبادهم لغير اليهود.

وأخيراً أدعوك - عزيزي الدارس - إلى مذاكرة هذا المقرر بجد واجتهاد وذهن حاضر؛ حتى تلم بأراء وأفكار الفلسفات الغربية الحديثة والمعاصرة، وتندرب على طريقة القرآن في نقد ونقض مثل هذه التيارات الخطرة على المسلمين - خصوصاً، وسكان الأرض - عموماً؛ سائلاً الله تعالى لك العون والتوفيق والسداد. هذا.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

والصلاة والسلام على النبي وآله.

القسم الأول

نشأة الفلسفة الغربية وسماتها

وموقف المسلمين منها



الوحدة الأولى

لمحة عن تاريخ الفلسفة الغربية

مبررات دراسة الوحدة الأولى:

دائمًا.. لكل فكر أو مذهب جذور تضرب في أعماق التاريخ، ومنابع منها يستمد مادته ونشأته، وتطورات تعتره من حيث النشأة حتى النضوج والازدهار. والفلسفة الغربية هي مجموعة المذاهب الفكرية التي ولدت في أوروبا في العصر الحديث، وماتت أو استمرت حتى يومنا هذا، وهي - كأى فلسفة أو فكر - قد نشأت كنتيجة حتمية لظروف مثيرة تواجدت في أوروبا المسيحية بسبب توالي أحداث تاريخية من عهد اليونان والرومان حتى القرون الوسطى..

ولكن الملفت للنظر - بالنسبة لهذه الفلسفة - أنها قد جاءت مواكبة لنهضة أوروبا العنمية؛ بل كانت بعض المدارس الفلسفية الحديثة تنادي بهذه النهضة؛ ثم انتكست بعد ذلك؛ وكلما تقدمت أوروبا علميًا تدهورت فكريًا وأخلاقيًا؛ حتى غدت هذه الفلسفة بما تحويه من أفكار هدامة تشكل خطرًا رهيبًا على العالم كله عمومًا، وعلى المسلمين - خصوصًا.

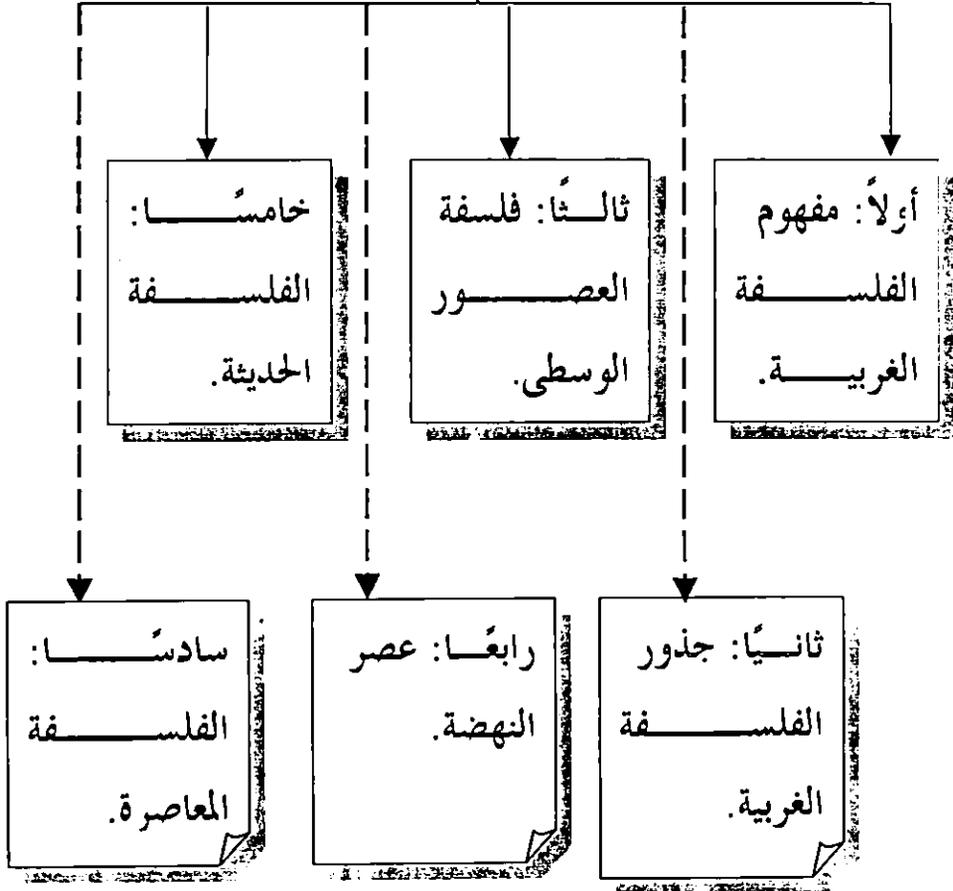
لذلك ينبغي لطالب العلم أن يلم بتاريخ الفلسفة الغربية، وأن يعلم منابعها وظروف نشأتها، والأحداث التي واكبت تطورها؛ حتى يمكنه معرفة سلباتها، والقيام بنقدها بطريقة منهجية صحيحة.

من أجل ذلك أدعوك - عزيزي الدارس - إلى مذاكرة هذه الوحدة بجد واجتهاد؛ مستعينًا بالله تعالى.

الأهداف التعليمية للوحدة الأولى:

- عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:
- ١- تعرّف الفلسفة وتبين مفهومها عند القدماء والمحدثين.
 - ٢- تذكر أقسام الفلسفة عمومًا.
 - ٣- تبين جذور الفلسفة الغربية.
 - ٤- تقارن بين فلسفة العصور الوسطى وفلسفة عصر النهضة.
 - ٥- توضح كيف نشأت الفلسفة الحديثة في أوروبا.
 - ٦- تذكر الأحداث المواكبة للفلسفات المعاصرة.

الوحدة الأولى: لمحة عن تاريخ الفلسفة الغربية



لمحة عن تاريخ الفلسفة الغربية

الوحدة الأولى

قبل الحديث عن تاريخ الفلسفة الغربية أرى أنه من الأهمية توضيح المقصود بالفلسفة الغربية، وهل اختلف عن مفهوم الفلسفة عند القدماء - كفلاسفة اليونان مثلاً - أم ظل كما هو من غير تغيير؛ ثم بعد ذلك أمهد لتاريخ الفلسفة الغربية بإعطاء فكرة عن الفكر اليوناني، والفكر الفلسفي المسيحي.. وبيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: مفهوم الفلسفة الغربية:

(أ) معنى "فلسفة": هي كلمة معربة عن اليونانية، وهي في الأصل مكونة من

مقطعين:

- ١- "فيلاً" أو "فيلو" بمعنى الإيثار، وجعلها فيثاغورث بمعنى الحجة.
- ٢- و"سوفيا" بمعنى الحكمة. فيكون - بذلك - معنى الفلسفة: هو محبة الحكمة أو إيثار الحكمة، والفيلسوف: هو محب الحكمة أو مؤثر الحكمة، ومن ثم أصبح يطلق على الفيلسوف "الحكيم"^(١).

(ب) الفلسفة الغربية: كانت الفلسفة عند أرسطو - ومعظم فلاسفة اليونان ومن سار على نهجهم - مرادفة للعلم بمعناه الواسع العام؛ لذلك كانوا يدرجون تحت مسمى الفلسفة: الفيزياء والرياضيات والفلك والطب وغير ذلك من العلوم؛ لأن معنى الفلسفة في العصور القديمة هو البحث في طبائع الأشياء وحقائق الموجودات، والرغبة في معرفة العلل البعيدة والمبادئ الأولى، وجعل أرسطو غاية البحث الفلسفي هو كشف

(١) انظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة - د. محمد عبد الله الشرفاوي - ط مكتبة الزهراء: ص ٦، منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية الحديثة والمعاصرة في الجامعة - د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني - بحث في الفكر الفلسفي - إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي: ص ٦٩، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - د. مانع بن حماد الجهني - ط دار الندوة العلمية: ١١١٨/٢.

الحقيقة لذاتها بصرف النظر عما يترتب عليها من نتائج وآثار عملية تطبيقية.

لكن العلماء والمفكرون في أوروبا في العصر الحديث قد نبذوا مفهوم فلاسفة اليونان وراء ظهورهم، وأخرجوا العلوم التحريبية الطبيعية من مسمى الفلسفة؛ حتى تمرت هذه العلوم على سلطان الفلسفة، وانشقت عنها، وزاحتها مزاحمة شديدة؛ على الحد الذي أجمرت معه الفلسفة على أن تبحث لها عن موضع قدم تقف فيه إلى جانب هذه العلوم التي كانت في بطنها من قبل .

ولئن كانت الفلسفة في العصور القديمة معنية بالبحث في الوجود بما هو موجود، وأداتها العقل وحده؛ فإن فلاسفة العصر الحديث قد تطلّعوا إلى إنشاء فلسفة جديدة؛ أقامها أصحاب الاتجاه العقلي الرياضي على العقل، وأقامها أصحاب الاتجاه التحريبي على الملاحظة والتجربة، ثم تفرّعت وتشعبت؛ إلا أنها في الغالب ترفض فكرة ما وراء الطبيعة أو الغيبات^(١).

(ح) تقسيم الفلسفة الغربية تاريخياً: نستخلص مما سبق .. أن الفلسفة الغربية هي الفكر الذي أحدثه المفكرون الأوروبيون في العصر الحديث، والذي يقوم على نبذ الآراء اليونانية القديمة، والجنوح إلى الحس والمادة والطبيعة، ورفض الغيبات وما وراء الطبيعة.

وقد درج الباحثون على تقسيم الفلسفة - عموماً - إلى:

- ١- الفلسفة الشرقية القديمة؛ وتطلق على فلسفات الصينيين والهنود واليابانيين؛ وقد يدخل فيها بعض الباحثين فلسفة المصريين القدماء.
- ٢- الفلسفة الإغريقية أو اليونانية، وقد يطلق عليها الفلسفة القديمة.
- ٣- الفلسفة الإسلامية أو العربية، وتطلق على فلاسفة المسلمين مثل: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد؛ وبعض الباحثين يدخل في مجالها علم الكلام والتصوف عند المسلمين.

(١) انظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٣٢ - ١٣٤، منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية: ص ٧٢.

٤- فلسفة العصر الروسيط أو العصور الوسطى؛ وهي امتداد للفلسفة اليونانية مع تأثر ببعض الأديان كالمسيحية.

٥- الفلسفة الحديثة؛ وهي البداية الحقيقية للفلسفة الغربية.

٦- الفلسفة المعاصرة؛ وهي الامتداد للفلسفة الغربية في العصر الحديث، والتطور الطبيعي لمنهجها الحسي المادي^(١).

- وبذلك يتبين لنا أن الفلسفة الغربية تنقسم من الناحية التاريخية إلى قسمين:

الفلسفة الحديثة، والفلسفة المعاصرة؛ ولهذين القسمين جذور ترجع إلى الفلسفة اليونانية.. وهذا ما سيتضح في العرض التاريخي المختصر في النقاط التالية..

ثانياً: جذور الفلسفة الغربية (الفلسفة اليونانية

المسيحية): [ما قبل القرن الرابع الميلادي]:

بدأت الفلسفة في القرن السادس قبل الميلاد على يد طاليس ومدرسته؛ الذي كان أول من تساءل عن الأصل الذي صدرت عنه الأشياء كلها، ثم ظهرت المدرسة الفيثاغورية والمدرسة الإيلية، وتعددت المدارس الإغريقية حتى نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد، ثم ظهر سقراط الذي نقل الفلسفة إلى أثينا، ثم أخذت تتطور وتتمو على يد أفلاطون وتلميذه أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.)، وقد لقب أرسطو بالمعلم الأول لشدة ثقافته، وذاع صيته، وجعلته الأسرة الحاكمة آنذاك معلماً للإسكندر الأكبر الذي غزا الشرق ووصلت جيوشه إلى حدود الهند ثم قفل راجعاً ومات في الطريق سنة (٣٢٣ ق.م.).

(١) انظر: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - د. يوحنا سكي - ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي - منشورات جامعة قاريونس بنغازي: ص ٢٧ - ١، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ٨-١٦، ١٨، ٥٩، ٨٩، ١٣١.

ومنذ غزو الإسكندر للشرق بدأت ثقافة جديدة وحضارة جديدة في الظهور؛ وهي التي سميت باسم العصر الهلنستي، وأبرزت فلسفة عرفت فيما بعد بالفلسفة الهلنسية؛ التي تعد مزيجاً من حضارة الشرق القديم وفلسفة اليونان، وقد انتشرت هذه الفلسفة مع قواد الإسكندر - الذين تقاسموا تركته من بعده - في أنطاكية، ومصر في عهد البطالسة، واستمرت حتى ظهر المسيح - عليه السلام - في فلسطين؛ وكان الحكم - وقتئذٍ - للرومان، والسلطة الدينية لليهود؛ الذين تأمروا على المسيح، وألبوا الرومان عليه؛ ثم رفعه الله تعالى إليه، ومن هنا بدأ صراع بين أباطرة الرومان والمسيحية الوليدة استمر ما يقرب من أربعة قرون، وانتهت هذه الفترة في القرن الرابع الميلادي عندما اعتنق الإمبراطور قسطنطين الأول (ت ٣٣٧م) الديانة المسيحية وهو على فراش الموت، وأصبحت المسيحية منذ ذلك التاريخ الديانة الرسمية لروما بعد أن ظلت ديانتها وثنية في العصور السابقة.

ومنذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن الرابع عشر والكنيسة تسيطر على أوروبا سيطرة كاملة؛ وهذه الفترة هي ما تسمى بالعصور الوسطى؛ التي اجتمع فيها الفكر الأرسطي، والشعائر الوثنية الموروثة عن الرومان القدماء، والديانة المسيحية المتأثرة بوثنيات الرومان واليونان، والتطورات التي طرأت على فلسفة أرسطو بسبب جهود الفلاسفة المسلمين - وخاصة ابن رشد^(١).

ثالثاً: فلسفة العصور الوسطى: [من القرن الرابع حتى القرن الرابع

عشر الميلادي]:

اتسمت فلسفة العصر الوسيط بسمات بالغة الأهمية؛ كان لها أكبر الأثر في

(١) انظر: الفلسفة الحديثة والمعاصرة - د. إمام عبد الفتاح إمام - ط دار الثقافة: ص ٢ - ٧، منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوروبية: ص ٦٩، ٧٠.

- ظهور أفكار ومذاهب عديدة في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة؛ من هذه السمات:
- ١- سيطرة فلسفة أرسطو التي انتقلت إلى أوروبا ممتزجة بجهود الفلاسفة المسلمين أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، وكانت القضية الشاغلة لهؤلاء الفلاسفة الإسلاميين هي التوفيق بين الدين والفلسفة، فلما نشطت حركة ترجمة الكتب العربية في أوروبا حرص الأساتذة المسيحيون على قراءة وتدریس كتب أرسطو وما عليها من شروح للفلاسفة المسلمين - وخاصة شروح ابن رشد.
 - ٢- قوي الاتصال بشكل ملحوظ بين الفكر المسيحي وفكر الملقين بفلسفة الإسلام؛ حيث تطلعت أوروبا إلى الفكر الإسلامي لما رأت فيه من نضوج كانت في حاجة إليه.
 - ٣- برز بعض الفلاسفة المسيحيين الذين ساروا على نهج الفلاسفة المسلمين في محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة؛ وكان من أشهرهم القديس توما الإكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤م)؛ الذي لاءم بين المسيحية وفلسفة أرسطو أو بين المسيح وأرسطو، وأصبح مذهبه اللاهوتي القائم على دعائم من فلسفة أرسطو مذهباً رسمياً للكنيسة الكاثوليكية منذ ذلك الحين إلى عهد الفلسفة الحديثة.
 - ٤- أحدث الربط بين العقائد المسيحية ومذهب أرسطو قيماً على الفكر الأوربي زمناً ليس بالقصير، وأصبحت الفلسفة في أوروبا تفهم على أنها خادمة للدين، وغدا اللاهوت فلسفة، والفلسفة لاهوتاً، وأقامت الكنيسة محاكم التفتيش للتنكيل بأصحاب الآراء والنظريات العلمية الجديدة التي تخالف آراء الكنيسة، وكانت عقوباتها تصل - أحياناً - إلى حد حرقهم أحياء؛ وما ذلك إلا لأنهم خالفوا ما هو مأثور عن أرسطو من نظريات؛ فكانت مخالفة أرسطو في نظر الكنيسة خروجاً على العقائد المسيحية، وهكذا كانت الكنيسة سلطة ظالمة رهيبة تقف عائقاً أمام أي تقدم فكري أو علمي.

٥- لم تتحكم الكنيسة في فكر الناس واعتقادهم فحسب؛ بل نصبت نفسها - كذلك - إلماً يغفر لمن يشاء عن طريق صكوك الغفران التي تغفر الخطايا الماضية والمقبلة - أيضاً - التي لم يرتكبها المرء بعد.

٦- ظهور النظام الإقطاعي في هذا العصر بسبب كثرة الحروب، وتقريب الملوك لقوادهم بإقطاعهم بعض الأراضي الزراعية، وكذلك - حتى يستتب الأمر لهؤلاء الملوك - كانوا يهادون رجال الكنيسة والأديرة بمساحات شاسعة من الأرض؛ مع إعفائهم من الضرائب التي كانوا يرهقون بها باقي الشعب الفقير، فولد ذلك في نفوس المفكرين الأحرار الكره لرجال الكنيسة من جهة، والنقمة على فلسفة أرسطو ومتبعيها من جهة أخرى.

٧- كانت آراء الكنيسة عن الطبيعة ساذجة لا تتوافق مع إعطائها هذه الهالة الدينية المهيبة؛ فعلى سبيل المثال: كان البناء السماوي قائماً - في معتقد الكنيسة - على ما جاء في التوراة من القول بأنه قبة صلبة القوام، ركبت فوق الأرض، وأن الأجرام السماوية أضواء معلقة فيها، وأعلن القديس فلاسطوريوس - في مقاله المعروف عن الهرطقة - أن إنكار القول بأن الله تعالى يجلب الأجرام السماوية من خرائثه كل ليلة ليلقها في السماء إلحاد وجريمة اعتقادية يعاقب عليها من قبل الكنيسة^(١).

- كل ذلك كان يزيد من حنق العلماء الطبيعيين والمفكرين الأحرار على الكنيسة ورجال الدين، ويجعلهم يحلمون باليوم الذي يتخلصون فيه من ربة استعباد القديسين والإقطاعيين، وكذلك غرس في نفوسهم كره هذا الدين الذي يضاد

(١) انظر هذه السمات في: آفاق الفلسفة - د. فؤاد زكريا - ط (١) دار التنوير: ص ٢٢، ٢٣، الفلسفة الحديثة عرض نقدي - د. كرم مكي - منشورات جامعة قارونس بعازي: ص ١٠ - ١٢، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٥، ٦، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٠٤ - ١٠٦، منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية: ص ٧٠.

العلم والفكر الصحيح من كل وجه.

- ولا شك أن هذه السمات كان لها كبير الأثر - فيما بعد - في ظهور المدارس التجريبية والمذاهب المادية الإلحادية؛ كما سيتضح عما قليل.

وابعاً: عصر النهضة: [من منتصف القرن الخامس عشر حتى أواخر القرن

السادس عشر الميلادي]:

تعددت الأسباب التي جعلت أوروبا تخرج من ظلام القرون الوسطى الدامس إلى

عصر النهضة؛ ويمكن حصرها في الأسباب التالية:

السبب الأول: سقوط القسطنطينية عام (١٤٥٣م): يعد سقوط القسطنطينية

من أكبر الأسباب التي أدت إلى نمضة أوروبا علمياً وفكرياً؛ حتى درج كثير من المؤرخين على اعتبار هذا الحدث نهاية للعصور الوسطى وبداية لعصر النهضة؛ وذلك لأن حركة ترجمة الكتب العربية قد نشطت في القرن الثالث عشر الميلادي مما جعل المفكرين الأوربيين يولون وجوههم قبل الحضارة الإسلامية العريقة في المشرق؛ فلما قام السلطان محمد الثاني (الملقب بالفاتح) بفتح القسطنطينية وتوالت المحجرات من المشرق إلى بلاد أوروبا - وخاصة إيطاليا - سهل على المفكرين الظفر بكثير من الكتب العربية في شتى العلوم، والاطلاع على ما وصل إليه علماء المسلمين من تقدم في جميع المجالات الطبيعية والفكرية.

السبب الثاني: الثورة على الأخلاق المسيحية: كانت النتيجة المباشرة للكبت

النفسي الذي كان يعاني منه الرجل الغربي وما يراه من ضيق أفق رجال الدين؛ هي التوجه إلى آداب وأخلاق وفنون أخرى؛ فقام الشاعر بترارك بإحياء الدراسات الكلاسيكية القديمة اليونانية والرومانية؛ من لغة وأدب وثقافة، وهاجم رابليين الرهينة والمراسم الكنيسية؛ وقال: "لن يكون هناك بعد اليوم عقاب، ولا ساعة تدعو للقيام

بالواجبات، ولا رهبان ولا راهبات ينخرطون في الخدمة؛ بل... سوف يسمح لكل امرئ أن يتزوج وينجب، وأن يصبح جميع الناس أغنياء، ويعيشون بحرية"، ويطلب رابليه الناس بالهرب من "أولئك الرعاع ذوي العقول الزائفة، الماكرين، والقديسين والمزورين المرائين مدعي الإيمان، والرهبان الذين يلبسون النعال ومن كان على شاكلتهم... اهرب من هؤلاء الرجال، وعليك بكرهيتهم واحتقارهم... وإنني لأقسم لك أنك إن فعلت فستجد نفسك أفضل حالاً"^(١).

وهكذا.. كثر الداعون إلى الثورة على تعاليم الكنيسة وأخلاق رجال الدين، ومحاولة التحرر من ربة الآراء المتهافنة التي خدعوا بها.

السبب الثالث: الإصلاح الديني: في ظل الثورة على الكنيسة قام الراهب الألماني مارتن لوثر (١٤٨٤ - ١٥٤٦م) بالدعوة إلى العودة بالمسيحية إلى نقائنها الأولى، وتطهيرها من البدع والطقوس الشكلية السخيفة، واستدل على سخافة صكوك الغفران بقصة ذلك القسيس الذي كان يبيع صكوك غفران المستقبل في قرى ألمانيا، فاعترضه لسان واشترى منه صكين لغفران جريمة مقبلة، ثم انتظره حتى باع كل ما معه من صكوك، ثم سرقا كل ما معه من مال، وعندما اعترض عليهما واجهاه بالصكين اللذين اشترياهما منه.

وطالب لوثر بتكثير نسخ الكتاب المقدس حتى يتمكن كل فرد من الاطلاع على تعاليم المسيح - عليه السلام، وقام بنشر حركة الإصلاح البروتستانتي في ألمانيا، ثم امتدت إلى فرنسا وسويسرا على يد جون كالفن (١٥٠٦ - ١٥٦٤م)، وكان لهذه الحركة الأثر القوي في النهضة الأوروبية.

السبب الرابع: ظهور الطباعة: ساعد اختراع الطباعة على يد يوحنا جوتنبرج (١٤٠٠ - ١٤٦٨م) على انتشار الأفكار الجديدة، وتداول الكتب المترجمة عن العربية

(١) الفلسفة الحديثة والمعاصرة - د. إمام عبد الفتاح: ص ٨ - ٩.

بين طلاب العلم في شتى العلوم، واتسعت رقعة المثقفين بعد أن كانت قاصرة على رجال الدين، وساعدت - أيضاً - على انتشار الجامعات في أوروبا كلها، وتيسير وسائل التعليم، وظهرت المدارس لأول مرة لغير رجال الدين.

السبب الخامس: المكتشفات الجغرافية: قام البحارة والمغامرون بعدة رحلات بحرية أدت إلى كثير من الاكتشافات التي صححت العديد من المعلومات الجغرافية الخاطئة التي كانت تأخذ بها الكنيسة طوال العصور الوسطى؛ مثل: عدم كروية الأرض، واستحالة السفر بحراً إلى ما بعد جبل طارق؛ وكانت تصور المحيط الأطلسي على أنه بحر الظلمات، كما أن هذه الاكتشافات أكدت وجود بشر على الجانب الآخر من الأرض لم يكن للكنيسة بهم أي علم؛ بل كان بعض آباء الكنيسة يذهبون إلى أن التوراة لم تذكر من أبناء آدم سلالات كهذه، وأن الله القادر لا يسمح لأناس أن يعيشوا في تلك البقاع؛ لأنهم لا يستطيعون أن يروا المسيح حين عودته ثانية هابطاً على الأرض من السماء، ومن ثم حارب بعض الأساقفة كوليبوس وأهانوده؛ لأن رحلته إلى العالم الجديد أيدت فكرة كروية الأرض، كما أثبتت وجود بشر في الجانب الآخر من الكرة الأرضية.

- كل ذلك زرع اعتقادات الكنيسة في نفوس الناس، وحملهم على نبذ آرائها والتمسك بالعلم التجريبي والملاحظة والاكتشاف والمادة.

السبب السادس: الثورة العلمية: أدى النضوج العلمي والثقافي - الذي نتج عن الاطلاع على علوم المسلمين من ناحية، والاكتشافات الجديدة من ناحية أخرى - إلى قيام ثورة علمية كانت أخطر الثورات التي بدأت في عصر النهضة ضد فكر العصر الوسيط، واستمرت حتى يومنا هذا، ذلك لأنها غيرت نظرة الإنسان إلى نفسه، وإلى الطبيعة من حوله، وأحلت التفسير العلمي لظواهر الكون محل التفسير اللاهوتي.

وقد ساعد على قيام هذه الثورة عدة أمور؛ هي:

(أ) إحياء الفيثاغورية في مواجهة الأرسطية التي أدى الهجوم عليها إلى انحسارها، ومن ثم بدأ الاهتمام بالرياضيات على نطاق واسع في مدرسة "بادوا" أولاً، ثم في غيرها من الجامعات والمدارس بعد ذلك، والاهتمام بالرياضيات يعني الاهتمام بالعقل الذي تركز عليه، وإهمال الحواس القاصرة التي كانت الوسيلة الأساسية للمعرفة في العصر الوسيط وقام على أساسها الكثير من التفسيرات الخاطئة للكون؛ مثل: ثبات الأرض وعدم كرويتها؛ لأن الإنسان يدرك سكونها بحواسه ويراهم منبسطة أمامه؛ إلى غير ذلك..

فجاء العقل ليقول: ليس كل ما يظهر للإنسان أمام حواسه صحيحاً؛ بل قد تكون هناك حقائق كامنة خلف الظواهر لا نصل إليها إلا باستخدام العقل وحده.
- ولا شك أن هذا التحول قد أثر في العديد من الفلاسفة؛ كما سيتضح عما قليل.

(ب) ائتمار طبيعيات أرسطو التي كانت تعطي نظرة خيالية للكون بعيدة كل البعد عن المنهج العلمي الصحيح، وظهرت النظرة المادية للكون التي تجلت أوضح ما يكون في الفلسفة الحديثة بعد ذلك.

(ج) حلول النظرة الآلية الميكانيكية التي تعتمد على الترابط السبي محل النظرة الغائية اللاهوتية التي سادت طوال العصور الوسطى، والتي ترى أن كل شيء في الكون له غاية يسعى إلى تحقيقها - كما قال أرسطو.

(د) ظهور نظريات فلكية صحيحة مخالفة لما كان يعتقد رجال الكنيسة؛ حيث أن الكنيسة كانت تضع موجودات الطبيعة في تدرج غائي؛ فالجماد في خدمة النبات، والنبات في خدمة الحيوان، والكل في خدمة الإنسان، والكرة الأرضية هي مسكن هذا الإنسان الذي خلقت الموجودات الأخرى لخدمته؛ فمن ثم تكون الأرض هي مركز الكون، ومن هنا تبنت الكنيسة نظرية بطليموس في الفلك؛ التي تقول: إن الأرض هي

مركز الكون، وإن الشمس وبقية الكواكب تدور حولها.

وظلت الكنيسة على هذا الحال حتى ظهور عالم الفلك البولندي كوبرنيكس (١٤٧٣ - ١٥٤٣م) الذي أسس نظرية تقول: إن الأرض تدور حول الشمس، وقد هاجمه رجال الدين وفي مقدمتهم مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي.

- وهكذا.. كان عصر النهضة فترة انتقال من تفسير الطبيعة وظواهرها تفسيراً لاهوتياً إلى تفسيرها تفسيراً علمياً، ومن الاهتمام بمملكة السماء إلى الاهتمام بمملكة الإنسان وتسخير المعرفة لخدمة البشر، وتحسين أحوالهم وحياتهم الدنيوية.

- ولكن ينبغي أن نبه على أن أبرز سمات عصر النهضة هو استقلال الفلسفة عن الدين، والجناح إلى المادية والإلحاد، والعناية بالعلم المادي وتطبيقاته العملية، وكل ذلك في إطار الغرور الشديد بالعقل الإنساني؛ مع وجود من يعلن آراء منحرفة في مجال السياسة تبيح الاستبداد، وتدعو الساسة إلى اطراح كل قيمة خلقية في ممارسة الحكم مثل مكيافلي.

فعصر النهضة - يعد لحظة حقيقية في العلوم الطبيعية فقط؛ وكان ذلك على يد طائفة من العلماء؛ مثل ليوناردي فنشي وفيسال وهارفي وكوبرنك وكيلر وجاليليو؛ فكان عمل هؤلاء - في الحقيقة - بداية النهضة العلمية الحديثة والمعاصرة في أوروبا؛ أما بالنسبة للتجديد الفكري والفلسفي فقد كان تدهوراً وسيراً نحو الثورة على الأديان والغيبيات والمعتقدات الصحيحة والباطلة - على حد سواء^(١).

وقد صرح بذلك فوللر وهو يمدح عصر النهضة قائلاً: "انحسر عالم ما بعد الطبيعة إلى الخلف، وتضاءل سلطان السماء... ولم تعد الحياة على الأرض تمهيداً للحياة

(١) انظر أسباب النهضة وسماتها في: الفلسفة الحديثة والمعاصرة - د. إمام عبد الفتاح: ص ٦ - ١٧، منهج

إسلامي في تدريس الفلسفة الأوروبية د. أبو الوفا الفتازي: ص ٧١.

أخرى بعد الموت؛ بل غدت شيئاً مستقلاً بذاته، وينبغي العناية بها واستغلالها واستكمالها إلى أقصى ما تسمح به الظروف المادية"، ويصف الإنسان في هذا العصر "بأنه قادر على فهم طبيعة الكون واستيعاب الحقيقة باستخدام العقل وما أوتي من ذكاء فطري يمكنه من الاستغناء عن الوصايا السماوية في معرفة طبيعة الخير، وشروط السعادة الإنسانية"^(١).

- وقد استمر هذا النهج المادي الإلحادي في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على نحو ما سنرى في السطور الآتية.

خامساً: الفلسفة الحديثة: [القرنان السابع عشر والثامن عشر الميلاديان]:

جاءت الفلسفة الأوروبية الحديثة لتسير في نفس خطوط عصر النهضة تقريباً؛ وهي الابتعاد عن الدين، والاعتداد بالعقل، والعناية بالعلم المادي وتطبيقاته. وقد كان النمو التدريجي للفلسفة الحديثة يتشكل حسب المدارس الفلسفية في دول أوروبا الرئيسية على النحو التالي:

أ - إيطاليا مهد الفلسفة الحديثة: لم يكن عجبا أن أصبحت إيطاليا مركزاً للنهضة الفكرية في أوروبا، ومهداً للفكر الحديث؛ لأنها ظلت على صلة فكرية مع العالم الإغريقي طوال القرون الماضية، وحين بعثت الآداب القديمة من فلسفة وتاريخ وشعر وفن - في عصر النهضة - تمكن الإيطاليون من استيعابها وهضمها، وقد ساعدهم على ذلك ما كان سائداً - آنذاك - من خصومات سياسية، وانقسام إلى دويلات متنافسة؛ تبذل كل دويلة جهوداً جارية في البحث عن كل وسيلة تحقق لها المنفعة والقوة، وتنافس غيرها في اجتذاب الفلاسفة والعلماء والشعراء والفنانين الذين لاذوا بالفرار إلى إيطاليا بعد سقوط القسطنطينية، وتشجيعهم على مواصلة أعمالهم الأدبية والعلمية.

(١) الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ١٧.

وكانت نتيجة ذلك انحسار القيم الاجتماعية للعصور الوسطى التي تقوم على اندماج الفرد بالكنيسة والتحامه بالمجتمع؛ فتبدل الوضع وأصبحت قيمة الفرد تعتمد على مقدار ما يحققه من إمكانيات، وما ينجزه من أعمال؛ كل ذلك ساعد على نشأة النزعة الفردية ونموها والتعظيم من ذاتية الإنسان؛ حتى أنشد لها الشعراء - كدانيي وبترارك - الأناشيد الجميلة الرقيقة.

كذلك لا يمكننا أن نغفل قرب إيطاليا من الحضارة الإسلامية العريقة - وقتئذ - فقد كانت هي أول دولة تتلقى العلوم الوافدة إليها من المشرق.

ب- تطور الفلسفة الحديثة في فرنسا: كانت فرنسا أولى البلدان التي اقتفت أثر إيطاليا في الأخذ بأسباب النهضة؛ كما تأثرت بحركة الإصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر في ألمانيا، وبلغها كالفن إلى فرنسا؛ وقد كان لها كبير الأثر في نضج الفكر الفلسفي بها؛ حتى برز فيها فلاسفة كبار مثل ديكارت؛ الذي اعتبره كثير من الباحثين مؤسس الفلسفة الحديثة، وأيضاً كان لقيام الثورة الصناعية في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير في تقدم أوربا كلها علمياً وثقافياً وفكرياً.

ج- تطور الفلسفة الحديثة في إنجلترا: لم تكن إنجلترا بمنأى عن حركات الإصلاح الكبرى التي تجري في القارة الأوروبية، حيث تأثرت الثقافة الإنجليزية الحديثة تأثراً واضحاً بالنهضة الإيطالية، وبدأ المفكرون الإنجليز يجمعون المخطوطات الكلاسيكية، ويعنون بالآداب والفنون القديمة؛ كما حاولوا الاتصال بالمفكرين الإيطاليين؛ فسعى توماس هوبز إلى لقاء عالم الطبيعة الشهير جاليليو؛ كما تأثر السياسيون الإنجليز بالفيلسوف الإيطالي مكيافلي، واستلهم شكسبير الإنجليزي بعض مسرحياته من إيطاليا باختصار.

وهكذا تطورت الفلسفة الحديثة في بريطانيا حتى ظهر فيها مؤسس المدرسة التجريبية فرنسيس بيكون الذي كان لجهوده كبير الأثر في الفلسفة الحديثة والمعاصرة^(١).

- هكذا.. تعددت حركات الإصلاح في بلاد أوروبا، وكثر دعاة المذاهب الفكرية والفلسفات الجديدة، وتغيرت أوضاع الغرب تغيراً كبيراً بسبب تلازم الفلسفة الحديثة للنهضة العلمية الوليدة.

سادساً: الفلسفة المعاصرة: [القرنان التاسع عشر والعشرون

الميلاديان]:

تقدمت أوروبا في هذه الفترة تقدماً مذهلاً، وواكب هذا التقدم تدهور في الأخلاق والسلوك والفكر؛ حيث سيطر الغرور على القادة والعلماء والفلاسفة، وملأ انطمع قلوب الساسة والحكام؛ فاستخدموا المخترعات الحديثة في إبادة الشعوب، وإذلال الدول الفقيرة، وأدى التنافس بين الدول الأوروبية على اقتسام دول آسيا وإفريقيا إلى قيام حربين عالميتين أبادتا الأخضر واليابس، وجعلتا العالم كله - والشعوب الأوروبية على وجه الخصوص - يعيش حياة بائسة لا معنى لها ولا هدف مرجو فيها.

- وغلب على المدارس الفكرية والمذاهب الفلسفية الإلحاد الصريح، والجنوح نحو الإباحية والإسراف في الملذات، ونبد القيم والأخلاق الفطرية المستقيمة.

- وقد برز في هذه الفترة كثير من الفلاسفة المتطرفين فكرياً، وتشعبت الاتجاهات وتداخلت؛ وكان أبرزها تيارين كبيرين؛ هما: الفلسفة الوجودية، والفلسفة

(١) انظر نشأة وتطور الفلسفة الحديثة في: الفلسفة الحديثة عرض نقدي - د. كريم مني: ص ١٢ - ١٨، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ١٩، ٢٠، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٣٥.

الماركسية؛ وكان لهما أليم الأثر في تدهور المعتقدات والأخلاق في أوروبا وفي العالم كله^(١).

- هذا.. وبعد أن ألمحنا إلى تاريخ الفلسفة الغربية بقسميها (الحديثة والمعاصرة)؛ ننتقل الآن إلى عرض سمات هاتين الفلسفتين بشيء من التفصيل؛ وذلك من خلال موضوعات الوحدة الثانية.

(١) انظر نشأة الفلسفة المعاصرة وظروفها في: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - د. بوخينسكي: ص ٦٦، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٦٩، منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية: ص ٧٢.

خلاصة الوحدة الأولى

نستخلص مما سبق في هذه الوحدة ما يلي:

- ١- الفلسفة كلمة يونانية بمعنى محبة الحكمة، والفلسفة الغربية هي الفلسفة المنسوبة إلى مفكري العصر الحديث في أوروبا، وهي مضادة ومخالفة للفلسفة اليونانية التي توارثتها الأجيال بسبب التأثير بآراء أرسطو في الطبيعة وما وراءها.
- ٢- تنقسم الفلسفة إلى الغربية تاريخياً إلى فلسفة حديثة وفلسفة معاصرة، وقد مهد لثابتين الفلسفتين تدهور الأحوال في أوروبا في العصور الوسطى ثم تحسنها في عصر النهضة.
- ٣- جذور الفلسفة الغربية ترجع إلى الفلسفة اليونانية المسيحية التي بدأت بالفلسفة الأرسطية حين انتقلت إلى الشام ومصر عن طريق الإسكندر الأكبر وأتباعه، ثم امتزجت بالوثنية الرومانية، ثم امتزجت بالديانة المسيحية المحرفة بعد أن اعتنق قسطنطين الأول النصرانية.
- ٤- اتسمت فلسفة العصور الوسطى بسيطرة فلسفة أرسطو التي انتقلت إلى أوروبا ممتزجة بجهود الفلاسفة المسلمين؛ الذين حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، وكان لابن رشد كبير الأثر في ثقافة الأساتذة المسيحيين من الناحية الفلسفية.
- ٥- كما تسمت فلسفة العصور الوسطى بترايط الصلة بين الفكر المسيحي وفكر الملقين بفلاسفة الإسلام، وبرز بعض الفلاسفة المسيحيين الذين حاولوا التوفيق بين الفلسفة والمسيحية مثل توما الإكوين، وقد أحدث الربط بين العقائد المسيحية ومذهب أرسطو قيماً على الفكر الأوربي زمناً طويلاً.
- ٦- سيطرت الكنيسة على اعتقادات الناس وأفكارهم، وسامت المفكرين الأحرار والمبتكرين من العلماء سوء العذاب، وكان رجال الكنيسة يبيعون صكوك الغفران

لتكفير السيئات الماضية والمقبلة، ويمتلكون مساحات شاسعة من الأراضي؛ رغم ما كان فيه عموم الشعب من الفقر والحاجة.

٧- كانت آراء الكنيسة في العصر الوسيط ساذجة وخاطئة؛ رغم ما كان حولها من المهالة الدينية؛ مما أدى إلى كره العلماء لرجال الدين وفلسفة أرسطو معًا.

٨- خرجت أوروبا من عصور الظلمات الوسطى إلى عصر النهضة؛ بسبب: انتقال الفكر الشرقي بعد سقوط القسطنطينية، وقيام كثير من العلماء والمفكرين بثورة على أخلاق الكنيسة وآرائها، وقيام مارتن لوتر بمحركة الإصلاح البروتستانتي، وظهور الطباعة مما أدى إلى انتشار العلم، والقيام باكتشافات جغرافية أثبتت خلاف ما تقول به الكنيسة، وأخيرًا الثورة العلمية التي أضعفت الفلسفة الأرسطية، وأعلت من الرياضيات والمنهج التجريبي والآلية والنظريات العلمية الصحيحة القائمة على التفكير العقلي مع التجربة الدقيقة.

٩- يعد عصر النهضة لحظة حقيقية في العلوم الطبيعية فقط، كما يعد البداية الحقيقية للجنوح نحو المادة والإحادية في العصر الحديث.

١٠- سارت الفلسفة الحديثة في نفس خطوط عصر النهضة من الابتعاد عن الدين، والاعتداد بالعقل، والعناية بالعلم المادي وتطبيقاته.

١١- تعتبر إيطاليا هي مهد الفلسفة الحديثة؛ بسبب بعثها للآداب القديمة، وتنافس الدويلات فيها على خدمة العلماء والفلاسفة، وانتفاعها بالعلوم الشرقية والإسلامية التي جاءتهم مع الفارين والمهاجرين من القسطنطينية بعد سقوطها.

١٢- وكانت فرنسا هي أولى البلدان تأثرًا بإيطاليا في الأخذ بأسباب النهضة؛ حتى برز فيها فلاسفة كبار كانوا من مؤسسي الفلسفة الحديثة؛ مثل ديكارت.

١٣- وكذلك تأثرت إنجلترا بالنهضة الفكرية الإيطالية، وبدأ المفكرون يجمعون المخطوطات القديمة ويهتمون بالآداب؛ حتى برز فيهم فرنسيس بيكون وتوماس هوبز وغيرهما.

١٤- تغيرت أوروبا تغيراً كبيراً بسبب مواكبة الفلسفات الجديدة فيها للنهضة العلمية الوليدة.

١٥- وفي القرن التاسع عشر الميلادي جاءت الفلسفة المعاصرة ملازمة للتقدم العلمي المذهل الذي شهدته أوروبا؛ مما أدى إلى سيطرة الغرور على القادة والعلماء والفلاسفة، وملاً الطمع قلوب الساسة والحكام، واندلعت الحروب العالمية بسبب التنافس على السيادة في العالم، والحرص على انتهاب ثروات الشعوب، وكثرت الفلسفات التي تدعو إلى الإخاد الصريح، والانحلال الخلقى؛ وأخطرت هذه الفلسفات: الفلسفة الوجودية، والفلسفة الماركسية.

الاختبار البعدي للوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخاطئة في كل

مما يلي:

- ١- الفلسفة كلمة يونانية تعني محبة الجمال.
- ٢- الفلسفة الغربية هي إحياء لفلسفة أرسطو.
- ٣- الفلسفة الغربية ترفض - في الغالب - فكرة ما وراء الطبيعة.
- ٤- تنقسم الفلسفة الغربية تاريخياً إلى ثلاثة أقسام.
- ٥- يدخل بعض الباحثين علم الكلام ضمن الفلسفة الإسلامية.
- ٦- ظهرت الفلسفة الهلنسية في حياة الإسكندر فقط.
- ٧- كان الحكم السياسي وقت ظهور المسيح - عليه السلام - لليهود.
- ٨- تأثر فلاسفة العصور الوسطى بابن رشد.
- ٩- في العصور الوسطى؛ الدين خادماً للفلسفة.
- ١٠- ظهر النظام الإقطاعي بسبب كثرة الحروب.
- ١١- آراء الكنيسة عن الطبيعة في العصر الوسيط كانت صحيحة.
- ١٢- كان المفكرون الأحرار في العصر الوسيط يحبون رجال الدين.
- ١٣- أدى انحراف رجال الدين إلى جنوح المفكرين نحو الإلحاد.
- ١٤- أكبر سبب لهضة أوروبا هو سقوط القسطنطينية.
- ١٥- كان الإصلاح الديني سبباً لانحراف الكنيسة.
- ١٦- ظهور الطباعة ساعد على انتشار التعليم والثقافة.

- ١٧- كانت المكتشفات الجغرافية موافقة لآراء الكنيسة تمامًا.
- ١٨- حرص العلماء على إبقاء فلسفة أرسطو في عصر النهضة.
- ١٩- ارتكزت الفلسفة الحديثة على العقل والتجربة معًا.
- ٢٠- كان رجال الكنيسة يعتقدون أن الشمس تدور حول الأرض.
- ٢١- أبرز سمات عصر النهضة هو الجناح نحو المادية والإحاد.
- ٢٢- ألمانيا هي مهد الفلسفة الحديثة.
- ٢٣- إنجلترا هي أولى البلدان الأوربية تأثرًا بإيطاليا في النهضة العلمية.
- ٢٤- واكبت الفلسفة المعاصرة التخلف العلمي لأوروبا.

ثانيًا: أسئلة الاختبار من متعدد:

- اختر من بين الأقواس الإجابة الصحيحة في كل مما يلي:
- ١- الملقب بالمعلم الأول؛ هو: (سقراط - أفلاطون - أرسطو).
 - ٢- الذي غزا الشرق حتى وصل إلى حدود الهند؛ هو: (قسطنطين - محمد الفاتح - الإسكندر الأكبر).
 - ٣- انتهت وثنية الرومان سنة (٣٣٧م) على يد: (ابن رشد - قسطنطين الأول - بطليموس).
 - ٤- التزم فلاسفة العصر الوسيط فلسفة أرسطو، بشرح: (ديكارت - توما الإكويني - ابن رشد).
 - ٥- الذي وفق بين المسيحية وفلسفة أرسطو هو: (توما الإكويني - الفارابي - الكندي).
 - ٦- سقطت القسطنطينية في يد العثمانيين سنة: (١٤١٥م - ١٤٥٣م - ١٥١٧م).
 - ٧- الذي فتح القسطنطينية؛ هو: (الإمبراطور قسطنطين - المصلح مارتن لوثر - السلطان محمد الثاني).

- ٨- الذي ثار على الأخلاق المسيحية؛ هو الشاعر: (بتراك - دانتي - شكسبير).
- ٩- الذي انتقد الرهينة وسلوك رجال الدين؛ هو: (ديكارت - ماركس - رابليه).
- ١٠- الذي قام بحركة الإصلاح البروتستانتي؛ هو: (رابليه - مارتن لوثر - دانتي).
- ١١- الذي نشر البروتستانتية في فرنسا هو: (مارتن لوثر - ديكارت - جون كالفن).
- ١٢- الذي اخترع آلة الطباعة؛ هو: (فرنسيس بيكون - يوحنا جوتنبرج - هوبز).
- ١٣- الذي اكتشف الأمريكتين؛ هو: (جوتنبرج - كالفن - كولمبوس).
- ١٤- مؤسس الفلسفة الحديثة على رأي كثير من الباحثين؛ هو: (بيكون - ديكارت - جاليليو).
- ١٥- مؤسس المدرسة التجريبية؛ هو: (مكيافلي - شكسبير - فرنسيس بيكون).

ثالثاً: الأسئلة التحليلية:

(أ) اذكر الفرق بين:

- ١- الفلسفة عند اليونان، والفلسفة عند مفكري العصر الحديث.
- ٢- التجديد في المسيحية عند توما الإكويني، والتجديد عند مارتن لوثر.
- ٣- تصور البناء السماوي عند القديس فلاسطوروريوس، وتصوره عند جاليليو.
- ٤- نظرة رجال الكنيسة إلى المحيط الأطلنطي، ونظرة كولمبوس إليه.
- ٥- نظرية بطليموس، ونظرية كوبرنيكس.

(ب) اذكر ما تعرفه عن:

- أ- معنى الفلسفة ومفهومها عند القدماء والمحدثين.
- ب- أبرز سمات فلسفة العصور الوسطى.
- ج- أبرز سمات عصر النهضة.
- د- نشأة الفلسفة الحديثة في إيطاليا.

هـ- أثر التقدم العلمي على الفلسفة المعاصرة.

رابعاً: أسئلة المقال:

اكتب مذكرات مختصرة عن:

- ١- أقسام الفلسفة.
- ٢- جذور الفلسفة الغربية.
- ٣- أسباب النهضة العلمية في أوروبا.
- ٤- تطور الفلسفة الحديثة في بلاد أوروبا.
- ٥- الأحداث المواكبة للفلسفة المعاصرة.

النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات، وتحقق الأهداف التعليمية الواردة في موضوعات هذه الوحدة؛ عليك أن تقوم بممارسة النشاط التعليمي التالي: أعد بحثاً تناول فيه موضوع: "العلاقة بين المسيحية والفلسفة عبر التاريخ".



الوحدة الثانية

سمات الفلسفة الغربية (الحديثة والمعاصرة)

مبررات دراسة الوحدة الثانية:

لما انحرفت الكنيسة في أوروبا ضعف الانتماء إلى الدين في نفوس الناس - عمومًا؛ والعلماء والباحثين - خصوصًا، وانصرفت عقول المفكرين والفلاسفة نحو كل شيء سوى الدين، وفكروا بمنهجية وتعقل في كل شيء عدا الدين؛ لذلك نجد العلماء والباحثين والمفكرين في العصر الحديث على قسمين:

- قسم يوجه كل جهده وهمته نحو الطبيعة والعلوم الطبيعية، وإذا طُلب منه الحديث في خلق العالم، وإله الكون، والدين بصفة عامة؛ يرفض ذلك رفضًا إجماليًا، ويولي وجهه شطر الطبيعة ليكمل أبحاثه فيها. -

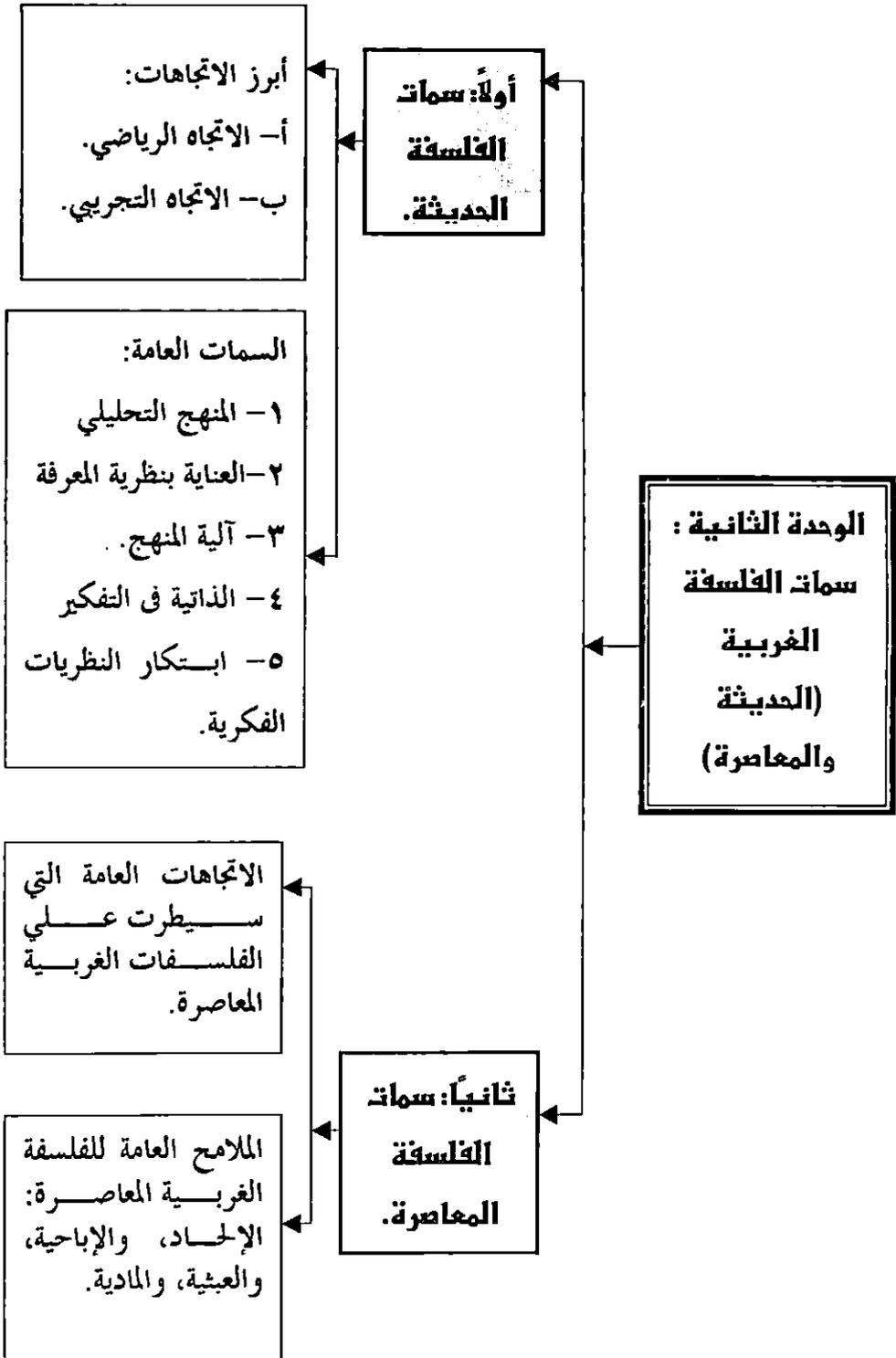
- وقسم يوجه كل جهده نحو الإلحاد والمادة والشهوات واللذات، ويهرب من الاعتراف بأن للعالم خالقًا وإلهًا، ويحاول أن يصيغ إلحاده وانحرافه وعبثه في قالب فلسفي ليوهم نفسه بأنه على صواب، وليقنع الآخرين بما لم يقنع به هو نفسه. والعجيب أن فكر هؤلاء قد راج وشاع ليس فقط في أوروبا؛ بل في العالم كله؛ لذا ينبغي لطلبة العلم من المسلمين أن يتعرفوا على سمات هذه الفلسفات؛ حتى يكونوا على حذر تام منها.

من أجل ذلك أدعوك - عزيزي الدارس - إلى مذاكرة هذه الوحدة بحرص واهتمام؛ والله المقصود للعون والتوفيق.

الأهداف التعليمية للوحدة الثانية:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تبين أشهر الاتجاهات في الفلسفة الحديثة.
- ٢- تعدد سمات الفلسفة الحديثة.
- ٣- تذكر الاتجاهات العامة في الفلسفة المعاصرة.
- ٤- توضح الملامح العامة للفلسفة المعاصرة.
- ٥- تفرق بين سمات الفلسفة الحديثة وسمات الفلسفة المعاصرة.



سمات الفلسفة الغربية (الحديثة و المعاصرة)

الوحدة الثانية

بعد أن ألقنا إلى تاريخ الفلسفة الغربية، وبيننا جذورها وأصولها اليونانية والمسيحية؛ نريد أن نبرز سمات هذه الفلسفة بقسميها (الحديثة والمعاصرة)؛ وذلك من خلال التفصيل التالي:

أولاً: سمات الفلسفة الحديثة:

إن الفلسفة الحديثة قد انتهجت لنفسها منهجاً جديداً في البحث عن حقيقة الكون وقيمة الكائنات، واتسع نطاق المسائل الفلسفية حتى تغلغل في كل شيء، وسيطر على كل شيء؛ فهي التي توجه العلم؛ وتمده بالمنهج الذي يعينه على كشف الحقائق، وهي التي توجه السياسة؛ وتمدها بقواعد الحكم وأصوله، وهي التي تفسر الحياة الأخلاقية والاجتماعية والنفسية؛ تفسيراً يكشف عن حقيقة النفس الإنسانية وطبيعة ملكاتها على أنحاء مختلفة من البحث، وهي التي تؤثر في الأدب، وفي مذاهب النقد الأدبي المتعدد..

ومعنى هذا أن العصر الحديث في أوروبا هو عصر الفلسفة حقاً، وأن قادة الفكر الغربي هم الفلاسفة الذين تحكموا في مقاليد الأمور في البلاد الغربية؛ حتى قال أحد الباحثين: "القرن السابع عشر هو العصر الذهبي للفلسفة على الحقيقة"^(١).

وقد برز في بداية عصر الفلسفة الحديثة اتجاهان كبيران؛ هما: الاتجاه العقلي الرياضي، والاتجاه التجريبي؛ فالإتجاه الأول يرد المعرفة الإنسانية ومعايير صدقها إلى العقل الإنساني، وليس إلى الواقع أو الحس، ويجعل الرياضة هي العلم اليقيني بالمعنى

(١) مقال عن المنهج لديكارت - مقدمة الدكتور محمد مصطفى حلمي - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

انعميق والدقيق، وهي المثل الأعلى لكل العلوم من حيث مناهجها؛ لذلك طالب أنصار هذا الاتجاه - وفي مقدمتهم ديكارت - باستخدام المناهج الرياضية في دراستهم لمشاكل الفلسفة.

- والاتجاه الثاني يدعو إلى دراسة الطبيعة وتفسيرها، وملاحظة مظاهرها، واختبارها؛ بحيث تكون التجربة الدقيقة هي منهج البحث، ويكون الاستقراء للحوادث هو الفيصل في الحكم في جميع الأمور^(١).

- وقد اتفق هذا الاتجاهان على نبذ المنطق الأوسطي وهجرانه؛ بل ونقده نقدًا شديدًا، كما اتفقا - كذلك - على اطراح الغيبات وما وراء الطبيعة جانبًا، والتفرغ إلى دراسة الطبيعة وما تحويه من حقائق وعجائب.

- ومن هذين الاتجاهين انبثقت اتجاهات عديدة، وبرز فلاسفة كثيرون يتزعمون مدارس فلسفية كثيرة، ولعل أبرزهم - بعد ديكارت ويكون - ليبنتز، وسينوزا، ولوك، وبركلي، وهيوم، وكانط، وغيرهم.

- ويمكن حصر سمات هذه المدارس الفلسفية فيما يلي:

(١) المنهج التحليلي: حرص فلاسفة هذا العصر على المنهج التحليلي الذي يهتم بالدقة، ويتوخى النصاعة الذهنية، ويتعد عن التعميمات الواسعة، ويتوجس من الأنظمة الفكرية الجامدة؛ حتى جعل ديكارت معيار صدق الفكرة هو "البساطة"^(٢).

(٢) العناية بنظرية المعرفة: من حيث إمكانها وطبيعتها وأدواتها ومناهجها؛ كل ذلك من أجل الوقوف على حقيقة العلاقة التي تربط بين قوى الإدراك والأشياء

(١) انظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة - د. محمد عبد الله الشرفاوي: ص ١٣٥، ١٤٣، وسيأتي - إن شاء الله تعالى - تفصيل هذين الاتجاهين في القسم الثالث من هذا المقرر.

(٢) انظر: ينابيع الفلسفة الغربية - للدكتور محمد رشاد دهمش: ص ١٤٦، ١٤٧.

المدركة؛ لذلك اشتد الجدل بين المذاهب الفلسفية الحديثة حول مصادر المعرفة وأدواتها^(١).

(٣) آلية المنهج: فقد اتسمت الفلسفة الحديثة بالآلية؛ بحيث يمكن تفسير كل شيء حسب قوانين آلية يمكن التحكم فيها؛ لذلك تكثر الألفاظ الآلية في كلام فلاسفة هذا العصر؛ مثل: "هيئة الشيء، وحركته، والقوة الدافعة له"؛ وهكذا.. كل شيء له قانون وله قاعدة؛ لا يمكن الخروج عنها^(٢).

(٤) الذاتية في التفكير: فقد برز في هذا العصر من ينادي باستقلال الإنسان عن الله، وحصرت التفكير الفلسفي نحو الذات الإنسانية^(٣)، ولا شك أن هذه النزعة هي النشأة الحقيقية لمذاهب الإلحاد في الفلسفة المعاصرة - كما سيتضح بعد قليل.

(٥) ابتكار النظريات الفكرية: لقد هجرت الفلسفة الحديثة المنطق الصوري القلم، ورفضته كأداة للبحث، لذلك تميزت بنزوعها إلى تشييد نظريات فكرية ضخمة؛ من غير أن تعير للتحليل الفلسفي الذهني أي اهتمام؛ إلا في الحالات الاستثنائية النادرة^(٤).

- وعلى الجملة.. فإن مفكري الفلسفة الحديثة كانوا أكثر اتزاناً من مفكري الفلسفة المعاصرة الذين جاءوا بعدهم، وكان جل جهدهم موجهاً إلى النهوض العلمي بأوروبا الجديدة؛ التي تحاول أن تتحرر من قيود الكنيسة العاشمة. كما كان الاتجاه الإلحادي ضعيفاً وغير مقصود لذاته؛ لأنه كان رد فعل لانحراف الدين المسيحي بسبب انحراف رجاله.

(١) انظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٣٤، منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية: ص ٧٢.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - بوخينسكي: ص ٢٨، ٢٩.

(٣) انظر: السابق: ص ٢٨.

(٤) انظر: السابق.

ثانياً: سمات الفلسفة المعاصرة:

لقد غلب على مدارس ومذاهب الفلسفة الأوربية المعاصرة الإلحاد الصريح - كما نبهنا إلى ذلك من قبل؛ وذلك نتيجة الغرور بتقدم العلوم المادية والصناعات في أوربا، أو بسبب التشاؤم الذي ساد بعض المجتمعات الأوربية في أعقاب الحربين العالميتين المدمرتين.

وقبل أن نحصر سمات الفلسفات الغربية المعاصرة بشيء من التفصيل والتدقيق؛ أرى أن أعطي صورة مجملية عن هذه الفلسفات والاتجاهات العامة التي سيطرت عليها؛ وذلك على النحو التالي:

(أ) الاتجاهات العامة التي سيطرت على الفلسفات الغربية

المعاصرة^(١):

١- اتجاه يؤمن بالتفسير المادي للوجود؛ فليس في العالم إلا المادة وقوانين تطورها، وما العقل إلا أسمى نتاج للمادة، ونمو الحياة الإنسانية - فردية واجتماعية - يتوقف تماماً على الظروف المادية والاقتصادية.

٢- واتجاه يؤمن بالمصادفة، والعالم لم يوجد إلا اتفاقاً أو مصادفة؛ فلا خلق ولا خالق.

٣- واتجاه يبدأ سيره من إيمان لا حد له بمنهج العلم التجريبي؛ بحيث يجعل معيار الحقيقة التجربة الحسية وحدها؛ ومن ثم لا مجال للفكر الذي يحاول تجاوز عالم الحس إلى ما وراءه، وهذا الاتجاه لا يرى مفهوماً للفلسفة سوى أنها المنهج الذي ينظم نتائج العلوم الجزئية التجريبية.

٤- واتجاه ينكر بحث الفلسفة في الوجود بإطلاق، ويتجه إلى التحليل المنطقي لألفاظ

(١) انظر هذه الاتجاهات في: منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية - للدكتور أبو الوفا الفتازاني:

اللغة وعباراتها على أساس أن كل لفظ ليس له ما يناظره في عالم الحس فهو لفظ زائف، وبالتالي فإن القضية التي يستخدم فيها مثل هذا اللفظ فارغة المعنى، والفلسفة - في مفهوم هذا الاتجاه - هي تحليل منطقي لعبارات اللغة وألفاظها، ولو امتد منهج الفلسفة إلى نطاق الدين لأصبحت بعض قضايا الدين التي تتحدث عن غيبيات لا معنى لها؛ ومن هنا تعتبر هذه الفلسفة منتهية بطبيعة منهجها إلى زعزعة أركان العقيدة الدينية.

٥- واتجاه يهتم بالفلسفة العملية التي تعتبر صدق فكرة ما معناه التحقق من منفعتها بالتجربة، ومعيار الصواب والخطأ في مجال الأفكار والمعتقدات هو القيمة المنصرفه لها في دنيا الواقع.

٦- واتجاه يرى أن حياة الإنسان لا معنى لها ولا هدف منها إلا الإلحاد، ويرى وجود الإنسان على هذه الأرض مجرد مأساة، وأمرًا غير مفهوم أو معقول!.

٧- واتجاه يؤمن بأن حرية الإنسان بإطلاق في تحقيق ماهيته؛ إذ لا إله يخلق وفق ماهية سابقة، ولذلك يكون الوجود الإنساني سابقاً على الماهية، ومآل الإنسان إلى العدم؛ فلا بعث ولا ثواب ولا عقاب، وفلسفة هذا الاتجاه هي البحث في الوجود الإنساني الواقعي المشخص وعلاقته بالكون وبالآخرين.

٨- واتجاه يؤكد على عدم الإيمان بأية قيمة أخلاقية أو حقيقية مؤكدة، ويتجهون بعنف إلى الهدم، وهو اتجاه عدمي صرف.

- وهكذا.. نرى الاتجاهات التي سيطرت على المذاهب الفلسفية المعاصرة تنحصر في

ثلاثة اتجاهات رئيسية؛ هي:

أ - اتجاه إلحادي مادي.

ب- اتجاه إلحادي عبثي.

ج- اتجاه إلحادي تشاؤمي.

- وقد حاول أصحاب هذه الاتجاهات أن يصيغوا أفكارهم بطريقة فلسفية توحى بأنها قائمة على نظر عنمي جدير بالاعتبار؛ حتى لا تتهم بأنها عبث وشطط وهرطقة؛ فكان ذلك سبباً في شيوعها وانتشارها في أوروبا - وخصوصاً فرنسا - كرد فعل للمحن التي عانت منها المجتمعات الأوربية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ثم شاعت في العالم كله عن طريق الكتابات الأدبية والمسرحية؛ رغم أنها كفيلة بالقضاء على أعظم ما أنتجته البشرية من حضارة؛ لأنها تقتل في الإنسان طموحه وذاتيته، ولا تجعل له هدفاً ما يسعى إليه.

- ونظراً لبلورتها في قالب فلسفي؛ فقد اتسمت بسمات وملامح عامة؛ هي:

(ب) الملامح العامة للفلسفة الغربية المعاصرة:

يمكن حصر الملامح العامة للفلسفة المعاصرة فيما يلي^(١):

- ١- الاهتمام بدراسة الشخصية الإنسانية: فقد كان جل اهتمام الفلسفة المعاصرة متجهاً نحو دراسة شخصية الإنسان دراسة وافية ومتعمقة؛ حيث حرصت على إبراز ما تنطوي عليه الشخصية الإنسانية من أسرار عجيبة؛ هذا باستثناء الاتجاه المادي الذي جعل الإنسان مادة، وحقق من شأنه.
- ٢- غلبة التخصص الاصطلاحي التعقيدي: فكل مذهب فلسفي معاصر قد اشتمل على كم هائل من المصطلحات المعقدة؛ التي توهم بأصالة هذا الفكر، وتشعر بصلة هذه الفلسفة بالعلم، ثم تتضح الحقيقة على خلاف ذلك عندما يُزال غموض هذه الاصطلاحات، ويظهر الغرض منها.
- ٣- كثرة المؤلفات: فقد أصدر الفلاسفة المعاصرون كثيراً من الأعمال الفلسفية،

(١) انظر: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - بوخينسكي: ص ٧٨ - ٨١، ينابيع الفلسفة الغربية: ص

وكتبوا كتباً عديدة في الانتصار إلى مذهبهم، ومحاولة عرضها بأسلوب يجذب إليها الناس، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها:

أ - سنة (١٩٤٦م) صدر في إيطاليا وحدها ما لا يقل عن ثلاثين مجلة دورية متخصصة في شتى نواحي الفكر الفلسفي.

ب- تشرف المدرسة التومائية - وهي إحدى المدارس الفلسفية المعاصرة - على إصدار عشرين مجلة فلسفية دورية.

ج- ضم فهرس المصادر الفلسفية - الذي أصدره المجمع الدولي للفلسفة في سنة (١٩٣٨م) - قائمة بسبعة عشر ألفاً من الأبحاث الفلسفية.

- وهذه الأمثلة تدل على مدى إلحاح هؤلاء الفلاسفة على نشر أفكارهم؛ رغم ما تشتمل عليه من أباطيل وأغاليط

٤- التأثير المتبادل بين مختلف الفلسفات المعاصرة: وذلك نتيجة الاحتكاك الشديد القائم بين فلاسفتها واتجاهاتها الفكرية الأكثر تبايناً والأشد تعارضاً، وكذلك بسبب الصلات والعلاقات التي قامت بين مفكري مختلف البلدان الأوروبية؛ حيث شهد هذا العصر سلسلة من المؤتمرات العالمية الفلسفية التي ضمت أعداداً ضخمة من الفلاسفة.

- وكان من نتيجة هذا التبادل الفكري دخول الحركات الفلسفية المختلفة بعضها في بعض؛ فحدث التأثير المتبادل؛ بل وتولدت فلسفات جديدة تؤخذ من كل مذهب فكرة؛ حتى كثرت المذاهب المعاصرة وتشعبت وتداخلت؛ مما جعل بعض الباحثين يدرج بعض الفلاسفة المعاصرين تحت أكثر من مذهب.

هذا.. وبعد أن عرفنا سمات وملامح الفلسفة الغربية بقسميها (الحديثة والمعاصرة)؛ ننتقل الآن إلى عرض مواقف المسلمين من الفلسفة الغربية، وبيان مدى تأثير فلاسفة الغرب بالمسلمين، وتأثير المسلمين بالغرب؛ وذلك من خلال موضوعات الوحدة الثالثة.

خلاصة الوحدة الثانية

نستخلص مما سبق في هذه الوحدة ما يلي:

- ١- انتهجت الفلسفة الحديثة منهجاً جديداً في البحث عن حقيقة الكون وقيمة الكائنات.
- ٢- تغلغت الفلسفة الحديثة في جميع جوانب الحياة؛ من علم، وسياسة، واجتماع، وأخلاق، وآداب.
- ٣- ظهر في عصر الفلسفة الحديثة اتجاهان كبيران؛ هما: الاتجاه العقلي الرياضي، والاتجاه التحريبي، وقد اتفق هذان الاتجاهان على نبذ المنطق الأرسطي، واطراح الغيبات جانباً، وتوجيه الاهتمام نحو الطبيعة.
- ٤- تنحصر سمات الفلسفة الحديثة في:
 - أ- الاهتمام بالمنهج التحليلي، والدقة في البحث.
 - ب- العناية بنظرية المعرفة، والوقوف على حقيقة العلاقة التي تربط بين قوى الإدراك والأشياء المدركة.
 - ج- الآلية في المنهج، وابتكار القوانين التي يُظن أنها تحكم الأشياء.
 - د- الدعوة إلى الذاتية في التفكير، واستقلال الإنسان عن الله؛ وهذا من بوادر شيوع الإلحاد.
 - هـ- ابتكار النظريات الفكرية كبديل للمنطق الصوري القديم.
- ٥- كان مفكرو الفلسفة الحديثة أكثر اتزاناً من مفكري الفلسفة المعاصرة؛ لأن معظم جهودهم كان موجهاً إلى النهوض العلمي بأوروبا الجديدة، وكان الاتجاه الإلحادي ضعيفاً وكرد فعل لانحراف الكنيسة.
- ٦- غلب على مدارس الفلسفة المعاصرة في أوروبا الإلحاد الصريح؛ بسبب الغرور بتقدم

العلوم المادية، أو بسبب التشاؤم الذي ساد أوروبا في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

٧- تنحصر الاتجاهات العامة التي سيطرت على الفلسفات الغربية المعاصرة في:

أ - اتجاه إلحادي مادي.

ب - اتجاه إلحادي عبثي.

ج - اتجاه إلحادي تشاؤمي؛ وتفصيل هذه الاتجاهات كما يلي:

- اتجاه لا يؤمن إلا بالمادة وحدها، وينكر الخالق للكون.

- واتجاه يؤمن بالمصادفة من غير خالق حكيم مدبر.

- واتجاه يجعل معيار الحقيقة التجربة الحسية وحدها، وينكر الفكر والغيبات.

- واتجاه لا يعترف إلا بالألفاظ التي لها صورة حسية، ولفظ الإله والبعث وغير ذلك من الألفاظ الغيبية زائفة؛ لأنها لا توجد في الواقع الحسي.

- واتجاه لا يؤمن إلا بالمنفعة التي هي وليدة التجربة.

- واتجاه يرى أن حياة الإنسان لا معنى لها ولا هدف منها إلا الإلحاد، وأن وجود الإنسان على الأرض مأساة لا مفهوم لها.

- واتجاه يؤمن بأن الإنسان هو الذي يخلق ماهيته ووجوده من غير إله خالق؛ ثم بعد ذلك يصير إلى العدم.

- واتجاه لا يؤمن بأية قيمة أخلاقية أو حقيقية؛ فهو اتجاه عدمي صرف.

٧- تلخص ملامح الفلسفة المعاصرة في:

أ - الاهتمام بدراسة الشخصية الإنسانية.

ب - غلبة طابع التخصص الاصطلاحي التعقيدي.

ج - كثرة المؤلفات في نصره المذهب الفلسفي، والإلحاح في الدعوة إليه.

د - التأثير المتبادل بين مختلف الفلسفات المعاصرة؛ مما أدى إلى تفتتها وتشعبها وتقاربها وتداخلها.

الاختبار البعدي للوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخطأ في كل

مما يلي:

- ١- التزمت الفلسفة الحديثة نفس منهج الفلسفة اليونانية.
- ٢- تغلغلت الفلسفة الحديثة في كل جوانب الحياة.
- ٣- برز في بداية عصر الفلسفة الحديثة ثلاثة اتجاهات كبيرة.
- ٤- الاتجاه التجريبي يدعو إلى استخدام المنهج الرياضي.
- ٥- الاتجاه الرياضي يرد معايير المعرفة إلى العقل الإنساني.
- ٦- لا يلتزم الاتجاه التجريبي بالاستقراء.
- ٧- وافق الاتجاه الرياضي على منطق أرسطو.
- ٨- الفلسفة الحديثة لا تهتم بالمنهج التحليلي.
- ٩- نادى الفلاسفة المحدثون باستقلال الإنسان عن الله.
- ١٠- ابتكار النظريات الفكرية الحديثة يعني هجر المنطق القديم.
- ١١- فلاسفة العصر الحديث دعوا إلى الإلحاد الصريح.
- ١٢- نادى مفكرو الفلسفة المعاصرة بالتمسك بالإلحاد الصريح.
- ١٣- لا يوجد اتجاه غربي يؤمن بالمصادفة.
- ١٤- الفلسفة العملية هي التي لا تعترف إلا بالمنفعة الحسية.
- ١٥- يوجد اتجاه غربي يعتبر وجود الإنسان مأساة.
- ١٦- لم تهتم الفلسفة المعاصرة بدراسة شخصية الإنسان.

- ١٧- مصطلحات الفلسفة المعاصرة سهلة وواضحة.
١٨- جمع المجمع الدولي للفلسفة سنة (١٩٣٨م) ألف بحث فلسفي فقط.
١٩- يدل كثرة المؤلفات الفلسفية المعاصرة على ازدهار الفلسفة.
٢٠- التأثير المتبادل بين الفلسفات المعاصرة أدى إلى انتقاصها.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

(١) القرن السابع عشر هو العصر الذهبي للفلسفة:

- أ - لأنه بداية الإلحاد في العصر الحديث.
ب- لأنه يدعو إلى استقلال الإنسان عن الله.
ج- لأن الفلسفة انتهجت فيه منهجاً جديداً.
د - لأن الفلسفة اتجهت فيه إلى النهوض العلمي.

(٢) الاتجاه العقلي الرياضي:

- أ - يدعو إلى استخدام المناهج الرياضية.
ب- يرد معايير المعرفة إلى عقل الإنسان.
ج- يجعل الرياضة هي العلم اليقيني.
د- كل ما سبق.

(٣) برز في بداية عصر الفلسفة الحديثة:

- أ - الاتجاه المادي الإلحادي.
ب- الاتجاه الرياضي والاتجاه التجريبي.
ج- اتجاه ينكر القيم الأخلاقية.
د - اتجاه يعتقد أن وجود الإنسان مأساة.
(٤) آية المنهج في الفلسفة الحديثة؛ هي التي:

- أ - دعت إلى استخدام الآلة في المصنع.

- ب- تدعو إلى الذاتية في التفكير.
- ج- تجعل لكل شيء قانون وقاعدة.
- د - تهتم بنظرية المعرفة.
- (٥) الاتجاه الذي يعتبر وجود الإنسان مأساة:
- أ - اتجاه إلخادي مادي.
- ب- اتجاه تجريبي حسي.
- ج- اتجاه إلخادي تشاؤمي.
- د - اتجاه عقلي رياضي.
- (٦) غلبة المصطلحات المعقدة في الفلسفة المعاصرة:
- أ - دليل على أصالة هذه الفلسفة.
- ب- دليل على غموض هذه الفلسفة.
- ج- دليل على صلة هذه الفلسفة بالعلم.
- د- دليل على ازدهار هذه الفلسفة.
- (٧) تدل كثرة المؤلفات الفلسفية المعاصرة على:
- أ - عناء الفلسفة المعاصرة.
- ب- عبقرية الفلاسفة المعاصرين.
- ج- إلحاح الفلاسفة على نشر أفكارهم.
- د- محبة شعب أوروبا للفلسفة.
- (٨) اتأثير المتبادل بين الفلسفات المعاصرة:
- أ - نتيجة الاحتكاك الشديد بينها.
- ب- سبب العلاقات بين مفكري البلدان.
- ج- أدى إلى تداخل وتشعب المذاهب.

- د- كل ما سبق.
- (٩) الاتجاه الإلحادي في الفلسفة الحديثة:
- أ - كان مقصودًا لذاته.
- ب- كان قويًا وصریحًا.
- ج- كان رد فعل لانحراف الكنيسة.
- د - كان سببًا في النهوض العلمي.
- (١٠) الاتجاه الإلحادي في الفلسفة المعاصرة:
- أ - كان مقصودًا لذاته.
- ب- كان قويًا وصریحًا.
- ج- كان غالبًا في معظم المذاهب.
- د - كل ما سبق.

ثالثًا: الأسئلة التحليلية:

- (أ) فرق بين:
- ١- الاتجاه الرياضي، والاتجاه التجريبي.
- ٢- الإلحاد في الفلسفة الحديثة، والإلحاد في الفلسفة المعاصرة.
- ٣- الاتجاه الإلحادي المادي، والاتجاه الإلحادي العبيثي.
- (ب) اذكر سمات الفلسفة الحديثة.
- (ج) بين الاتجاهات التي سيطرت على الفلسفات المعاصرة بشيء من التفصيل.
- (د) اذكر ما تعرفه عن:
- أ - الذاتية في التفكير.
- ب- العناية بنظرية المعرفة.
- ج- الاهتمام بدراسة الشخصية الإنسانية.

د - غلبة طابع التخصص الاصطلاحي في الفلسفة المعاصرة.

رابعاً: أسئلة المقال:

اكتب مذكرات مختصرة عن:

- ١- كثرة المؤلفات الفلسفية المعاصرة.
- ٢- التأثير المتبادل بين مختلف الفلسفات المعاصرة.
- ٣- موقف الفلسفة الحديثة من منطق أرسطو.

النشاط التعليمي

للوحدة الثانية

عزيزي الطالب: حتى تكتسب المزيد من المعلومات، وتحقق الأهداف التعليمية الواردة في هذه الوحدة؛ عليك أن تقوم بممارسة النشاط التعليمي التالي: اكتب بحثاً تناول فيه موضوع: "الإلحاد سمة الفلاسفة المعاصرة".



الوحدة الثالثة

قضية التأثير والتأثر بين المسلمين وفلاسفة الغرب

مبررات دراسة الوحدة الثالثة:

لا يزال الفكر الغربي يعيش معركة قوية بين الدين والعلم؛ حيث لا يمكن لمفكر غربي أن يتقبل فكرة التقاء الدين مع العلم؛ ذلك لأن التوراة المقدسة - عند اليهود والنصارى - تذكر أن الشجرة التي منع آدم من أكلها هي شجرة المعرفة، فإنه بعد أن أكل منها ازداد بصيرة؛ لذلك ظلت أوروبا - في القرون الوسطى - تتحاور مدة قرنين من الزمان؛ هل تقبل العلوم الكونية القادمة من بلاد المسلمين أم تردّها عليهم؛ لأن القسيسين حكموا على هذه العلوم والمعارف بأنها المعصية الأولى..

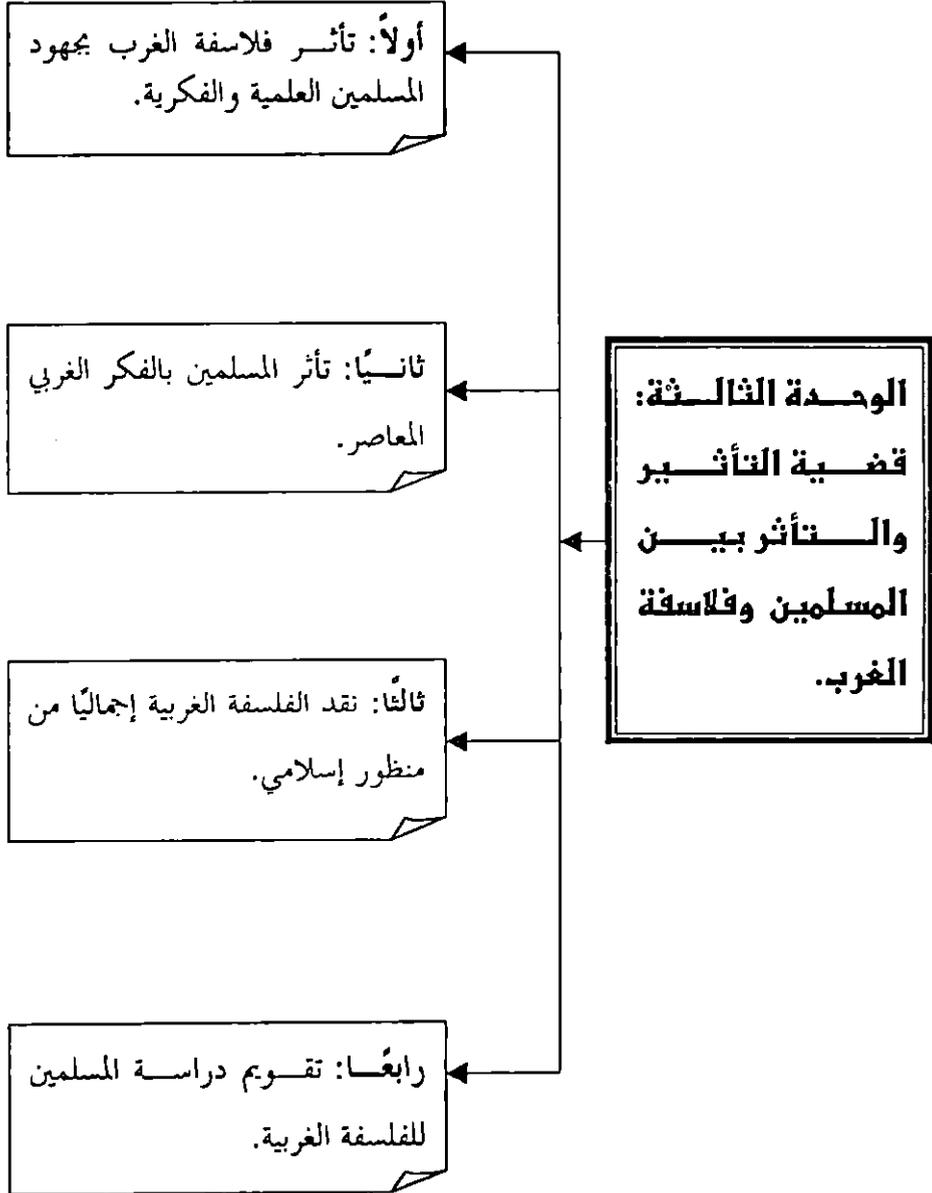
ولذلك عندما تتكلم مع غربي عن الدين والعلم يعجب ويقول: ماذا تقول؟ وذلك لأنهم لا يعرفون أن الإسلام كرم العلم والعلماء، وأن القرآن دعا إلى النظر في ملكوت السموات والأرض، وأمر بالتفكير في الأنفس والآفاق، وأن الصفة التي كرم الله بها آدم على الملائكة هي العلم، وأن القصة عندنا في القرآن الكريم تعاكس الذي جاء عندهم في التوراة بعد تحريفها.

وفي هذه الوحدة تعلم - عزيزي الدارس - كيف تأثر الغرب بجهود المسلمين العلمية والفكرية؛ في وقت كانت تغط فيه أوروبا في سبات عميق، وتتحبط في ظلمات القرون الوسطى، وتعرف - أيضاً - كيف تأثر المسلمون بالغرب في انحلاله وإباحتيه في جاهلية القرن العشرين؛ من أجل ذلك أدعوك إلى دراسة هذه الوحدة بجد واجتهاد؛ مستعيناً بالله تعالى.

الأهداف التعليمية للوحدة الثالثة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تبين كيف تأثر فلاسفة الغرب بجهود المسلمين العلمية والفكرية.
- ٢- تذكر نماذج من سبق المسلمين في تأسيس النظريات العلمية.
- ٣- توضح كيف تأثر المسلمون بالغرب في غالب أمور الحياة.
- ٤- تذكر أهم مظاهر تأثر المسلمين بالغرب.
- ٥- تنقد الفلسفة الغربية من منظور إسلامي.
- ٦- تقوم دراسة المسلمين للفلسفة الغربية.
- ٧- تقترح منهجًا صحيحًا لدراسة الفلسفة الغربية.



قضية التأثير والتأثر بين المسلمين وفلاسفة الغرب

الوحدة
الثالثة

إن اليقين الذي لا ريب فيه، والحق الذي لا باطل يشوبه؛ هو أن فلاسفة الغرب ومفكره وعلماءه قد تأثروا بعلماء المسلمين في شتى مجالات العلم، ولولا هذا التأثير لما تقدمت أوروبا هذا التقدم العلمي الذي نشاهده اليوم.

وكذلك من الحق الذي يصدقه الواقع تأثر المسلمين بالغرب في معظم شئون الحياة؛ بل وقد تأثر بعض المفكرين العرب بفلاسفة الغرب في ماديتهم وإلحادهم.

لذلك .. من الأهمية بمكان تخصيص هذه الوحدة لعرض بعض النماذج التي تبين كيف تأثر الغرب بحضارة المسلمين في العصر الوسيط وما بعده، وكيف تأثر بعض المسلمين ومفكري العرب بالحضارة الأوربية - عمومًا، والفلسفات الغربية - خصوصًا، ثم إتباع ذلك بنقد إجمالي للفلسفة الغربية، وبيان كيفية تقوم دراسة المسلمين للفلسفة الغربية؛ وبيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: تأثير فلاسفة الغرب بجهود المسلمين العلمية والفكرية:

لم يكن فكر المسلمين الأوائل جامدًا ومقتصرًا على الناحية الذهنية النظرية؛ من غير أن يتصل بالواقع المحسوس؛ كيف.. والقرآن الكريم يصرح بوجود مصدر كبير للمعارف والعلوم، ويحض المسلمين على فتح طريق البحث في هذا المصدر؛ وهو الكون وما فيه من عجائب وبدائع؛ فيقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]، ويقول عز وجل: ﴿سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فهذه الدعوة إلى عالم الحس والاستشهاد به على أن وراء العالم رب خالق حكيم عليم قدير؛ جعلت مفكري الإسلام يناقضون الفلسفة اليونانية التي تنحصر في التفكير النظري المجرد، وإغفال الواقع المحسوس.

- فكلما تدبر علماء المسلمين القرآن وجدوا النظرة الواقعية تتجلى فيه، فبدأوا في وضع قواعد الثقافة الحديثة، والمدنية والحضارة العريقة؛ على أسس صحيحة من الفكر العقلي الممتزج بالتجربة المحسوسة، ورفضوا المنطق الصوري القديم؛ فذمه الأوائل أمثال: ابن قتيبة، ونقد الشكل الأول منه أبو بكر الرازي، واعترض عليه باعتراض قوي؛ رده في العصر الحديث جون ستيوارت مل^(١)، ثم جاء ابن تيمية فنقد المنطق نقداً كلياً^(٢)، وأعلن أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين؛ بادئاً - بذلك - المنهج التجريبي؛ الذي تلقفه فيما بعد روجريكون، وفصله فرنسيس بيكون، وكان سبباً في تغير المنهج العلمي كلية، واعتبار الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله؛ لا التفكير النظري المجرد.

• وهذه أمثلة قد أثبتتها وقائع التاريخ لسبق علماء المسلمين الغرب في كل مجالات العلم؛ من طب ورياضة وطبيعة وغير ذلك^(٣):

(أ) كشف البيروني ما نسميه بزمان الانفصال، وكشف الكندي ما يسمى بتناسب الحسي مع الدافع، وكان ما كشفه كل من البيروني والكندي كمثليين على

(١) انظر: تجديد التفكير الديني في الإسلام - تأليف محمد إقبال - ترجمة عباس محمود: ص ١٤٨.

(٢) لابن تيمية كتابان مطبوعان في نقد المنطق؛ هما: كتاب "نقض المنطق"، وكتاب "الرد على المنطقيين".

(٣) انظر هذه الأمثلة وغيرها في: تجديد التفكير الديني في الإسلام - محمد إقبال: ص ١٤٧ - ١٥٥، البحث العلمي ومناهجه النظرية - د. سعد الدين صالح - ط مكتبة الصحابة: ص ٢٥ - ٢٩، الحضارة الإسلامية - طه عبد المقصود - ط دار الثقافة العربية: ص ١٦٠ - ٢٦٩، نظرات في المنطق الحديث ومناهج البحث د. محمد الأنور حامد - ط دار الطباعة المحمدية: ص ١٥ - ١٩، نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام - ماهر خليل - ط مجمع البحوث الإسلامية: ص ١٥٤ - ١٥٦.

تطبيق المنهج التجريبي على علم النفس؛ مما يدل على أن الزعم بأن أوروبا هي التي استحدثت المنهج التجريبي زعم خاطئ، وستأتي بعد قليل شهادة علماء الغرب أنفسهم على ذلك.

(ب) تأثر روجر بيكون بابن الهيثم؛ بل إنه نسخ كتاب "المناظر" لابن الهيثم بأكمله ووضعه في مجته الذي خصصه لعلم البصريات، وسبق ابن الهيثم الغرب في علوم الفلك والطبيعة والطب والرياضيات أمر لا ينكره إلا جاحد، وقد ألف ما يقرب من مائتي كتاب ورسالة في هذه العلوم، وتُرجم كتابه "المناظر" إلى اللاتينية ونشر سنة (١٥٧٢م) عندما كانت أوروبا غارقة في ظلمات القرون الوسطى.

(ج) وفي ميدان الرياضة؛ منذ زمن بطليموس (٨٧ - ١٦٥م) إلى نصير الدين الطوسي (١٢٠١ - ١٣٧٤م)؛ لم يفكر أحد تفكيراً جدياً في صعوبة البرهنة على صحة بديهية إقليدس عن الخطين المتوازيين على أساس الفراغ المدرك، وكان الطوسي هو أول من أزعج هذا السكون الذي خيم على عالم الرياضيات ألف سنة، وفي محاولته لإصلاح نظرية إقليدس أدرك ضرورة العدول عن الفراغ المدرك، وبهذا وضع أساساً لنظرية الحيز الزائد أو الفراغ الفوقى المأخوذ بها في عصرنا هذا، ونظرية الحيز الزائد في الهندسة هي التي تضيف بعداً رابعاً وهو الزمان إلى الأبعاد الثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) المأخوذ بها في هندسة إقليدس.

(د) وتعرض البيروني للبحث في فكرة الدالة - وهي فكرة رياضية حديثة - ورأى من ناحية علمية بجته فساد الرأي القائل بثبوت الكون، وفي هذا - أيضاً - افتراق واضح عن النظر اليوناني، وفكرة الدالة تدخل عنصر الزمان في تصورنا للكون، وتجعل الثابت متغيراً.

وقد ادعى شينجار أن نظرية الدالة الرياضية رمز لتقافة الغرب، ولم تشر إليها أية ثقافة أخرى إشارة ما، ولكن هناك ما يدحض هذا القول؛ وهو جهود البيروني في

الدوال المركبة على قواعد حساب المثلثات؛ حيث عمم هذا القانون فجعله يشمل كل دالة أخرى.

(هـ) - أضف إلى هذا أن التحول في نظرية اليونان عن الأعداد من حيث قيمتها العددية البحتة إلى علاقتها بعضها ببعض بدأ حقيقة بالتطور الذي أحدثته الخوارزمي بالانتقال من الحساب إلى الجبر.

(و) وفي مجال الطب؛ نرى الرازي هو أول من ابتكر خيوط الجراحة من أمعاء، وأول من استخدم المراهم في علاج الأمراض، وأول من شرح مرض الجدري وميزه عن الحصبة، وله كتاب "الحاوي" في عشرة مجلدات؛ الذي ترجم إلى اللاتينية، وكان يدرس في أوروبا حتى القرن السابع عشر.

(ز) - وكذلك ابن سينا الذي اكتشف كثيرًا من الأمراض وأساليب العلاج، ودون ذلك في كتابه القيم "القانون"، وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية، وظل يدرس في جامعات أوروبا لفترة طويلة.

(ح) - أضف إلى ذلك مبتكرات ابن النفيس - مكتشف الدورة الدموية؛ التي تسب خطأ وعدوانًا إلى هارفي الإنجليزي، ولقد كتب ابن النفيس ثمانين جزءًا في موسوعة طبية، ومارس التشريح العملي في يوم كانت تغط فيه أوروبا في نوم عميق.

- وهكذا استطاع العلماء التحريبيون المسلمون بالتعاون مع علماء أصول الفقه أن يضعوا المنهج العلمي التحريبي، وأن يحددوا كل خطواته ومراحله وشروطه، وكذلك استطاع العلماء والباحثون المسلمون في كل مجال من مجالات العلم أن يضعوا أسس النظريات العلمية التي قامت عليها الحضارة الأوروبية.

وهذه بعض المخترعات التي اخترعها المسلمون أو طوروا استخدامها؛ ولم تكن أوروبا تعرف عنها شيئًا: صناعة الزجاج - صناعة الورق - الطواحين المائية والهوائية - البارود - البنادق - الاسطرلاب - البوصلة - الساعة - النظارات - أنابيب الاختبار

— أفران التقطير — الموازين الحساسة لحساب الوزن النوعي — المزواة ، وغير ذلك كثير^(١).

والذي فعله روجر بيكون وفرنسيس بيكون وديكارت وجون ستوارت مل وغيرهم من علماء وفلاسفة الغرب إنما هو تفصيل لما ابتكره وأسسهُ المسلمون قبلهم بقرون، وبناء على قواعدهم العلمية التي قعدوها وأرسوها.

• وقد شهد كثير من علماء الغرب المنصفين بأن المسلمين هم السابقون في وضع أسس النظريات العلمية في شتى فنون العلم؛ وهذه بعض العبارات التي صرحوا فيها بذلك:

(١) يقول دوهرنج: "إن آراء روجر بيكون في العلوم أصدق وأوضح من آراء سميهِ المشهور (فرنسيس بيكون)، ومن أين استقى روجر بيكون ما حصله في العلوم؟ من الجامعات الإسلامية في الأندلس، والقسم الخامس من كتابه الذي خصصه للبحث في البصريات هو في حقيقة الأمر نسخة من كتاب المناظر لابن الهيثم، وكتاب بيكون في جملته شاهد ناطق على تأثره بابن حزم"^(٢).

(٢) ويقول بريفولت: "إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس، وليس لروجر بيكون ولا لسميهِ الذي جاء بعده (فرنسيس بيكون) الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين في أوروبا المسيحية، وهو لم يملّ قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة، والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة

(١) انظر: علمانيون أم ملحدون - محمد إبراهيم ميروك - ط دار ثابت: ص ٥٠.

(٢) تجديد التفكير الديني في الإسلام - محمد إقبال: ص ١٤٨، ١٤٩.

الأوربية، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون قد انتشر انتشاراً واسعاً، وانكب الناس في لطف على تحصيله في ربوع أوروبا^(١).

• ويقول - أيضاً: "ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون... في العلوم الطبيعية وفي روح البحث العلمي"^(٢).

(٣) ويقول رينيه جينيرو في مقاله "أثر الثقافة الإسلامية في الغرب": "لولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زمنًا طويلاً، ربما لم يدركوها كلية".

• ويقول - أيضاً: "من السهل جداً أن نوضح أن كثيراً من المعارف الجغرافية الخاصة بمناطق السحيقة في آسيا وأفريقيا عرفت من الرحالة العرب الذين ارتادوا كثيراً من الأقطار، وحمّلوا معهم معلومات قيمة".

• ويقول - كذلك: "أما من ناحية الاختراعات - وهي تابعة للعلوم الطبيعية - فقد انتقلت - أيضاً... بواسطة المسلمين، وما تزال قصة الساعة المائية التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان عالقة بالأذهان ثابتة الوقائع"^(٣).

(٤) ويقول سيديو: "نحن مدينون للمسلمين والعرب في الحقل العلمي...، إن العرب والمسلمين كانوا أساتذة أوروبا كلها في جميع فروع المعرفة".

(٥) ويقول أوليري: "لو أزيل المسلمون والعرب من التاريخ لتأخرت النهضة الأوربية في أوروبا بضعة قرون، وإنه حتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن

(١) السابق: ص ١٤٩.

(٢) السابق: ص ١٥٠.

(٣) نظرات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام: ص ١٥٤.

سينا لا تزال تناقش في جامعة مونبوليه بفرنسا".

(٦) ويقول مايرهوف: "إن المسلمين والعرب أسدوا جليل الخدمات إلى بحوث الضوء ونظرياته، هذا العلم الذي يتجلى لنا فيه عظمة الابتكار الإسلامي، ولولا المسلمون لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن"^(١).

(٧) ويقول فلنت عن ابن خلدون: "إن أفلاطون وأرسطو وأوجستين ليسوا نظراء لابن خلدون، وكل ما عداهم غير جدير حتى بأن يذكر إلى جانبه"^(٢)، ومعلوم أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع من غير نزاع.

(٨) ويقول جوستاف لوبون: "يعزي إلى بيكون - على العموم - أنه أول من أقام التجربة والترصد مقام الأستاذ، ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك من عمل العرب وحدهم"، ويقول في موضع آخر: "قام منهج العرب على التجربة والترصد... واختبر العرب الأمور وجربوها، وكانوا أول من أدرك أهمية هذا المنهج في العالم، وظلوا عاملين به وحدهم وقتاً طويلاً"^(٣).

- وهكذا ... قد بان لنا من غير ريب أن وقائع التاريخ وشهادات المنصفون من علماء الغرب تؤكد تلك الحقيقة التي غابت عن أذهان الكثيرين من باحثي الشرق والغرب؛ وهي: تأثر علماء أوروبا ومفكريها بعلماء المسلمين ومفكريهم، ورفعهم دعائم التقدم العلمي على الأسس التي أرساها المسلمون القدماء، والحق ما شهدت به الأعداء.

(١) عبارات سيدو وأوليري ومايرهوف في: شبهات في الفكر الإسلامي - أنور الجندي - ط دار الاعتصام: ص

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام - د. عبد الحليم محمود - ط دار المعارف: ص ١٩٧ .

(٣) نظرات في المنطق الحديث ومناهج البحث: ص ١٥.

ثانياً: تأثير المسلمين بالفكر الغربي المعاصر:

إن أسوأ ما ابتلي به المسلمون في العصر الحديث هو أن القرن الذي بلغت فيه أوروبا أحط دركة من المادية والإلحاد؛ كان هو القرن الذي منيت فيه ممالك الإسلام من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب بغلبة أمم أوروبا في الحكم والسياسة، فكان هجوم الغرب على الشعوب المسلمة في ميدان القلم والسيوف معاً؛ وأصبح محالاً للعقول التي راعتها غلبة الغرب العسكرية والسياسية وبمقتها ألا تتأثر بروعة الفلسفة والعلوم الغربية، وبيريق المدينة التي نشأت في أحضانها، فبدأ يجلس التلامذة الشرقيون أمام أساتذتهم الغربيين بعقول مفتتة منبهرة.

وتربى جيل المسلمين الجديد على التأثير بالأفكار الغربية، وظلت عقلياتهم تلون بلون الغرب؛ من غير أن تفتح بصائرهم الناقدة التي تميز بين الصحيح والزائف، ومن غير أن يجدوا في أنفسهم من الأهلية والكفاءة ما يفكرون به تفكيراً حراً مستقلاً منبعثاً عن اجتهاد شخصي.

وكان من عواقب ذلك ما نشاهده اليوم من ضعف المسلمين، وتزلزل أركان حضارتهم^(١).

نعم.. لا يشك أحد في أن السواد الأعظم من المسلمين لا يزال -إلى هذا اليوم- يعتقد الاعتقاد الصحيح ويريد أن يبقى مسلماً كما يأمر الإسلام؛ ولكن بعض الشخصيات التي وضعها الغرب موضع القدوة لشباب المسلمين قد انحرفوا انحرفاً شديداً عن جادة الإسلام، وأثروا في عقول الناشئة تأثيراً كبيراً؛ واستغلوا أجهزة الإعلام الخداعة في ترويج أفكارهم التي تلقفوها عن فلاسفة الغرب أسوأ استغلال.

وحتى لا أكون مبالغاً في ذلك فسأذكر بعض النماذج التي تأثر فيها بعض المفكرين المسلمين بفلاسفة الغرب؛ بل تأثر فيها بعض العرب بإلحاد الملحدين الغربيين..

(١) انظر: نحن والحضارة الغربية - أبو الأعلى المودودي - ط دار الفكر: ص ٢٢، ٢٣.

• نماذج من تأثر بعض المفكرين العرب بالغرب:

(١) تأثر بعض المفكرين بالغرب في التحقير من شأن الدين، ومحاولة حصره في المكان الذي نشأ فيه، وإثارة الشكوك في نفوس معتقيه؛ ومن ذلك تقليد الدكتور طه حسين للمستشرقين الذين يطعنون في الدين الإسلامي؛ مثل المستشرق جب الذي ادعى أن الإسلام دعوة غير عالمية؛ جاءت لأناس معينين في مكة لتجديد عوامل الحياة المكية السياسية والاقتصادية والدينية؛ وادعى أن القرآن فيه أخذاً من الوثنية العربية، والمسيحية العربية، واليهودية العربية؛ ويردد طه حسين كلام جب ليقرر أن القرآن مؤقت بزمان ومكان، وأنه من وضع محمد ﷺ^(١)، وهد مخالف لقول الله تعالى في القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٢ - ٣]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

- وقد اتخذ الدكتور طه حسين عبارة ديكارت: "اتخاذ الشك طريقاً إلى اليقين" وسيلة لإنكار كل قطعي حقيقي وقيمي، ولقطع الطريق على القيم الجامعة المتكاملة، ولأن يترك الباحث المسلم دينه عندما يبحث في أي أمر من الأمور. والحقيقة أن طه حسين قد أخطأ في فهم منهج الشك عند ديكارت من ناحية، وأخطأ حين جعل فلاسفة الغرب هم قدوته في الأمور التي تخص الدين والمنهج الذي يوصل إلى الحق من ناحية أخرى^(٢).

- وقد داهن طه حسين أستاذه اليهودي الفيلسوف الشهير دوركايم في رسالته

(١) انظر: الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة - د. عبد القادر محمود - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب: ص

٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) انظر. نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام - ماهر حليل: ص ٥٣، ٥٤.

للدكتوراه" فلسفة ابن خلدون الاجتماعية"؛ فأخذ يطعن في ابن خلدون لا لشيء إلا لأنه استمد منهجه من القرآن الكريم وليس من أي مصدر آخر، فأنكر فضل الرجل الذي نال من علماء الغرب غاية التقدير والاحترام^(١).

(٢) تأثر بعض المفكرين بالغرب في نبد الأوامر الشرعية، وفصل الدين عن حياة الناس وأخلاقهم وعاداتهم، واعتبار الالتزام بأوامر الشرع رجعية وتخلف؛ كما أن فلاسفة الغرب ينظرون إلى الدين على أنه رجعية وتخلف وردة إلى عصر القرون الوسطى؛ لذلك يرى الدكتور زكي نجيب محمود أن تحجب المرأة أو الفتاة ردة عن التقدم، ورجوع بها إلى عصر الحريم؛ عصر الخضوع للرجل، وفقدان لذاتها وحريتها، وأنها بهذا تضيع النهضة التي قامت بها^(٢).

فهو يعتبر المرأة التي تطيع أمر الشرع، وترضي رجا متخلفة عن ركب التقدم ومضيعة للنهضة؛ وكأن التقدم والنهضة لا يقومان إلا على الانحلال والتحرر من أوامر الدين وقيم الأخلاق؛ كما نادى بذلك فلاسفة الغرب المعاصرون.

(٣) ومفكر آخر يدعى عبد الرحمن منيف (عراقي)؛ يمدح في العلمانية، ويرى أن تقدم الأمم العربية لا يمكن إلا إذا قامت على ركائز علمانية، ويقول في صراحة: "لا يسعنا تصور مجتمع قائم على أسس دينية في زمننا الحاضر، فالدين بات مسألة شخصية لا يتعدى هذه التخوم"، ويقول - أيضاً: "لست أرى في الزكاة - مثلاً - سبيلاً لحل مشكلة الفقر، كما لا أعتقد أن ما راج في فجر الإسلام قابل للتطبيق حالياً"^(٣).

والذي حمله على ذلك هو تأثيره بالماركسية التي انشغل بدراساتها فترة من عمره في بلاد أوروبا.

(١) انظر: السابق: ص ٧٥ - ٨٠.

(٢) انظر: السابق: ص ٨٠، وانظر - أيضاً: علمانيون أم ملحدون: ٩٨ - ١٠١.

(٣) كتاب "رأيهم في الإسلام" للمستشرقين لوك باربولسكو وفليب كارديال - ط دار الساقى: ص ١٦، ٢١.

(٤) وقد كتب الأديب نجيب محفوظ كتابات أدبية رمزية ينصر فيها الماركسية الشيوعية، ويحقر فيها من شأن الدين، ويحامل فيها اليهود؛ وأبرز الأمثلة وأشهرها في ذلك رواية "أولاد حارتنا"؛ التي رمز فيها للذات العلية بشخصية جد معمر موصوف بالطغيان والظلم، ورمز فيها للشيوعية بالعلم والمعرفة في شخصية واحد من أحفاده يسمى "عرفة"، ورمز فيها للدين بالأفيون والمخدرات؛ انطلاقاً من مقالة ماركس: "الدين أفيون الشعوب"، وصور فيها الأنبياء على أنهم أشخاص منحرفون يتعاطون المخدرات ويشربون الحشيش، ويبيّن فيها انتصار الشيوعية على الدين، وموت الجد المعمر (جبلاوي)؛ مما يدل على أن الخالق للكون أسطورة ووهم؛ إلى غير ذلك من الإلحاد والانحراف.

وقد جامل نجيب محفوظ اليهود في هذه الرواية، واعتبر المسيح - عليه السلام - ابن يوسف النجار، وأن اليهود قتلوه على عكس ما ذُكر في القرآن؛ ولذلك استحق جائزة "نوبل" عن جدارة؛ لأن أعضاء لجنة نوبل جميعهم من اليهود، وكان اليهود هم أول المهنيين له بالفوز بالجائزة، وسنعمل في القسم الثالث علاقة اليهود بالماركسية الشيوعية.

- وقد أجمع أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وأعضاء رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة؛ على أن هذه الرواية كفر بواح وهرطقة وقحة، وطالب مجمع البحوث الإسلامية بمصادرتها؛ وقد حدث بالفعل^(١).

(٥) والدكتور فؤاد زكريا يقسم التاريخ إلى مراحل خمسة: شيوعية، ورق، وإقطاع، ورأسمالية، واشتراكية، ثم يعتبر الاشتراكية هي أفضل المراحل، وأنها نزع إنسانية، ويذكر إيجابياتها، ولا يذكر لها أية سلبيات^(٢).

(١) انظر: علمانيون أم ملحدون - محمد إبراهيم مبروك: ص ١٢٠ - ١٣٦.

(٢) انظر: آفاق الفلسفة - للدكتور فؤاد زكريا: ص ١٣ - ٧٣، وانظر - أيضاً: علمانيون أم ملحدون: ص ١١٢.

ولا شك أنه متأثر في ذلك بالماركسية؛ التي سببها بالعرض والنقض في القسم الثالث من هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى.

- وتوجد نماذج أخرى كثيرة تكشف كيف تأثر بعض مفكري الإسلام والعرب بفلاسفة الغرب المعاصرين، وكيف كان لذلك كبير الأثر على عموم المسلمين في النواحي الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، وغير ذلك.

• وأهم مظاهر تأثر عموم المسلمين بالغرب؛ هي:

أ - ما تشتمل عليه أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية من إباحية ومجون وعري، ودعوى صريحة إلى التشبه بالغرب في زيهم وأعيادهم وعاداتهم، واعتبار ذلك مدنية ورقية وتقديم^(١).

ومعلوم أن الإباحية الغربية إنما هي وليدة الفلسفات الهدامة؛ مثل: الوجودية والماركسية وغيرهما.

ب- الانبهار والافتتان بكل ما يأتي من الغرب، والالتزام به؛ رغم ما فيه من مخالفات صريحة للدين الإسلامي، ولقيم الأخلاق المستقيمة التي فطر الناس عليها، وأبرز مثال على ذلك هو التشبه بهم في زيهم وهيتهم^(٢).

ج- الإقبال الشديد على تعلم اللغات الغربية والتحدث بها، وإهمال اللغة العربية؛ لغة القرآن الكريم.

د- تقليد الغرب في نظمهم: السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية؛ مهما كان فيها من أخطاء وسلبيات؛ مثل تقليدهم في الاشتراكية، والرأسمالية، والديمقراطية، وغير ذلك من النظم والأفكار^(٣).

(١) انظر: نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام: ص ٤١ - ٤٦.

(٢) انظر: السابق: ص ٥٣.

(٣) انظر: السابق: ٥٦، ٥٧.

-- وعلى الجملة.. فإن العامة وكثيراً من المثقفين المسلمين قد انبهروا بالتقدم العلمي في الغرب؛ فقلدوا أهله في كل شيء ومن غير حساب، وتأثروا بهم في ماديتهم وإباحيتهم، وقوى ذلك أمران:

الأمر الأول: دراسة صفوة المثقفين المتفوقين في أوروبا، ثم رجوعهم إلى البلاد الإسلامية ليقوموا بدور المبشرين بالقيم التي رأوها وتأثروا بها، والاجتهاد في الترويج لها من خلال مراكزهم العلمية والاجتماعية التي وصلوا إليها.

الأمر الثاني: سعي الغرب الخبيث إلى تدمير النظم الاجتماعية والأخلاقية في البلاد الإسلامية، وترويج الإباحية والمادية مكانها، وشغل الناس بها، وإبعادهم عن الدين والقيم الأخلاقية النبيلة؛ بحيث يكون المسيطر على نفوسهم، والشاغل لباهم دائماً؛ هو المادة وما يخص الحياة الدنيا من لذات وشهوات، وجعل النفوس بمعزل تام عن الغيبات، وما بعد الموت من بعث وجنة ونار^(١).

ثالثاً: نقد الفلسفة الغربية إجمالاً من منظور إسلامي:

من خلال ما سبق من عرض سمات الفلسفة الغربية (الحديثة والمعاصرة) في الوحدة السالفة، ومن خلال ما تبين لنا في هذه الوحدة من تأثر فلاسفة الغرب بالمسلمين، وتأثر المسلمين بالغرب؛ يمكن أن نقدر الفلسفة الغربية إجمالاً - قبل عرض أشهر الفلسفات الغربية بالتفصيل في القسم الثاني من هذا الكتاب - على النحو التالي:

(١) الخطأ في البداية: فقد قامت الفلسفة الغربية وما وافقها من نخضة علمية كرد فعل لفساد الكنيسة؛ التي كانت تعتقد أن الطبيعة البشرية فاسدة فساداً دائماً بسبب الخطيئة الأولى؛ خطيئة آدم، وقوام هذه النظرة العمل على محاربة الطبيعة البشرية وقتل الميول الجنسية..

(١) انظر: من انطلاقة حضارية شاملة - د. عبد الكريم بكار - ط دار المسلم: ص ١٦٢، ١٦٣.

فدلاً من أن تحاول المذاهب الفلسفية تصحيح خطأ الكنيسة، والانطلاق من مفهوم ديني صحيح يوافق الفطرة السليمة؛ جاءت بالوثنية المادية التي اندفعت إلى تحرير الطبيعة البشرية بمتك ثياب الأخلاق وإعادة الإنسان إلى المجتمع البدائي المنطلق نحو الطعام والجنس بكل ما في شريعة الغاب وحياة الغابة؛ من عبودية وإباحة.

فجاء ماركس وفرويد ودوركايم وسارتر - كما سنرى عند تفصيل مذاهبهم - ليدفعوا النفس البشرية دوماً إلى التحلل والإباحية دون تقدير أثر ذلك على الأمم والجماعات؛ أو بتقديره من أجل مخططات سرية تهدف إلى تحقيق أطماع بشرية حقيرة^(١).

(٢) العلم يدعو إلى الإيمان: إن العلم التجريبي الذي ازدهر نتيجة النظر الصحيح في الكون قد ضل السبيل؛ وذلك لأن حملته من المفكرين والعلماء الغربيين قد وجهه إلى غير وجهته، وساروا به في غير مساره؛ لأن الله تعالى قد خلق المخلوقات لتكون مظاهر لقدرته، وآثاراً دالة على وحدانيته وعظمته؛ وجعل العلم بها سبباً للوصول إليه، وطريقاً يوصل إلى الإيمان به، فاتخذ أرباب العلوم التجريبية هذه العلوم حرباً على الأديان، وسبباً لمحو الإيمان من النفوس.

فدلاً من أن يكون العلم هو اداعي إلى الإيمان؛ جعلوه داعياً إلى الإلحاد والخرود والنكران؛ فأصبحت البشرية في متاهة تبحث عن الدين الحق؛ الذي يدعو إلى العلم، والعلم يدعو إليه^(٢).

ولا يوجد على وجه الأرض دين يدعو إلى العلم، ويوافق الفطرة النقية، ويوصي بالأخلاق القويمة، ويحمل على الخصال الحميدة؛ سوى الإسلام.

(١) انظر: أخطاء المنهج الغربي - أنور الجندي: ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(٢) انظر: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - د. عبد المجيد الزنداني - ط هيئة الإعجاز العلمي لرابطة العالم الإسلامي: ص ٤٤.

(٣) الاغترار بالعقل القاصر: بعد أن ابتعد الغرب عن الدين - أي دين، وعن الاهتمام بما وراء المادة والطبيعة؛ اتخذ من الوثوق بالعقل والعلم ومنتجتهما البديل الذي سوف يجيب عن كل تساؤلات الإنسان الفكرية، ويولي كل حاجاته الروحية والمادية؛ فاغتر بالعقل الأوربي، وافتن بما وصل إليه من علم؛ حتى قال سارتر: "على هذه الأرض ثلاثة مليارات: نصف مليار من البشر (يقصد بهم الأوربيين)، وملياران ونصف من السكان!"^(١).

وقادهم هذا الغرور إلى التفرقة بين الأبيض والأسود، وإعلاء العنصر الأبيض، وتشويه الحقيقة العلمية والحقيقة التاريخية لخدمة الاستعمار أو الصهيونية العالمية أو هوى الغرور الذاتي، والاستحابة لمركب الاستعلاء بالجنس والعنصر والحضارة^(٢). وهذه العقدة منحت المواطن الغربي نوعاً من الوثوق المطلق بالفلسفة الغربية وآرائها في الكون والإنسان والحياة.

لكن تبين لهم - بعد طول إخفاق - قصور العلم والعقل عن كل تساؤلات الإنسان ومتطلباته الروحية والمادية؛ فتملكهم اليأس والحيرة، وأسرتهم الشهوات، وأصبح لا يحرك الكثيرين منهم - كما يقول نيكسون (الرئيس الأمريكي الأسبق) - إلا دوافع من الأنانية والعلمانية والمادية، والمال عندهم هو الخير الوحيد^(٣).

فلا شك أن العقل قاصر ومحدود، وأن العلم البشري ناقص مهما زادت اكتشافاته، ولا سبيل إلى السعادة الحقيقية إلا بالرجوع إلى حكم وشرع العليم الخبير الذي لا نهاية لعلمه وقدرته، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

(١) من أجل انطلاقة حضارية - د. عبد الكريم بكار: ص ٤٦.

(٢) انظر: أخطاء النهج الغربي: ص ٤٢٧.

(٣) انظر: من أجل انطلاقة حضارية: ص ٤٦، ٤٧.

فالإيمان بالله واليوم الآخر، والالتزام بأوامر وتشريعات الوحي الإلهي؛ هو السبيل الوحيد إلى النعيم الحقيقي، وهو المصدر الوحيد الذي يستطيع أن يجيب عن تساؤلات الإنسان ويلي حاجاته الروحية؛ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

فمن هنا ندرك خطأ الفلسفة الغربية حين اغترت بالعقل والعلم، ونبتت الدين والأخلاق.

(٤) ظنية الفلسفة الغربية: من المعلوم للباحثين والمفكرين أن الفلسفة لا متياس لها؛ فهي ظنية، ولا يمكن أن توصل إلى الحق واليقين بسبب قصور اجتهادات الفلاسفة - أولاً، وبسبب اختلاف الآراء فيها - ثانياً؛ حتى أن الاختلاف في المسألة الواحدة يكون داخل المدرسة الواحدة، وكل فيلسوف متأخر يهدم آراء سابقه؛ ولهذا أخفق منهج أرسطو، وأخفق منهج ديكارت، وأخفقت مناهج كثير من مشاهير الفلاسفة^(١). وإذا كان الأمر كذلك.. فكيف الوثوق بأمر ظني وترك الدين الذي هو وحي من الله تعالى وأمر قطعي؟! لا شك أن هذا خطأ كبير في المنهج.

(٥) فشل الفلسفة الغربية من الناحية التطبيقية: تعد إخفاقات الفلسفة الغربية في الميدان الاجتماعي والأخلاقي هي الأكثر بروزاً؛ حيث زاد أعداد الأطفال غير الشرعيين من أمهات مراهقات، كما كثرت حالات الإجهاض، وحالات تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وأهمل الآباء والأمهات تربية أطفالهم، وانتشر إدمان المخدرات، وأفضى ذلك إلى ارتفاع معدلات الجريمة بصورة شبه مطردة منذ الحرب العالمية الثانية، وساد الاكتئاب وعدم الاتزان والتوتر العصبي والنفسي، وزاد عدد المنتحرين يأساً من الحياة.

وسادت في الغرب روح استهلاكية عارمة؛ من أجل التعويض عن الخواء

(١) انظر: نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام: ص ٥٠، ٥١.

الروحي الرهيب الذي يعاني منه المواطن الغربي، ويكفي أن نعلم أن بعض الدراسات التقديرية انتهت إلى أن ما استهلكه الأمريكيان خلال قرن واحد يعادل ما استهلكته البشرية كلها في تاريخها الطويل! وأن أمريكا وحدها أنفقت على الدعايات عام (١٩٩٢م) ما يقرب من (٨٦) بليون دولار! وانتشرت - نتيجة ذلك كله - في العالم الغربي الأمراض الفتاكة التي أخذت تحصد مئات الألوف سنوياً^(١).

كما شاعت الحروب المدمرة، وانتشرت الشحناء والبغضاء بين الأفراد والمجتمعات والبلدان.

ولا يوجد سبب لذلك كله إلا أن الناس اجتهدوا في تطبيق شيوعية ماركس وإباحية دور كلين وسارتر وغيرهم من فلاسفة الغرب المعاصرين؛ فعوقب الناس بحرائر أفعالهم، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

- وأما بالنسبة للمجال الاقتصادي؛ فإن التقدم العلمي الهائل، والأموال المنهوبة من البلاد التي احتلها الغرب في العصر الحديث؛ قد ساعدت على زيادة دخل المواطن الغربي بدرجة عالية، والتمتع بكُماليات لم يكن باستطاعة الإنسان مجرد تخيلها قبل قرن من الزمان..

إن الغرب يزهو بإنجازاته الحضارية، ويعيب على الآخرين تقصيرهم في عدم تمكنهم من اللحاق به؛ دون أن يحسب حساب النتائج المترتبة على سلوكه الجنوني في ميداني الإنتاج والاستهلاك؛ فقد اكتشف العلماء أن المصادر الطبيعية محدودة، وأن الدول المتقدمة التي يشكل سكانها قرابة (١٠%) من سكان الأرض يستهلكون (٨٠%) من المصادر الطبيعية.

(١) انظر: من أجل انطلاقة حضارية شاملة: ص ٤٨، ٤٩، نقد الثقافة الإلحادية - د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم -

وكل هذا دليل على الإسراف والتبذير والشره والجشع؛ من أجل إشباع شهوات التي نادى بما دعاة الفلاسفة العبيثة.

وقد انقلب ذلك إلى تدهور اقتصادي ملحوظ في أمريكا؛ حتى توقع الجنرال الأمريكي المتقاعد هاملتون هود سقوط أمريكا تدريجياً عام (٢٠٢٠م)، وذكر روس بيرو - أحد السياسيين الكبار في أمريكا - أن الاقتصاد الأمريكي ينتقل من الطفرة إلى انقاقة^(١).

هذا بالنسبة لأمريكا، أما بالنسبة إلى الاتحاد السوفيتي الذي طبق اشتراكية ماركس فإن اقتصاده - الآن - قد سقط إلى الهاوية؛ كما سقطت الشيوعية، وتبين زيفها وأوليائها قبل أعدائها.

(٦) أضرار الفلسفة الغربية على البشرية: واضح مما سبق أن فضل الحضارة الغربية على البشرية لم يكن أعظم من فضل الحضارة الإسلامية، وأن التقدم العلمي المذهل الموجود الآن في العالم، والتمثل في المخترعات الحديثة، لم يكن ثمرة جهود العلماء التحريبيين الغربيين وحدهم؛ بل هو مدين لجهود علماء الإسلام الأوائل عندما كانت أوروبا تغط في سبات عميق.

وعلى هذا.. فإن البشرية قد استفادت من خير الإسلام وعطائه في جميع مجالات الحياة؛ فقد كان الإسلام سبباً في هداية الملايين من الناس في جميع أنحاء العالم، وانتشالهم من أودية الظلام والجهالة إلى ربوات النور والعلم؛ كما كان علماء المسلمين هم الواضعين لأسس التقدم العلمي الذي ينعم به الإنسان في هذه الأيام.

أما الفلسفة الغربية فإن أضرارها على البشرية أعظم بكثير من منافعها؛ فإنها أخرجت الناس من دين الكنييسة المحرف إلى ظلمات المادية والإلحاد، ومن الفطرة النقية التي تدعو إلى الأخلاق المستقيمة والآداب الرفيعة إلى تدنيس الفطرة بفلسفات الإباحية

(١) انظر ما سبق في: من أجل اطلاق حضارية شاملة: ص ٥٠ - ٥٣.

والانحلال الخلقي، وأمدت الإنسان بالآلات التي تيسر له سبل الحياة؛ وفي ذات الوقت زودته بالأجهزة التي تمحو الدين، وتدمر الأخلاق، وتملك النفوس والأرواح، و اخترعت له المحركات التي تحيي حياة كريمة؛ وفي ذات الوقت ابتدعت له الأسلحة التي تفتنيه وتبيده إبادة شاملة.

إن ما تشتمل عليه الحضارة الغربية من إيجابيات إنما هي موروثات الإنسانية وثمره جهود البشرية - وخاصة علماء الإسلام؛ قد جنتها أيدي الرجل الأبيض ثم لوثتها بانحرافات الفلسفات الغربية الهدامة.

رابعاً: تقويم دراسة المسلمين للفلسفة الغربية :

نحن - إذاً - في العالم الإسلامي أمام خطر شديد، وهو خطر تسرب مثل هذه المذاهب الفلسفية المعاصرة - التي أشرت إلى اتجهاتها في الوحدة السابقة، وسيأتي تفصيلها في القسم الثاني - إلى أذهاننا؛ بحيث تشل قدرتها الذاتية على التفكير، وتحرف بها إلى الإلحاد والهدم، وقد حدث شيء من ذلك بالفعل؛ فمعظم المذاهب الغربية لها أنصارها ودعاتها في عالمنا العربي والإسلامي، وهو أمر لا ينبغي أن نخون منه، أو من آثاره على مجتمعاتنا الإسلامية على المدى القريب أو البعيد؛ لأن معاول هدمها في هذه الحالة في أيدي بعض أبنائنا ممن تمذهبوا بمذاهب معادية للإسلام؛ آلوا على أنفسهم أن ينشروها مهما تكن النتائج؛ إما لإيمانهم بها، أو لتحقيق منافع ذاتية، أو لأنهم مجرد أدوات في أيدي أعداء الإسلام يسخروهم لتنفيذ مخططات احتلالية من نوع جديد^(١).

وأبرز وسيلة تنتشر بها الفلسفة الغربية في البلاد الإسلامية؛ هي تدريسها في الجامعات والمعاهد العلمية بطريقة تجذب طلاب العلم إليها، وتحملهم على الاقتناع بها،

(١) انظر: منحة إسلامي في تدريس الفلسفة الأوروبية - د. أبو الوفا الثفتازاني: ص ٧٤.

ويمكن حصر الاتجاهات التي التزمها بعض الأساتذة في البلاد الإسلامية وأثرت في طريقة تدريسهم للفلسفة الغربية؛ فيما يلي:

(أ) اتجاه يغلب عليه التقليل من شأن العرب باعتبارهم من الجنس السامي، ويرى أنهم ليسوا أهلاً للفكر الفلسفي المترابط، ويرفع من شأن الغربيين، ويمجد الفكر الأوربي وحده.

(ب) اتجاه يغلب عليه الطابع المسيحي، ويتناول المذاهب الفلسفية الأوربية من خلال منظور مسيحي أرسطي.

(ج) اتجاه يغلب عليه تفسير مذهبي غربي معين: ماركسي، أو وجودي، أو غير ذلك، وقيم المذاهب الغربية كلها على أساس المذهب الذي يميل إليه.

(د) اتجاه حيادي عازل للدين، يعرض المذاهب الأوربية كما هي؛ من غير مدح أو ذم لها، ومن غير توضيح لسلباتها أو إيجابياتها^(١).

ولا شك أن لكلٍ من هذه الاتجاهات الأربعة خطورته على عقول الناشئة؛ وما يفعله معظم المتخصصين في الفلسفة الأوربية الحديثة أو المعاصرة عند تدريسهم لها أو تقديمهم لمذاهبها؛ أنهم يستعيرون وسائل التدريس أو النقد ذاتها من الشرق أو الغرب؛ وكان تخصصهم الجامعي في هذا الميدان من الدراسات يفرض عليهم فرضاً إغفال الإسلام وتراثه الفكري عند تقييم ما درسوه ويدرسونه.

لذا أرى أن الدكتور أبو الوفا التفتازاني قد وفق حين بين أن التوقفي من خطر الفلسفات الغربية يكون بتحسين الناشئة بوسيلتين؛ هما:

الأولى: تربية المسلم منذ مراحل التعليم الأولى تربية إسلامية وفق برامج دراسية موضوعة بعناية، ومن خلال كتب إسلامية هادفة ومؤثرة، وتعويده على ممارسة عبادات الإسلام، والالتزام بأحكامه التشريعية في المعاملات على اختلافها، وتحققه

(١) انظر: السابق: ص ٨٠، ٨١.

سلوكًا - لا علمًا فقط - بأخلاقيات الإسلام، وتمسكه بسنة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وهيبته، وتعظيمها وتقديمها على العادات والتقاليد الغربية أو الشرقية. الثانية: تقدم مذاهب الفكر الأوربي إليه من خلال وجهة نظر نقدية إسلامية؛ بحيث يقتنع في النهاية بأن الإسلام بما انطوى عليه من مبادئ ومثل يغني عن استيراد أي من تلك المذاهب؛ مع عدم تقدم الآراء الغربية التي تثير في نفسه الشكوك والشبهات؛ إذا كان مستواه العلمي ومستوى نضجه الفكري لا يرتقي إلى درجة دفع هذه الشكوك ببراهين القرآن الساطعة، أو أدلة السنة الدامغة، والاستدلالات العقلية المقنعة^(١).

* مع ضرورة التأكيد على أن الفلسفات الأوربية - المعتدة بالعلم الطبيعي وحده ومناهجه - متعارضة مع الإسلام، وليس التعارض بين العلم الطبيعي والإسلام، وإنما بين فلسفة العلم في الغرب والإسلام؛ وهي تلك الفلسفة التي آفتها إبعاد فكرة الإله الخالق عن ميدان البحث، وحصر اليقين في دائرة الحس^(٢).

هذا.. وبعد بيان نشأة الفلسفة الغربية، وعرض سماتها، وذكر مواقف المسلمين منها، ونقدها نقدًا إجماليًا، وتقوم طريقة تدريسها في الجامعات الإسلامية.. ننتقل الآن إلى عرض أشهر وأهم الفلسفات الغربية عرضًا تفصيليًا؛ مع نقضها من منظور إسلامي؛ وذلك من خلال وحدات القسم الثاني لهذا الكتاب.

(١) انظر: السابق: ص ٧٩.

(٢) انظر: السابق: ص ٨٢.

خلاصة الوحدة الثالثة

نستخلص مما سبق في هذه الوحدة ما يلي:

- ١- القرآن يدعو إلى النظر في الكون، والاستشهاد بعالم الحس على أن وراء الكون رباً خالقاً حكيمًا قديرًا.
- ٢- رأى علماء المسلمين النظرة الواقعية تتجلى في القرآن، فنبذوا المنطق الصوري، وانتكروا المنهج التحريسي، وكان أول من نقض المنطق الأرسطي تفصيليًا هو ابن تيمية، وسبقته محاولات من ابن قتيبة وأبي بكر الرازي.
- ٣- تأثر روجر بيكون بعلماء الإسلام في العلوم التحريسية؛ أمثال: ابن حزم، وابن الهيثم، وغيرهما.
- ٤- سبق العلماء المسلمون الغرب في الطب بفضل جهود الرازي وابن النفيس وابن سينا، وفي الرياضيات بفضل جهود البيروني والخوارزمي وابن الهيثم ونصير الدين الطوسي، وفي الطبيعة بفضل جهود ابن الهيثم وغيره.
- ٥- شهد كثير من علماء الغرب المنصفين بأن المسلمين هم السابقون في وضع أسس النظريات العلمية في شتى فنون العلم، وأن روجر بيكون الذي نسب إليه وضع أسس العلم التحريسي؛ قد تعلم ذلك من علماء المسلمين في الأندلس، وكان يدعو معاصريه إلى تعلم اللغة العربية للوصول إلى المعرفة الحقة التي لم تكن موجودة إلا في علوم العرب وكتبهم.
- ٦- لم يسبق المسلمون الغرب في العلوم التحريسية وحدها؛ بل سبقوهم كذلك في المعارف الجغرافية، وفي علم الاجتماع الذي رائده - من غير نزاع - ابن خلدون.
- ٧- لا تزال قصة الساعة المائية التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الإمبراطور

شارلمان عالقة بأذهان علماء الغرب، وشاهدة على تقدم المسلمين علمياً عندما كانت أوروبا تعيش في ظلمات القرون الوسطى.

٨- انقلب الحال؛ وانتفع الغرب بعلوم المسلمين، وطوروها، وأقاموا صرحاً علمياً عظيماً في العصر الحديث؛ ولكن.. كلما ازداد الغرب تقدماً في العلم؛ كلما ازداد تأخرًا في القيم والأخلاق، وازداد سيراً نحو الإلحاد.

٩- كان القرن الذي بلغت فيه أوروبا أحط دركة من المادية والإلحاد؛ هو القرن الذي ابتليت فيه بلاد الإسلام بالاحتلال الغربي الغاشم؛ فكان هجوم الغرب على الشعوب المسلمة في ميدان القلم والسيوف معاً.

١٠- انبهر المسلمون باختراعات الغرب، وتأثر كثير من مفكري العرب بفلسفات أوروبا الإلحادية والعلمانية والعشبية

١١- تأثر بعض المفكرين العرب بالغرب؛ مثل الدكتور طه حسين الذي قلده المستشرق جب في الادعاء بأن دعوة الإسلام غير عالمية، وأن القرآن مؤقت بزمان ومكان، واتخذ من ألفاظ ديكرارت عن الشك المنهجي وسيلة لإنكار كل قطعي ويقيني، وداهن أستاذه دوركام وطقن في ابن خلدون الذي نال إعجاب علماء الشرق والغرب على السواء.

١٢- تأثر الدكتور زكي نجيب محمود بفلاسفة الغرب الذين اعتبروا الالتزام بأوامر الدين ردة إلى عصر القرون الوسطى؛ فاعتبر التزام المرأة المسلمة بالحجاب رجعية وتخلف؛ سيراً وراء الغرب من غير تبصر.

١٣- يدعي عبد الرحمن منيف العراقي أن العلمانية هي الوسيلة الوحيدة لتقدم العرب، وأن الدين بات مسألة شخصية، وأن الزكاة لا تحل مشكلة الفقر، وأن الإسلام ليس قابلاً للتطبيق حالياً؛ وما قال ذلك إلا متأثراً بالماركسية التي انشغل بدراساتها في أوروبا، وكذلك نجيب محفوظ الذي رمز في رواية "أولاد حارتنا" إلى أن

الشيوعية أفضل من الدين، وأن الدين أفيون الشعوب - كما قال ماركس،
وصور الأنبياء في صورة حشاشين، وغير ذلك من الإلحاد والمهرطقة.

١٤- قسم الدكتور فؤاد زكريا التاريخ إلى مراحل خمسة؛ مثل تقسيم الماركسية،
وانتهى إلى أن أفضل المراحل هي الاشتراكية التي تشمل على إيجابيات من غير
سلبات.

١٥- لم يكن التأثير بالغرب منحصرًا في بعض المفكرين؛ بل إن عموم المسلمين قد
تأثروا بالغرب في شتى مجالات الحياة؛ ومظاهر ذلك:

أ- ما تشتمل عليه أجهزة الإعلام من إباحة ومجون وعري.

ب- الالتزام بقيم وعادات الغرب؛ رغم ما فيها من سلبات خطيرة.

ج- الإقبال على اللغات الأوربية، وإهمال اللغة العربية.

د- تقليد الغرب في النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

١٦- الذي ساعد على تأثر السواد الأعظم من المسلمين بالغرب؛ هو:

- قيام صفوة المثقفين الذين درسوا في أوروبا بترويج القيم الغربية.

- سعي الغرب الحثيث إلى تدمير النظم الاجتماعية والأخلاقية في البلاد الإسلامية،
وترويج الإباحية والمادية مكانها.

١٧- أول شيء ينقد في الفلسفة الغربية هو الخطأ في البداية؛ حيث قامت كرد فعل

لفساد الكنيسة التي كانت تعتقد أن الطبيعة البشرية فاسدة ويجب محاربتها؛ فبدلاً

من أن تحاول الفلسفة الغربية إصلاح الكنيسة جاءت بالوثنية المادية التي اندفعت

إلى تحرير الطبيعة البشرية بمثل ثياب الأخلاق وطمس معالم الدين.

١٨- يجب أن يدعو العلم إلى الإيمان بالله تعالى؛ ولكن الفلسفة الغربية التي واكبت

عصر النهضة العلمية كانت توجه العلم إلى الإلحاد الصريح؛ حتى أصبحت البشرية

في متاهة تبحث عن الدين الحق؛ الذي يدعو إلى العلم، والعلم يدعو إليه.

١٩- من سليات الفلسفة الغربية الاعتزاز بالعقل القاصر، والاستعلاء بالجنس والعنصر؛ والحقيقة أن العقل لا يستطيع أن يكشف كل أسرار الكون لقصوره، ولا يمكن أن يوصل إلى السعادة الحقيقية إذا عُزِل عن الوحي والدين.

٢٠- الفلسفة الغربية ظنية لا توصل إلى اليقين التام مهما كانت؛ لأنها تعتمد على اجتهاد الفلاسفة القاصر.

٢١- فشلت الفلسفة الغربية من الناحية التطبيقية؛ حيث أدت الآراء الفلسفية المنحرفة - مثل الماركسية والوجودية إلى إفساد العالم، وجنوحه إلى الجريمة والردية، ودفعت الناس دفعاً إلى المادية والشهوات؛ حتى سادت في الغرب - على وجه الخصوص - روح استهلاكية عارمة، وفوضى جنسية مهلكة، وشاعت الحروب المدمرة، وازداد التدهور الاقتصادي؛ ومن أهم مظاهره: سقوط الاتحاد السوفيتي الشيوعي، وتقهقر أمريكا؛ حتى تنبأ بعض علمائها بسقوطها سنة (٢٠٢٠م).

٢٢- أضرار الفلسفة الغربية على البشرية خطيرة وكثيرة، وعطاؤها للبشرية لم يكن بسبب جهود علماء الغرب وحدهم؛ وإنما هو نتاج جهود علماء البشر جيلاً بعد جيل؛ وخاصة علماء المسلمين.

٢٣- أمدت أوروبا الإنسان بالآلات التي تيسر له سبل الحياة؛ وفي ذات الوقت زودته بالأجهزة التي تمحو الدين وتدمر الأخلاق وتهلك النفوس، واخترعت له المحركات التي تحييه حياة كريمة؛ وفي ذات الوقت ابتدعت له الأسلحة التي تفنيه وتبيده إبادة شاملة.

٢٤- تبني بعض الأساتذة تدريس الفلسفة الغربية في المعاهد العربية والإسلامية؛ وكان لهم في ذلك أربعة اتجاهات؛ هي:

أ - اتجاه يقلل من شأن العرب ويرفع من شأن الغرب ويمجده دائماً.

ب- اتجاه يغلب عليه الطابع المسيحي.

ج- اتجاه يتعصب لمذهب من المذاهب الغربية؛ ماركسي أو وجودي.

د- اتجاه حيادي عازل للدين؛ يعرض المذاهب الغربية كما هي من غير نقد.

٢٥- اقترح الدكتور أبو الوفا التفتازاني تحصيل الطلاب من مخاطر الفلسفة الغربية

بوسيلتين؛ هما:

(١) تربية المسلم منذ مراحل التعليم الأولى على تعاليم الكتاب والسنة في كل فروع العلم الشرعي؛ الإيمانية، والفقهية، والأخلاقية.

(٢) عرض المذاهب الغربية مشفوعة بنقد إسلامي يبين للطلاب انحراف هذه المذاهب ومخالفتها للإسلام؛ مع التأكيد على أن الإسلام لا يتعارض مع الحقائق العلمية الصحيحة؛ بل يؤكد عليها ويدعو إليها.

الاختبار البعدي للوحدة الثالثة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخطأ في

كل مما يلي:

- ١- لم يكن فكر المسلمين مقتصرًا على الناحية النظرية المجردة.
- ٢- أول من نقد الشكل الأول في القياس الأرسطي البيروني.
- ٣- لم ينقد المسلمون المنطق نقدًا كليًا.
- ٤- تعلم روجر بيكون العلوم العربية في إيطاليا.
- ٥- تأثر روجر بيكون بابن الهيثم في علم البصريات.
- ٦- لم يأخذ روجر بيكون من كتاب "المنظر" شيئًا.
- ٧- ترجم كتاب "القانون" إلى اللغة اللاتينية في القرون الوسطى.
- ٨- يرى روجر بيكون أن طريق المعرفة الحقة هو تعلم اللغة اللاتينية.
- ٩- شهد كثير من علماء الغرب بأن المسلمين هم السابقون في التقدم العلمي.
- ١٠- المنهج التجريبي من ابتكار روجر بيكون وحده.
- ١١- أهدى هارون الرشيد إلى شارلمان سيفًا ذهبيًا.
- ١٢- قرن الإلحاد في أوروبا هو قرن احتلال الغرب للدول الإسلامية.
- ١٣- لا يوجد من مفكري العرب من تأثر بالغرب في المادية والإلحاد.
- ١٤- ما راج في فجر الإسلام يمكن تطبيقه اليوم - كما يرى عبد الرحمن منيف.
- ١٥- من أبرز مظاهر تأثر المسلمين بالغرب إباحية أجهزة الإعلام العربي.
- ١٦- نصر نجيب محفوظ الدين على الشيوعية في رواياته.
- ١٧- انتقد كل المثقفين الذين درسوا في أوروبا المذاهب الغربية.

- ١٨- العلم يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده.
- ١٩- استطاع العقل الأوري أن يوصل الغرب إلى السعادة الحقيقية.
- ٢٠- الالتزام بتشريعات الوحي هو السيل الوحيد إلى السعادة.
- ٢١- الفلسفة الغربية توصل - دائماً - إلى اليقين.
- ٢٢- ما استهلكه الأمريكان في قرن يعادل ما استهلكته البشرية كلها في دهرها.
- ٢٣- ملأت الفلسفة الغربية الخواء الروحي عند الأوربيين.
- ٢٤- منافع الفلسفة الغربية للبشرية أكثر من أضرارها.
- ٢٥- طريقة تدريس الأساتذة للفلسفة الغربية في الكليات صحيحة ونافعة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس في كل مما يلي:

- ١- الذي نقد المنطق الأرسطي نقداً كلياً؛ هو: (أبو بكر الرازي - ابن تيمية - ابن قتيبة).
- ٢- الذي ردد كلام الرازي في نقد المنطق؛ هو: (روجر بيكون - ديكارت - ستوارت مل).
- ٣- صاحب كتاب "المنظر"؛ هو: (ابن سينا - ابن الهيثم - الكندي).
- ٤- الذي اكتشف الدورة الدموية؛ هو: (ابن النفيس - الخوارزمي - هارفي).
- ٥- أول من أصلح نظرية إقليدس في الهندسة؛ هو: (الخوارزمي - نصير الدين الطوسي - البيروني).
- ٦- صاحب كتاب "الحاوي" في الطب؛ هو: (الكندي - ابن سينا - الرازي).
- ٧- صاحب رواية "أولاد حارتنا"؛ هو: (زكي نجيب محمود - طه حسين - نجيب محفوظ).
- ٨- الذي طور نظرية اليونان عن الأعداد؛ هو: (البيروني - الخوارزمي - الكندي).

- ٩- الذي دعا الدارسين في أوروبا إلى تعلم اللغة العربية؛ هو: (فرنسيس بيكون - ديكارث - روجر بيكون).
- ١٠- رائد علم الاجتماع، هو: (ابن الهيثم - ابن خلدون - ابن رشد).
- ١١- الذي قلده طه حسين في ادعاء أن دعوة الإسلام ليست عالمية؛ هو: (دور كايم - جب - ماركس).
- ١٢- الذي أعد رسالة دكتوراه في "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية"؛ هو: (زكي نجيب محمود - عبد الرحمن منيف - طه حسين).
- ١٣- الذي ادعى أن الزكاة لا تحل مشكلة الفقر؛ هو: (عبد الرحمن منيف - فؤاد زكريا - نجيب محفوظ).
- ١٤- الذي اعتبر الاشتراكية أفضل مراحل التاريخ؛ هو: (طه حسين - عبد الرحمن منيف - فؤاد زكريا).
- ١٥- الذي توقع سقوط أمريكا تدريجيًا سنة (٢٠٢٠م)؛ هو: (روس بيرو - هاملتون - بريفولت).

ثالثًا: الأسئلة التحليلية:

- أجب عن الأسئلة الآتية:
- أ - لماذا تأثر الغرب بعلماء المسلمين في العلوم الطبيعية في القرون الوسطى؟ ولماذا تأثر المسلمون بالغرب في العصر الحديث؟
- ب- اذكر نماذج من تقدم علماء المسلمين في العلوم الطبيعية في القرون الوسطى؟
- ج- هل يوجد من الأدباء والمفكرين المسلمين من تأثر بالغرب في إلحادهم؟ اضرب أمثلة على ذلك؛ مع بيان ما ترمز إليه رواية "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ.
- د- يدعي علماء الغرب أنهم هم مؤسسو المنهج التجريبي والنظريات العلمية؛ هل هذا صحيح؟ وكيف تبطل هذا الزعم بشهادة وقائع التاريخ، وبشهادة علماء الغرب المنصفين؟

هـ- ما هي أهم مظاهر تأثر المسلمين بالغرب في العصر الحديث؟

رابعاً: أسئلة المقال:

اكتب مذكرات مختصرة عن:

- ١- تأثر فلاسفة الغرب بجهود المسلمين العلمية والفكرية.
- ٢- العلم يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده.
- ٣- فشل الفلسفة الغربية من الناحية التطبيقية.
- ٤- أضرار الفلسفة الغربية على البشرية.
- ٥- تقويم دراسة المسلمين للفلسفة الغربية.

النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

عزيزي الطالب: حتى تكتسب المزيد من المعلومات، وتحقق الأهداف التعليمية الواردة في فصول هذه الوحدة؛ عليك أن تقوم بممارسة النشاط التعليمي التالي:
ناقش مع زملائك في الجامعة المفتوحة موضوع: "المنهج الصحيح لدراسة الفلسفة الغربية من منظور إسلامي".

القسم الثاني
أهم تيارات الفلسفة الغربية



الوحدة الأولى

الفلسفة التجريبية الحديثة

مبررات دراسة الوحدة الأولى:

أمر الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض، والبحث في أسرار الطبيعة؛ فقال عز وجل: ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١].

ولا شك أن من وراء هذا الأمر الإلهي حكماً بالغة؛ منها:

أولاً: أن يستدل الإنسان بهذه المخلوقات على الخالق، وينظام هذا الكون وإبداعه على أن هذا الخالق رب عليم قدير عظيم حكيم بديع؛ مستحق لأن يوحد ويعبد، وأن يطاع ويشكر، وأن تخضع القلوب لعظمته.

ثانياً: أن يعمر الإنسان الأرض، وينتفع بما فيها من كنوز وخيرات، وأن يصرف هذه النعم وتلك الخيرات في مرضاة الله تعالى؛ فيجعلها أسباباً تعينه على طاعة الله وعبادته وشكره على نعمائه.

وقد حرص العلماء في أوروبا منذ عصر النهضة على البحث في أسرار الطبيعة، ومحاولة اكتشاف المكنون منها، والاجتهاد في الانتفاع بكنوزها وخيراتها..

ولكنهم بدلاً من أن يستدلوا بعجائب السموات والأرض على عظمة خالقهما، جحدوا ربوبية الخالق وكفروا به، وبدلاً من أن يصرفوا هذه النعم في طاعة الله عز وجل؛ استخدموها في محاربه ومحاربة أوليائه المؤمنين، ونشر الإلحاد في العالم.

لذلك تجدد الفلاسفة الغربيين إذا تكلموا في العلوم الطبيعية التجريبية؛ أحسنوا وأتوا بكل جديد مبتكر، وإذا تكلموا فيما يخص خلق الإنسان والإيمان بالرب الخالق؛ أجدوا واضطربوا في منهجهم، وتملكتهم بلاة الحس وحماسة العقل.

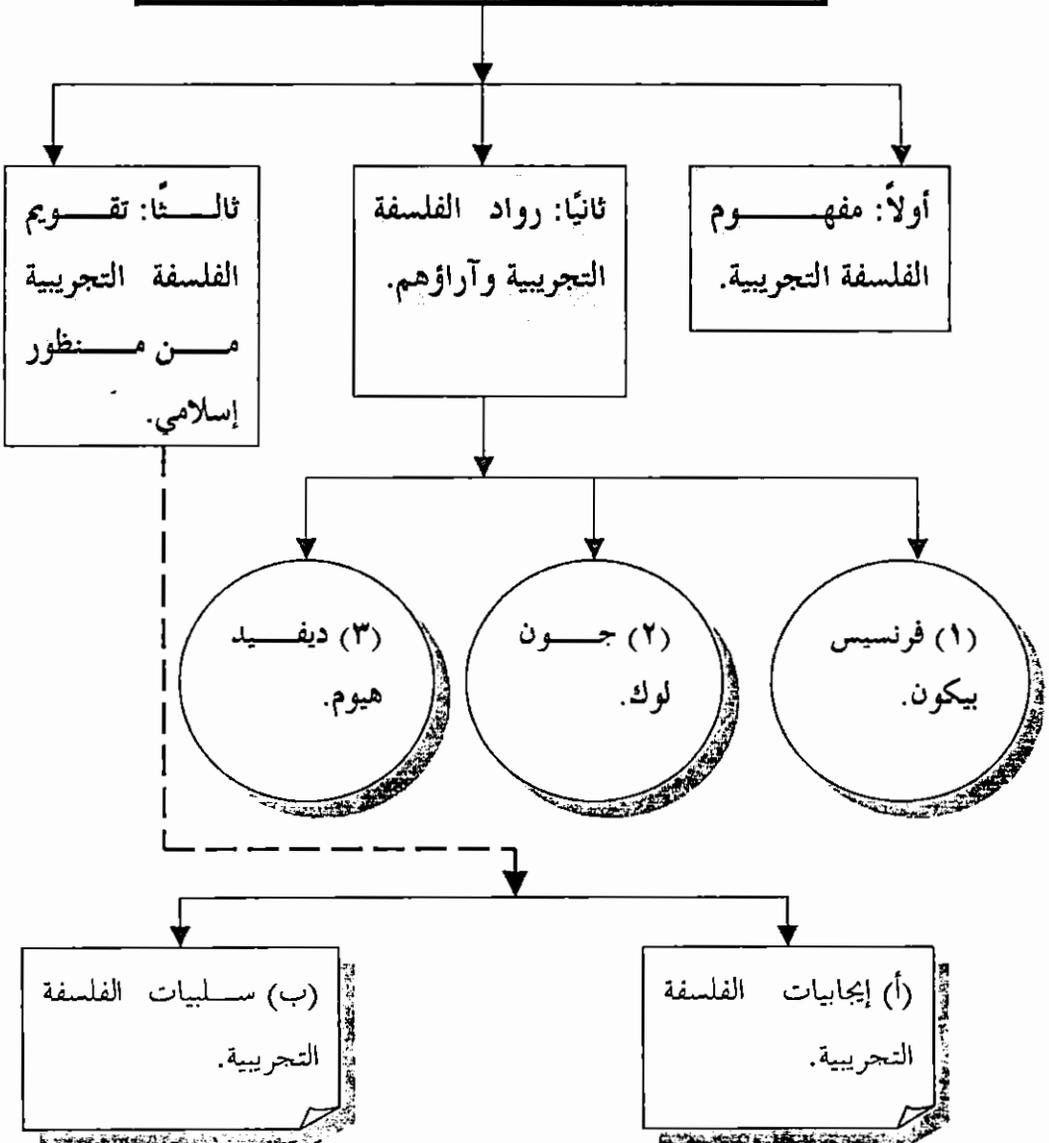
فاحرص - عزيزي الدارس - على مذاكرة هذه الوحدة؛ حتى ترى كيف بدأت النهضة العلمية التجريبية متزامنة مع نشأة الإلحاد الحديث المغلف بالعلم الزائف.

الأهداف التعليمية للوحدة الأولى:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دارستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

- ١- توضح مفهوم الفلسفة التجريبية الحديثة.
- ٢- تعرّف برواد الفلسفة التجريبية الحديثة.
- ٣- تبين كيف نقد سيكون منطق أرسطو وأوهام العقل الإنساني.
- ٤- تشرح فلسفة كلٍ من لوك وهيوم.
- ٥- تنبه على الأساس الذي تقوم عليه فلسفة هيوم.
- ٦- تقوّم الفلسفة التجريبية من منظور إسلامي.
- ٧- تثبت المعارف الفطرية والعقلية بأدلة مقنعة.

الوحدة الأولى: الفلسفة التجريبية الحديثة



الفلسفة التجريبية الحديثة

الوحدة الأولى

إن الفلسفة التجريبية هي أول اتجاه غربي حديث استفاد من علماء المسلمين، وبني على أسس المنهج التجريبي الإسلامي، وانتهج نفس نهج ابن تيمية وعلماء المسلمين في نقد المنطق الأرسطي القديم.

ولكن لهذه الفلسفة سلبات ساهمت في تقوية تيار الإلحاد في الفلسفات الحديثة والمعاصرة؛ لذا بعد عرض النقاط التي تخص هذه الفلسفة سأعقب بنقد وتقوم من منظور إسلامي؛ وذلك على النحو التالي:

أولاً: مفهوم الفلسفة التجريبية:

- الفلسفة التجريبية: هي مذهب يعتبر التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف البشرية، ويستند في ذلك إلى أن الإنسان حين يكون مجرداً عن التجارب بمختلف ألوانها لا يعرف أية حقيقة من الحقائق مهما كانت واضحة؛ لذا يرى أصحاب هذه الاتجاه أن الإنسان يولد خالياً من كل معرفة فطرية، ويبدأ وعيه وإدراكه بابتداء حياته العملية، ويتسع علمه كلما اتسعت تجاربه، وتتنوع معارفه كلما تنوعت تلك التجارب.

فالتجريبيون لا يعترفون بمعارف عقلية ضرورية سابقة على التجربة، ويعتبرون التجربة هي الأساس الوحيد للحكم الصحيح، والمقياس العام في كل مجال من المجالات، وحتى تلك الأحكام التي ادعى المذهب العقلي أنها معارف ضرورية لا بد من إخضاعها للمقياس التجريبي والاعتراف بها بمقدار ما تحدده التجربة؛ وينشأ من ذلك:

أولاً: تحديد طاقة الفكر البشري بمحدود الميدان التجريبي، وبالتالي يصبح من العبث كل بحث ميتافيزيقي (ما وراء الطبيعة) أو غيبي، وهذا فيه مخالفة صريحة للأسس

التي تقوم عليها الأديان.

ثانياً: بدء نقطة البحث من الخاص إلى العام، ومن حدود التجربة الضيقة إلى لقوانين والقواعد الكلية، والترقي دائماً من الحقيقة الجزئية التجريبية إلى المطلق، وليس ما يملكه الإنسان من قوانين عامة وقواعد كلية إلا حصيلة التجارب ونتيجة لهذا الارتقاء من استقراء الجزئيات إلى الكشف عن حقائق موضوعية عامة.

- ولأجل ذلك يعتمد المذهب التجريبي على الطريقة الاستقرائية في الاستدلال والتفكير؛ لأنها طريقة الصعود من الجزئي إلى الكلي، ويرفض مبدأ الاستدلال القياسي الذي يسير فيه الفكر من العام إلى الخاص، ولا يؤدي إلى معرفة جديدة^(١).

- ونخلص مما سبق إلى أن الفلسفة التجريبية هي التي تعتمد على التجربة الحسية، واستقراء الجزئيات للوصول إلى الكليات، وتقلل من شأن العقليات.

ثانياً: رواد الفلسفة التجريبية وآراؤهم:

لقد كان روجر بيكون - القرن الثالث عشر الميلادي - رسولاً من رسل العلم الذين نقلوا علوم المسلمين إلى أوروبا المسيحية، واستطاع أن يعرس في الغرب المنهج التجريبي الذي اكتسبه من العرب، ثم شاع وانتشر هذا المنهج في ربوع أوروبا - كما يقول بريغولت^(٢). ثم جاء فرنسيس بيكون فوضع منهج الاستقراء وفصل فيه، ثم جاء من بعده فلاسفة طوروا في هذا المنهج، وانحرفوا بهذه الفلسفة انحرافاً كبيراً؛ أمثال: جون لوك، وديفيد هيوم، وغيرهما.

وأرى أنه من الأهمية إعطاء نبذة مختصرة عن حياة كل واحد من هؤلاء المفكرين

(١) انظر: فلسفتنا - محمد باقر الصدر - ط (٣) دار الفكر - بيروت سنة ١٩٧٠م: ص٧١، ٧٢، مدخل نقدي

لدراسة الفلسفة - د. محمد عبد الله الشرفاوي: ص١٤٥، ١٤٧.

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني في الإسلام - محمد إقبال: ص١٤٩.

قبل عرض فلسفته، وتفصيل آرائه في خدمة هذا المذهب؛ وبيان ذلك كما يلي:

(١) فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦م):

أ - حياته: ولد في لندن، وكان الابن الأصغر في أسرة عريقة على صلة قوية بالنظام الملكي في إنجلترا، فقد كان أبوه سير نقولا بيكون حاملاً لأختام الملكة، ولهذا قيل عن فيلسوفنا أنه ولد وفي فمه ملعقة من ذهب.

تدرج فرنسيس في الدراسة، ثم دخل جامعة كامبردج عام (١٥٧٣م) لدراسة القانون؛ ولكنه ترك الجامعة بعد ثلاث سنوات دون أن يحصل على درجة علمية لأسباب مرضية، ثم ارتحل إلى فرنسا ليعمل في السلك الدبلوماسي بصحبة سفير إنجلترا في فرنسا في ذلك الوقت؛ ولكنه استدعى إلى إنجلترا عام (١٥٧٩م) بسبب وفاة والده المفاجئ، ثم اشتغل بالمحاماة حتى أصبح عام (١٥٨٤م) عضواً في البرلمان الإنجليزي لفترة طويلة، وتدرج في مناصب القضاء حتى وصل إلى منصب قاضي القضاة، ثم أصبح محامياً عاماً ووزيراً للعدل.

ظل هكذا حتى أتمه في نهاية حياته بقبول الرشوة؛ ويبدو أنها كانت عادة متبعة وشائعة في ذلك الوقت، وعزل من جميع مناصبه وعاش خمس سنوات حتى توفي وهو يجري تجربة تجميد دجاجة بعد دبحها مباشرة^(١).

ب - العوامل التي أثرت في فكره: كان للظروف التي مر بها في حياته كبير الأثر على فكره ومنهجه العلمي، ومن أهم العوامل التي أثرت في فكره تأثيراً ملحوظاً عاملان؛ هما:

الأول: ارتباطه بأسرة تسعى في استقلال الكنيسة الإنجليزية عن كنيسة روما المتعصبة؛ فقد كان هذا العامل هو الذي تحكّم في دعوته إلى الفصل القاطع بين مجال

(١) انظر: آفاق الفلسفة - د. مواد زكريا: ص ٧٧ - ٨٠، الفلسفة الحديثة والمعاصرة - د. إمام عبد الفتاح إمام:

الدين ومجال العلم، وفي ثورته على السلطة العقلية الخاضعة لفلسفة أرسطو؛ بل حمله ذلك على رفض جميع الاتجاهات العقلية بجميع أشكالها؛ وفي مقدمتها الرياضيات؛ التي زعم أنها غير كافية من الناحية التحريبية.

الثاني: اندماجه الكامل في الحياة السياسية في عصره؛ مما أعاقه عن التفرغ لمشروعاته العلمية، وهذا كان له تأثيره في تخطيط هذه المشروعات وأسلوب كتابتها؛ ومع ذلك فقد حاول بكون أن يحوّل حياته السياسية إلى أداة لخدمة مشروعاته العلمية، ويتنزه فرصة توليه أرفع مناصب الدولة من أجل تحقيق هذه المشروعات؛ ولكنه لم يفلح كل الفلاح^(١).

ج- مؤلفاته: قد ألف فرنسيس بيكون مؤلفات عديدة في العلم والفلسفة، ومعظمها مبتكرة لإرساء المنهج الاستقرائي، وأهم هذه المؤلفات هي:

١- المقالات: وهو كتيب صغير يحوي عشر مقالات، طبعه سنة (١٥٩٧م)، ثم أعاد طبعه مع إضافة مقالات جديدة إليه في سنة (١٦١٣م) وسنة (١٦٢٥م)؛ ووصل في المرة الأخيرة إلى ثمانية وخمسين مقالاً في موضوعات متفرقة.

٢- النهوض بالعلم: نشره سنة (١٦٠٥م)، وأهداه إلى الملك جيمس عندما تولى الحكم، وفي هذا الكتاب نقد لطريقة المدرسين؛ وهي الطريقة التي تبني آراء أرسطو، واقترح في هذا الكتاب طريقة جديدة كفيلة بالنهوض بالعلوم.

٣- حكمة الأقدمين: نشره عام (١٦٠٩م).

٤- الإحياء العظيم: وهو كتاب كبير، وضع ليكون خطته عام (١٦٠٩م)، وكان يتوقع أن يكون هذا الكتاب أعظم ما كتب؛ بحيث يعبر فيه عن نفسه بحق، ويبلغ رسالته إلى العالم، وكانت خطة هذا الكتاب هي تقسيمه إلى ستة أجزاء؛ لم يستطع أن يتم إلا واحداً منها؛ وهذا الجزء هو الذي اشتهر فيما بعد باسم

(١) انظر: آفاق الفلسفة: ص ٨١، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٤٧، ١٤٨.

"الأورجانون الجديد" وعنوانه الفرعي "إرشادات في تفسير الطبيعة"، وهذا الجزء هو الذي نشره ليكون فعلاً، وكان غلافه يحمل - في أول الأمر - عنوان "الإحياء العظيم"، وأما لفظ "الأورجانون" فيعني الأداة أو المنطق؛ بمعنى: أداة للتفكير العلمي، وقد أراد بـ"الأورجانون" بهذا اللفظ معارضة منطق أرسطو الذي كان معروفاً باسم "الأورجانون القديم"^(١).

د- فلسفته: كانت فلسفة بـ"الأورجانون" تكون ثورة على الفلسفة اليونانية القديمة وفلسفة العصر الوسيط، ولم يدخر وسعاً في مهاجمة منطق أرسطو؛ الذي اعتبره عقيماً مجدباً لا يكشف عن جديد؛ في حين أن مهمة المنطق - في رأيه - أن يشكل منهجاً للكشف عن قوانين الطبيعة، ولما كانت المعرفة قوة - كما يعبر بـ"الأورجانون" نفسه - فإن الوقوف على قوانين الطبيعة يمكننا من السيطرة عليها واستغلالها لصالح البشرية؛ ومن هنا خطط بـ"الأورجانون" كتابه الكبير "الإحياء العظيم"؛ ليس فقط لنقد المنطق الأرسطي ووضع المنهج الاستقرائي؛ بل لكشف القيم الجديدة التي تتضمنها الحضارة العلمية الحديثة في أول عهدها، ولإستخلاص المضمونات الفكرية لعصر الكشوف العلمية والجغرافية، والتعبير بصراحة عقلية عن التغيير الذي تستلزمه النظرة الجديدة إلى الحياة.

وهذا واضح من عناوين الأجزاء الستة لكتابه "الإحياء العظيم"؛ التي اشتملت على الألفاظ الآتية: أقسام العلوم - إرشادات في تفسير الطبيعة - ظواهر الكون - تاريخ طبيعي وتجريبي تبني على أساسه الفلسفة - سلم العقل لتطبيق المنطق على تفسير الوقائع .. وهكذا.. مما يدل على أن بـ"الأورجانون" كان يخطط لمنهج علمي متكامل. وإذا كان بـ"الأورجانون" لم يتمكن من إظهار منهجه الجديد في صورته النهائية؛ لأن المنية قد عاجلته؛ فإننا يمكن أن نستخلص الملامح العامة لفلسفته من خلال كتاباته الباقية؛ وهي تشمل على جانبين: سلبى وإيجابى؛ وهما معاً وجهان لموقف فكري

(١) انظر: آفاق الفلسفة: ص ٨٣ - ٨٥.

واحد^(١)؛ وتفصيل هذين الجانبين على النحو التالي:

الجانب السلبي: وقد اشتمل هذا الجانب على نقد سلبيتين؛ هما:

السلبية الأولى: منطق أرسطو: فقد انتقد بكون جمود هذا المنطق واهتمامه الشديد بالصورة دون المادة والمضمون والواقع، فمنطق أرسطو يعني بالنظر العقلي الشكلي، ولا يهتم بعالم الواقع ودنيا الناس؛ لأن كل ما يعنيه هو الاتساق الذاتي؛ بحيث تكون النتيجة متسقة مع المقدمات التي خرجت منها؛ ومثال ذلك هذا القياس الأرسطي الذي يقول:

كل عربي مثقف

وكل مثقف ثري - (مقدمتان).

إذن .. كل عربي ثري - (نتيجة).

فهذا القياس من الناحية الصورية الشكلية صادق؛ لأن النتيجة تخرج من المقدمتين وفقاً لشروط المنطق وقواعده؛ ولكنه مع ذلك لا يطابق الواقع؛ لأن المقدمتين كاذبتين من حيث الواقع؛ فليس كل عربي مثقف، ولا كل مثقف ثري، وبالتالي ليس كل عربي ثري. وإذا سرنا مع مقدمات فاسدة؛ بمعنى أنها لا تطابق الواقع؛ فإننا سنصل إلى نتيجة فاسدة - أيضاً - من حيث الواقع؛ ومن هنا تبين فساد المنطق الأرسطي وعمقه وعدم محيئه بجديد نافع للناس في حياتهم^(٢).

- ونلاحظ أن بكون قد نقد المنطق الأرسطي بنفس الطريقة التي نقدها بها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: "نقض المنطق"، و"الرد على المنطقيين"^(٣) - كما أشرنا إلى ذلك في الوحدة السالفة.

(١) انظر: آفاق فلسفية: ص ٨٤، ٨٨، ٨٩، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٢١، ٢٢.

(٢) انظر: آفاق فلسفية: ص ١٠٨ - ١١١، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٢٣، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٤٥

(٣) انظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٤٥.

السلبية الثانية: أوهام العقل الإنساني: حاول فرنسيس بيكون قبل أن يضع البناء لمنطق جديد أن يظهر الأرض التي سيقوم عليها هذا البناء، وذلك عن طريق تظهير العقل من شوائب وعقبات تعوق حركته وتمنعه من التفكير السليم.

وقد حصر بيكون هذه العقبات فيما سماه بالأوهام الأربعة أو الأوثان الأربعة؛ فهي أوهام لأنها تضل العقل الذي يتبعها ويسير على هديها فيقع في الخطأ المين، وهي أوثان لأنها معظمة في نفوس الناس، ويتشبثون بها كما لو كانت أصناماً يعبدونها، ويتعمون في الضلال بسببها ولا يستطيعون منها فكاً، والأوهام الأربعة هي^(١):

(أ) أوهام الجنس أو القبيلة: والمقصود بالجنس هو الجنس البشري كله، وهذا يعني أن أوهام القبيلة عامة عند الناس جميعاً، وهي تعبر عن نقص في طبيعة الإنسان بما هو إنسان، وهو نقص يرجع إلى غروره وكبريائه - أحياناً، كما يرجع إلى إهماله وكسله - أحياناً أخرى، وقد نجد الإنسان يفرض على الطبيعة ميوله ورغباته وما يعليه عليه عقله هو بدلاً من أن يعتمد على ما تأتي به التجربة والمشاهدة.

ومن مظاهر هذا النقص أن الإنسان يميل إلى التعميم فتراه يعمم الحالة التي تؤيد وجهة نظره دون الالتفات إلى مئات من الحالات التي تعارضها؛ فإذا رأى قطة سوداء - مثلاً - ووقعت له حادثة سيئة؛ مال إلى تعميم هذا الموقف وحكم بأن كل لقاء بقطة سوداء لا بد أن يعقبه كارثة.

فأوهام الجنس أو القبيلة - بناء على هذا - هي تلك السلبية العقلية المتأصلة في الطبيعة البشرية، والتي ينبغي التخلص منها لضمان سلامة المنهج الفكري.

(ب) أوهام الكهف: إذا كانت أوهام الجنس أو القبيلة قد عبرت عن نقائص مشتركة بين أفراد الإنسان جميعاً؛ فإن أوهام الكهف تكشف عن أخطاء تعود إلى

(١) انظر هذه الأوهام في: آفاق فلسفية: ص ١٠٣ - ١٠٨، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٢٥ - ٣٠، مدخل

نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٤٦.

الأفراد أنفسهم؛ فكل فرد له كهف خاص يعيش فيه؛ يتمثل في شخصيته التي كونتها التربية والثقافة، أو القدرات البدنية والعقلية، ونحو ذلك من مكونات ومواهب لا يشاركه فيها غيره.

ومن هنا تختلف هذه الأوهام في كل فرد عنها في الآخر؛ فمن الناس من يميل بطبيعته إلى إدراك الفروق بين الأشياء - وهؤلاء هم المدققون الميالون إلى تأمل التفاصيل، ومنهم من يميل إلى إدراك أوجه الشبه بين الأشياء - وهؤلاء هم أصحاب المزاج التأملي؛ ولكل من الطرفين أخطاؤه، كما أن بعض الناس ميالون إلى القدم، وبعضهم الآخر ميال إلى التجديد؛ مع أن الحقيقة لا زمان لها؛ فلا يلزم بالضرورة أن تكون في القدم وحده أو الجديد وحده؛ وهكذا الحال في سائر أنواع التحزب والتعصب الفردي التي ينبغي التخلص منها لضمان نزاهة البحث والتفكير.

(ج) أوهام السوق: يرى بيكون أن هذا الضرب من الأوهام هو أخطر الأوهام الأربعة، وهي تعبر عن الأخطاء التي تنشأ عن غموض اللغة بوصفها أداة للتفاهم والتعبير عن الأفكار، وقد سميت بأوهام السوق لأن الناس يتبادلون الأفكار ويتداولونها بينهم عن طريق اللغة؛ كما أنهم يتداولون السلع ويتبادلونها عن طريق الأسواق التي تجمعهم.

ومشكلة هذه الأوهام تكمن في أن الألفاظ توضع طبقاً للحاجات العملية والتصورات العلمية، ثم سرعان ما تتحكم هذه الألفاظ في تصور الناس للأشياء؛ لذلك يقول بيكون: "الناس يتوهمون أن عقلهم يتحكم في الألفاظ؛ على حين أن الألفاظ هي التي تعود فتتحكم في العقل وتؤثر فيه"^(١)؛ رغم أن الألفاظ إنما تعرف الأشياء على نحو غير دقيق؛ لأن أصلها شعبي وليس علمياً؛ ومثال ذلك: أن الإنسان قد يخترع كلمات لا مدلول لها، ثم يؤمن بصدقها بسبب شيوعها وتداولها بين الناس، وقد يعجب عندما

(١) آفاق فلسفية: ص ١٠٥.

تخبره أنها كلمات بلا مدلول، كما حدث عندما ذهب الأرسطيون إلى وجود مادة الأثير الرقيقة اللطيفة السامية التي تتكون منها أجرام السماء فوق فلك القمر، وهي كلمة لا مدلول لها ولا حقيقة لها في الواقع.

وتنقسم الأوهام التي تفرضها اللغة إلى أسماء لأشياء ليس لها وجود؛ ويمثل بيبكون لهذا القسم بالمرحك الأول وعنصر النار، وأسماء لموضوعات فعلية ولكنها جردت من الأشياء على عجل ودون تدقيق فدب الخلط في معانيها؛ مثل كلمة الرطوبة التي تعددت معانيها إلى درجة يصعب معها الاستقرار على واحد منها.

ومن هنا كان من الواجب أن نحرص على دقة التعريف؛ لأن اللغة في عمومها ميدان خصب للأوهام التي تعوق الذهن عن مواجهة الأشياء وإدراك طبيعتها الحقة.

(د) أوهام المسرح: وهي أوهام النظريات والمذاهب التي تفرض نفسها على الأذهان بمنطق مزيف، أو نتيجة لاحترامنا المفرط لآراء القدماء؛ فهذه المذاهب والنظريات تعدد في الموضوع الواحد بغير حدود، ويقف العقل إزاءها حائرًا، وكأنه مسرح يتحرك عليه الممثلون بينما يقف هو سلبياً؛ بل قد يتقبلها كلها دون مناقشة؛ رغم أنها لا تستند إلى أساس من الدراسة الفعلية للواقع، وإنما تركز على أدلة منطقية مزيفة، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى إيجاد أساس أمتن للفلسفة؛ حتى لا يعود العقل مسرحًا لنظريات متعارضة في الموضوع الواحد، وإنما يتقبل ما يشهد به الواقع فحسب.

وبعد أن نقد بيبكون هذه الأوهام الأربعة؛ يدعو الذهن إلى تطهير ذاته منها، والبدء في البحث على أسس سليمة، وهو الجانب الإيجابي في فلسفته.

الجانب الإيجابي: وهو يتمثل في القواعد الإجرائية التي ينبغي مراعاتها في البحث العلمي التجريبي الأصيل، والذي يقوم على المنهج الاستقرائي^(١).

(١) انظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٤٧.

ولقد طبق بيكون منهجه الاستقرائي على بحث قام به عن ظاهرة الحرارة، ورأى أنه من الضروري تقسيم الوقائع والمواد المتعلقة بهذا البحث؛ وبأي بحث علمي آخر؛ إلى ثلاث قوائم؛ هي^(١):

(١) قائمة الحضور أو الإثبات: وهي جمع كل الأمثلة الإيجابية التي تتمثل فيها الظاهرة المراد بحثها، وفي هذه القائمة جمع يكون سبعا وعشرين حالة تتمثل فيها الحرارة بالفعل؛ مثل: حرارة الشمس وحرارة الاحتكاك وحرارة الأجسام وغير ذلك، وكان يرى أنه كلما اتسع نطاق الأمثلة التي تأتي بها للظاهرة المراد بحثها؛ كلما أدى ذلك إلى زيادة دقة البحث وضمان نجاحه.

(٢) قائمة الغياب أو النفي: وفي هذه القائمة تجمع أمثلة مشابهة لتلك التي وردت في القائمة الأولى؛ ولكنها تتميز عنها بغياب الظاهرة المراد بحثها - أي الحرارة؛ ففي مقابل ضوء الشمس - في القائمة الأولى - نجد ضوء القمر الذي يماثله في كل شيء ما عدا الحرارة؛ وهكذا الحال في بقية الأمثلة.

ولهذا سميت هذه القائمة باسم "التخلف مع التقارب"؛ أي تخلف الظاهرة رغم تقارب طبيعة الأمثلة، وتزيدنا هذه القائمة اقترباً من موضوع البحث في طبيعته المنفصلة.

(٣) قائمة المقارنة أو التفاوت في الدرجة: وهي جمع الحالات التي تختلف فيها درجة الظاهرة المراد بحثها بين القوة والضعف؛ أي تتفاوت فيها درجة حرارة الموضوع الواحد في أوقات مختلفة، أو تختلف من موضوع لآخر؛ كما في تفاوت درجات حرارة أشعة الشمس في الساعات المختلفة من النهار.

- وبعد جمع هذه القوائم الثلاث؛ تبدأ عملية الرفض والاستبعاد؛ أي استبعاد النظريات والفروض التي تتناق مع ما تضمنته القوائم من معلومات؛ مثال ذلك النظرية

(١) انظر: آفاق فلسفية: ص ١١٢، ١١٣، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٣١ - ٣٣.

القائلة: إن الحرارة تأتي من مصدر خارج عن الأرض؛ فهذه النظرية تستبعد لأن القوائم تدلنا على أن الحرارة تولد في أجسام أرضية أيضاً، كذلك تستبعد النظرية اليونانية القديمة القائلة: إن الحرارة تتوقف على وجود عنصر معين في الجسم الحار كعنصر النار؛ لأن أي جسم يمكن أن يكتسب الحرارة بالاحتكاك - مثلاً .

وهكذا يمضي ليكون في استبعاد النظريات الباطلة واحدة تلو الأخرى؛ حتى يصل إلى التحديد الإيجابي للظاهرة المراد بحثها، فيعرف الحرارة بأنها نوع من الحركة؛ فيقول: "هي حركة للجزيئات الصغيرة في الأجسام"^(١)، وهذا التعريف يمثل تقدماً بالنسبة إلى النظريات القديمة، وهو شاهد عملي على أن منهج بيكون الجديد يؤدي إلى نتائج أفضل مما كانت المناهج القديمة تؤدي إليه.

- على أن نظرية بيكون في الاستقراء كانت قائمة على الاعتقاد بأن في الكون عدداً محدوداً من الطبائع؛ هي التي تكوّن الأشياء كلها بتجمعها وتفرقها، وأن بإمكاننا كشف سر الكون كله إذا عرفنا حقيقة هذه الطبائع وكشفنا قوانينها، ومن هنا كان العالم - في نظره - صغيراً جداً، وكان يرى أنه من الممكن السيطرة الكاملة للإنسان على الطبيعة بعد عدد معلوم من الأبحاث الطبيعية؛ وتلك - ولا شك - سذاجة مفرطة في التفكير^(٢).

هـ- تأثير بيكون على اتجاهات الفلسفة الغربية: يمكن إيجاز تأثير بيكون على من جاء بعده من فلاسفة ومفكرين في ثلاث نقاط؛ هي:

١- تحريره للعلم من حفظ المعارف وترديدها، ومن طريقة النقل والرجوع إلى التراث؛ التي كانت سائدة في معظم جامعات أوروبا في ذلك الحين.

(١) آفاق فلسفية: ص ١١٣.

(٢) انظر: السابق: ص ١١٤.

٢- دعوته إلى الفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي، والغرض من ذلك هو إبعاد سلطة الكنيسة عن مجال الحقيقة العلمية، وصد هجمات رجال الدين عن الباحثين والمفكرين؛ ولكنه من ناحية أخرى غرس بذرة الإلحاد في أوروبا.

٣- دعوته إلى فلسفة جديدة تركز على أساس متين من العلم الطبيعي، وقد كان لدعوته هذه كبير الأثر في دفع الحركة العلمية إلى الأمام، وظهور موجة طاغية من الأبحاث التجريبية والكشوف التفصيلية التي استلهمت تعاليمه، والتي مهدت لظهور الثورة الصناعية في إنجلترا بعد ذلك بقرن من الزمان^(١).

(٢) جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤م) :

أ - حياته : ولد جون لوك في إنجلترا، وكان من عائلة متوسطة الثراء، وكان والده محامياً اشترك في الحرب الأهلية في صفوف البرلمان ضد الملك، وقد تدرج لوك في الدراسة، ثم التحق بكلية كنيسة المسيح في أكسفورد عام (١٦٥٢م) حيث أظهر تفوقاً ملحوظاً؛ مما ساعده على الحصول على وظيفة محاضر في الكلية في اللغة اليونانية وافتلسفة بعد تخرجه، وهكذا قضى في أكسفورد خمس عشرة سنة كطالب في البداية ثم معلماً بعد ذلك.

وكانت اهتمامات لوك متعددة؛ فقد جذبته دراسة اللاهوت في البداية، ثم سرعان ما تحول إلى الطب وممارسه ممارسة عملية حتى أجرى عملية جراحية لأحد أصدقائه، ثم اهتم بالدين، والسياسة، والفلسفة، وكان طول حياته نصيراً للتسامح الديني، والحرية الفكرية؛ فهو ينكر سلطة الكنيسة والآباء، ويدعو إلى تفسير الكتاب المقدس في ضوء العقل؛ مما أثار عليه النقاد.

قضى لوك سنواته الأخيرة في مزارع أحد أصدقائه، ثم مات نتيجة الضعف الذي

(١) انظر: السابق: ص ١١٧، ١١٨.

كان يعانيه من مرض الربو^(١).

ب- مؤلفاته: لقد ألف لوك العديد من الكتب والرسائل في موضوعات مختلفة؛

من أهمها:

١- رسالة في التسامح: ألفها سنة (١٦٦٦م)، ودعا فيها بذهن مفتوح إلى التسامح الدينيين والمدني، وأدان الاضطهاد.

٢- رسالة في الفهم البشري: وهي تعد من أهم مؤلفاته، وقد كتبها سنة (١٦٧١م).

٣- بحثان في الحكومة: كتبهما سنة (١٦٩٠م).

٤- العقلانية في المسيحية: كتبه سنة (١٦٩٥م)^(٢).

ج- فلسفته: تمثل فلسفة جون لوك التجريبية في النقاط الآتية:

(أ) إنكار الأفكار الفطرية: تبدأ فلسفة جون لوك بإنكار نظرية "الأفكار

الفطرية"، وهي نظرية أفلاطونية الأصل؛ حيث كان الفيلسوف اليوناني يعتقد وجود بعض الحقائق الفطرية في النفس البشرية، وقد استمرت هذه النظرية إلى القرون الوسطى واعتنقها القديس أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠م)، ثم قبلها في العصور الحديثة كل من ديكرت وسبينوزا وليبنيز.

ولقد شن جون لوك حملة عنيفة على هذه النظرية؛ فأنكر أن تكون هناك أية

مبادئ فطرية سواء كانت أخلاقية، أو رياضية، أو منطقية، ويرى أن ذهن الإنسان يولد صفحة بيضاء.

فلا يعترف لوك بأنه مركز في الفطرة الإنسانية: أن الكل أكبر من الجزء، وأن

المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان في وقت واحد، وغير ذلك من القواعد العقلية

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة- د. يوسف كرم- ط دار المعارف: ص ١٤١-١٤٣، الفلسفة الحديثة

والعاصرة: ص ٣٦، ٣٧.

(٢) انظر المرجعين السابقين.

والرياضية، ويعتبر ذلك ضرباً من الخطأ الواضح؛ لأن العقل البشري ساعة مولده يكون خالياً تماماً من جميع المعلومات.

- وبذلك لا يقر لوك بأنه مرتكز في فطرة الإنسان الإيمان بالله الخالق لهذا الكون، وأن الإنسان متدين بطبعه؛ فكل هذه الحقائق الفطرية في نظره وهم باطل. إذن.. فمن أين يستمد الناس أفكارهم؟ وكيف تملأ صفحة العقل البيضاء؟ يجيب جون لوك: من التجربة وحدها.

- ويرد لوك على القائلين بالأفكار الفطرية بتقسيمها إلى قسمين؛ هما:
القسم الأول: أفكار فطرية نظرية؛ مثل المبادئ المنطقية والرياضية التي سلف ذكر أمثلة لها..

- فيرد لوك على ذلك بأن إجماع الناس لا ينهض دليلاً على صدق هذه الأفكار؛ إلا إذا تبين أنه لا يمكن أن يكتسبها الإنسان بطريق آخر، ومن ناحية أخرى فإن هذه المبادئ لم تكن موضع إجماع الناس دائماً؛ لأن البدائين قد لا يدركونها، والأطفال والبلهاء لا يعرفون عنها شيئاً، وهذا دليل على أنها ليست فطرية؛ إذ لو كانت كذلك لأدركها الناس بغير استثناء.

القسم الثاني: أفكار فطرية عملية؛ مثل قواعد الأخلاق والدين..

- فيرد لوك على ذلك بأنها ليست موضع إجماع الناس؛ فلا توجد مبادئ أخلاقية عامة وكلية واضحة بذاتها؛ لأن المفاهيم الأخلاقية نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان وتباين الظروف الاجتماعية، وينبغي أن يكون هناك ما يبررها.
- وكذلك فكرة وجود الله ليس عليها إجماع؛ إذ أن بعض القبائل البدائية لا تعرف شيئاً عنها؛ هذا فضلاً عن الملحدّين الذين ينكرون وجود الله صراحة^(١).

(١) انظر: رواد الفلسفة الحديثة - تأليف ريتشارد شاحت - ترجمة د. أحمد حمدي محمود - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب: ص ١٢٦ - ١٢٩، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٣٧ - ٣٩.

(ب) التجربة هي أصل المعارف: إذا كان عقل الإنسان في وقت مولده صفحة بيضاء؛ فإن التجربة هي أصل كل ما في العقل من معارف ومعلومات وأفكار، وهي بالتالي المصدر الوحيد لجميع معارفنا.

ويشرح لوك هذه القاعدة التي أصلها؛ بأن الحواس هي التي تسمح أولاً لبعض الأفكار بأن تدخل صفحة العقل، ثم يألف العقل شيئاً فشيئاً بعض هذه الأفكار ويحتزها في الذاكرة ويعطيها أسماء، وبهذه الطريقة يزود العقل بالأفكار واللغة وبالمواد التي يمارس عليها ملكته الاستدلالية، ويصبح استعمال العقل أكثر وضوحاً يوماً بعد يوم كلما ازدادت تلك المواد التي يمارس عليها عمله.

وهكذا.. يكتسب العقل المعلومات عن طريق التجربة، والأفكار تتوارد إلى العقل من خلال طريقين: الأول: الإحساس الذي يزودنا بالأفكار المتعلقة بالكيفيات؛ مثل: اللون الأصفر والأحمر، أو الحرارة والبرودة، أو الناعم والخشن.

والثاني: التأمل الذي يزودنا بأفكار تتعلق بالإرادة والشك والرغبة والمعرفة ونحو ذلك.

- ويؤكد لوك رأيه بحال الأطفال؛ إذ أن الطفل تتوارد عليه الأفكار التي يتنبه إليها العقل عن طريق الإحساس والتأمل؛ فإن شك أحد في ذلك فما عليه إلا أن يفحص عن أفكاره وينظر: هل هناك أفكار لم تأت له لا من الإحساس ولا من التأمل؟ فإنه - حتماً - لن يجد^(١).

(٣) ديفيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦م):

أ - حياته: ولد ديفيد هيوم في مدينة أدنبره باسكتلندا شمال إنجلترا، وكان أبوه محامياً، وقد توفي وفيلسوفنا لم يزل بعد رضيعاً، فتكفلته أمه وأنفقت عليه من خراج

(١) انظر: رواد الفلسفة الحديثة: ص ١٢٥، ١٢٦، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٤٠، ٤١.

أرض زراعية كانت لوالده، وقد التحق بمدرسة المدينة عام (١٧٢٢م)، وتدرج في الدراسة، ثم تخرج وعمل بالمحاماة مثل والده، ثم هجرها وتحول إلى الأدب والفلسفة، وعكف على قراءة المؤلفين من العصر القديم والحديث؛ حتى ازدادت معارفه في نواحي العلم المختلفة، وكان ظريفاً متواضعاً غزير المعرفة؛ وظل هكذا حتى توفي في أذربه.

ب- مؤلفاته: له مؤلفات عديدة؛ من أهمها:

١- بحث في الطبيعة البشرية: مكون من ستمائة صفحة، وقد ألفه وهو في السابعة والعشرين من عمره، أكمله فترة إقامته في فرنسا.

٢- بحث في الفهم البشري.

٣- بحث في التاريخ الطبيعي للدين.. وآخر في الدين الطبيعي.

٤- ولما ذاع صيته نشر مجموعة من المقالات الأدبية والسياسية^(١).

ج- فلسفته: تابع هيوم جون لوك على القول بأن التجربة هي أساس معارفنا كلها؛ لكنه يفرق بين أمرين:

الأمر الأول: الانطباعات؛ مثل: الأشياء التي تسمع أو ترى أو تلمس، وكذلك ما ينطبع في النفس من حب أو كره أو رغبة أو إرادة، وسمي هذه الأشياء بالانطباعات لأنها تكون واضحة عميقة الأثر أثناء مباشرتها وممارستها.

الأمر الثاني: الأفكار؛ وهي صورة للانطباعات؛ فالشيء المنطبع في النفس إذا استعاده الشخص أصبح فكرة، فكل فكرة هي صورة لشيء من انطباعاتنا الحسية أو الشعورية، ويستحيل أن توجد فكرة من غير أن تسبق بانطباع خبرناه أو شعرنا به.

- ومثال ذلك: إذا رأى الإنسان شيئاً يفضبه؛ فإن ما ارتكز في نفسه لحظة الرؤية هو الغضب؛ وهو الانطباع، فإذا زال هذا الغضب وحاول هذا الإنسان أن

(١) انظر حياته ومؤلفاته في: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ١٧٢، ١٧٣، رواد الفلسفة الحديثة: ص ٢٠٦، ٢٠٧، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٤٦.

يسترجمه بالذاكرة؛ فإن الذي يركز في نفسه - في هذه المرة - هو صورة الغضب السابق؛ وهو الفكرة.

- ويمكن أن نستخلص من ذلك الأساس الذي تقوم عليه فلسفة هيوم؛ وهو: أن كل فكرة صحيحة يمكن ردها إلى انطباعاتنا المباشرة؛ التي كانت بمثابة النوافذ التي دخلت منها الخبرة أو التجربة التي كونت الفكرة، وما لا يمكن رده إلى انطباعاتنا الحسية أو الشعورية فليس فكرة صحيحة على الإطلاق.

- ومن هنا أنكر هيوم - مثل لوك - الأفكار الفطرية.

- كما وافق لوك على أن في قدرة الإنسان تشكيل أفكار مركبة من أفكار بسيطة؛ بل إنه قادر على أن يتخيل أشياء لا وجود لها وإن كانت مركبة من أشياء موجودة؛ إذ يمكن أن يتخيل لنفسه جبلاً من ذهب؛ رغم عدم وجوده في العالم؛ لكن الحقيقة أن الفكرة مؤلفة من فكرتين؛ هما: الجبل، والذهب، وكلاهما قد عرفا بالتجربة الحسية المباشرة حين رأى جبلاً ورأى ذهباً، ثم أُلّف بينهما في فكرة مركبة.

- وهكذا تكون كافة أفكارنا التي هي إدراكات خافتة صوراً تحاكي انطباعاتنا الحسية التي هي إدراكات ناصعة.

- وأخطر ما في فلسفة هيوم هو إنكاره للنفس والعقل والروح وكل ما هو غير محسوس؛ يقول هيوم: "إنني كلما توغلت إلى داخل نفسي لا أجد ما يسمونه بالنفس أو الروح أو العقل؛ وإلا فمن أي انطباع حسي أمكن لهذه الأفكار أن تجيء؟ إنه لو كانت النفس كائناً دائماً الوجود ما دام صاحبها موجوداً للزم أن يكون هناك انطباع حسي دائم التأثير على هذه الحاسة أو تلك؛ بحيث يكون لفظ النفس اسماً نطلقه على هذا الأثر الحسي؛ لكننا لا نجد بين انطباعاتنا الحسية انطباعاتاً يدوم على حالة واحدة... فنجعله أصلاً لهذه النفس المزعومة التي نزع لها الدوام وعدم التغير".

- وبالتالي فإن النفس والعقل والروح أو هام وليس لها وجود!

- فهذه هي النتيجة الخطيرة الأولى في فلسفة هيوم، والنتيجة الثانية: إنكار وجود الله تبارك وتعالى؛ إذ أن هيوم يطبق مثال الجبل الذي من ذهب على الاعتقاد بوجود الله؛ فيرى أن الإنسان قد لاحظ في صفاته العلم والقدرة والحكمة والإرادة وغير ذلك، وعلم أنها محدودة؛ فمدّها بخياله ليلبغ بها إلى صفات غير محدودة ولا نهاية لها؛ حتى إذا ما تم له ذلك جمعها في ذات واحدة وأطلق عليها اسم "الله"!

- والنتيجة الثالثة: إنكار هيوم للألفاظ الكلية؛ مثل: لفظ "إنسان"؛ فإنها كلمة تطلق على مجموعة من الخصائص المشتركة بين الناس جميعاً؛ وهذا خطأ - في نظر هيوم - لأنه ينبغي أن نكتفي بالانطباعات الحسية التي تدل على أن ما نسميه باللفظ الكلي المجرد ليس سوى فرد جزئي معين نتخذه مثلاً لجميع الأفراد.

- وواضح أن فلسفة هيوم قد انخرقت بالمذهب التجريبي إلى درجة التشكيك في الأسس التي اتفق عليها جميع العقلاء، ولم تؤمن بشيء سوى التجربة والحس^(١).

ثالثاً: تقويم الفلسفة التجريبية من منظور إسلامي:

من عرض الفلسفة التجريبية السابق؛ يمكن بيان ما تشتمل عليه هذه الفلسفة من إيجابيات وسلبيات على النحو التالي:

(أ) إيجابيات الفلسفة التجريبية:

تتحصّر إيجابيات الفلسفة التجريبية في ثلاثة أمور؛ هي:

الأمر الأول: نقض المنطق الأرسطي وإرساء النهج الاستقرائي: فلقد وفق فرنسيس بيكون في نقض المنطق الأرسطي، وإثبات جموده وعتمه، واستطاع أن يتقدم

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ١٧٧، ١٨٠، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٤٦ - ٥١، رواد الفلسفة الحديثة: ص ٢١٦ - ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣٨.

بالمنهج الاستقرائي خطوات إلى الأمام؛ كانت هذه الخطوات بمثابة انطلاقة علمية لأوروبا في عصر النهضة، وللعالم كله فيما بعد.

- وصحيح أن فرنسيس بيكون لم يكن هو المبتكر للمنهج الاستقرائي؛ بل قلد فيه من سبقه من الغربيين أمثال روجر بيكون، وكان الفضل في ذلك كله لعلماء المسلمين - كما نبهنا إلى ذلك في الوحدة السابقة - إلا أن ذلك لا يمنع الاعتراف بجهود فرنسيس بيكون في هذا المضمار.

الأمر الثاني: الدعوة إلى نبذ الأوهام والتجرد من الأهواء: ولا شك أن وجود الأوهام، والأهواء، والاعتقادات الباطلة، والنظريات الخاطئة في أي بحث علمي؛ يؤدي إلى نتائج خطيرة، ومفاسد كبيرة.

الأمر الثالث: الدعوة إلى نبذ التقليد الأعمى: فقد دعا فرنسيس بيكون إلى نبذ تقليد الفلاسفة القدماء، والنظر إلى أفكارهم بالعقل والفكر الرشيد، وكذلك دعا جون لوك إلى تفسير الكتاب المقدس في ضوء العقل؛ لكي يتبين ما فيه من صواب وخطأ، وما يشتمل عليه من حق وباطل؛ وعدم تقليد رجال الدين تقليدًا أعمى من غير فهم للكتاب المقدس.

(ب) سلبيات الفلسفة التجريبية:

تشتمل الفلسفة التجريبية على سلبيات عديدة وخطيرة؛ أهمها:

(١) إنكار المعارف الفطرية - وفي مقدمتها الإيمان بالله الخالق للكون:

صحيح أن جون لوك لم يصرح بإنكار وجود الله تعالى، وحاول هيوم أن يغمض في هذا الأمر ويخضعه إلى الحس والتجربة؛ إلا أن إنكار المعارف الفطرية، والتشكيك فيما أجمع عليه العقلاء يستلزم إنكار وجود الله؛ بل ويستلزم هدم المذهب التجريبي نفسه؛ ويمكن توضيح ذلك من خلال نقض هذا الادعاء بالأدلة الآتية:

١- إن كل إنسان يعلم علم اليقين - من أول لحظة عقل فيها - أنه لم يخلق

نفسه، وأنه لم يخلقه أحد من البشر؛ ولم يدع أحد ذلك، ولا يمكن أن يعتقد إنسان أن الحيوانات أو النباتات أو الجمادات - التي لا تعقل، والتي هي أقل وأجهل وأضعف من الإنسان - خلقت؛ وكذلك لم يدع شيء من هذه الأشياء ذلك.. فمن - إذن - الذي خلق الإنسان؟ إن الفطرة الإنسانية - نفسها - تسارع بالإجابة فتقول: الله جل جلاله، وكذلك الوحي الإلهي؛ يقول الله عز وجل: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٦] .

فاعتقاد الإنسان أنه لم يخلقه أحد من المخلوقات لم يكن وليد تجربة وإنما هو أمر مركوز في الفطرة يعلمه كل واحد بداهة، وكذلك الإقرار ببروبية الله للكون وخلقه لنعالم أمر تنادي به الفطرة في أعماق نفس كل إنسان؛ كما أنه مركوز في الفطرة حلاوة العسل - مثلاً - ومرارة الحنظل؛ فكذلك الإيمان بالله تعالى.

- وإذا رأينا من ينكر ذلك فلنعلم علم اليقين أنه معترف في نفسه؛ وإنما ينكر جحودًا وخداعًا وتكذيبًا.

٢- إننا لو قمنا بعملية استقراء لجموع البشرية من عهد آدم - عليه السلام - حتى يومنا هذا؛ لوجدنا كل إنسان يكره الظلم، ويتألم إذا وقع عليه ظلم من أحد من الناس؛ فكيف اتفقت البشرية كلها على كره شيء واحد والتألم عند حدوثه؟! ولماذا لم نجد شخصًا واحدًا - في هذه الجموع على كثرتهما - يحب الظلم ويتلذذ به عند وقوعه عليه؟!

والإجابة هي: أنه قد ارتكز في فطر الناس جميعًا قيم أخلاقية قد جعلها الله تعالى معايير ومقاييس بما تنصلح حياتهم؛ مثل: العدل، والصدق، والعفة، ونحو ذلك؛ وغرس في نفوسهم حبها وبغض أضرارها؛ ولولا ذلك لفسد العالم.

٣- إن نفس القاعدة التي أرساها جون لوك ووافقها عليها هيوم؛ وهي: "التجربة هي أصل المعارف"؛ تثبت المعارف الفطرية؛ وذلك لأن هذه القاعدة - التي هي ركيزة

المذهب التجريبي إن كانت خطأ سقط المذهب التجريبي باختيار قاعدته الرئيسية، وإن كانت صواباً صح لنا أن نتساءل عن السبب الذي جعل التجريبيين يؤمنون بصوابها؛ فإن كانوا قد تأكدوا من صوابها بلا تجربة فهذا يعني أنها قضية بديهية وأن الإنسان يملك حقائق وراء عالم التجربة، وإن كانوا قد تأكدوا من صوابها بتجربة سابقة فهو أمر مستحيل؛ لأن التجربة لا تؤكد قيمة نفسها؛ فكأنهم أثبتوا الشيء بنفسه؛ وهو باطل^(١).

(٢) الدعوة إلى الفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي: هذه الدعوة التي نادى بها فرنسيس بيكون ولاقت قبولاً من مفكري الفلسفة الغربية؛ قد تكون لها ما يبررها مع الدين المسيحي؛ الذي عادى رجاله العلم والعلماء في القرون الوسطى؛ أما الدين الإسلامي فإنه يدعو إلى العلم، والعلم يدعو إليه؛ ويكفي أن أول قرآن نزل على النبي محمد ﷺ في بداية بعثته هو قوله تعالى: ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥] ^(٢).

(٣) إنكار الدين؛ رغم أنه أمر فطري كذلك: إن ادعاء جون لوك أن الدين ليس فطرياً، وأنه ليس عليه إجماع البشرية؛ باطل؛ لأن "الواقع الذي لا مرية فيه هو أن مطلب الألوهية مطلب توافرت عليه الفلسفات والنبوات، وأن دلائله البرهانية

(١) انظر: فلسفتنا - محمد باقر الصدر: ص ٧٣.

(٢) انظر إلى قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾؛ فإن في هذه الآية إعجازاً علمياً؛ حيث لم يعرف العلماء أطور خلق الإنسان ومنها طور "العلقة" إلا منذ خمسين سنة فقط؛ رغم أن القرآن قد بين هذه الأطوار بالتفصيل منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة؛ انظر رسالة: إنه الحق - إعداد هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة: ص ٩ - ٢٣.

مائلة في الأنفس وفي الآفاق، وأن بواعثه النفسية مركوزة في العقول وفي الوجدانات؛ غير أن الناس ليسوا على درجة سواء في سرعة الاقتناع بكل هذه الدلائل، ولا في تيقظ انتباههم بكل هذه الوسائل^(١).

- وأكبر دليل على أن الدين أمر مركوز في الفطرة الإنسانية؛ هو أن من حاول جحد ذلك واعتق الإلحاد فإنه يمرض نفسيًا، ويختل وجدانيًا؛ يقول يونج - العالم النفسي الشهير (١٨٧٥ - ١٩٦١): "طلب مني أناس كثيرون من جميع الدول المتحضرة مشورة لأمراضهم النفسية، في السنوات الثلاثين الأخيرة، ولم تكن مشكلة أحد من هؤلاء المرضى - الذين جاوزوا النصف الأول من حياتهم، وهو ما بعد خمسة وثلاثين سنة - إلا الحرمان من العقيدة الدينية، ويمكن أن يقال: إن مرضهم لم يكن إلا أنهم فقدوا الشيء الذي تعطيه الأديان الحاضرة للمؤمنين بما في كل عصر، ولم يُشَفَّ أحد من هؤلاء المرضى إلا عندما استرجع فكرته الدينية"^(٢).

- والشيء الذي تعطيه الأديان - ولم يوضحه يونج - هو الإيمان بالله تعالى، والتضرع لعظمته، والاستعانة به، والالتجاء إليه.

(٤) إنكار العقل والروح والنفس: لا شك أن إنكار هيوم لهذه الحقائق يذكرنا بفلسفة السفسطائيين الذين تشككوا في كل شيء ووجدوا كل الحقائق، ويكفي أن نستدل على أن هذه الأمور فطرية قد اتفق عليها جميع الناس؛ هو أن جون لوك وهيوم قد استخدموا هذه الألفاظ تلقائيًا في كل كلامهم؛ يقول لوك: "العقل يولد صفحة بيضاء"، ويقول هيوم: "الانطباعات تطبع العقل"^(٣)؛ وهكذا.. لا

(١) الدين - الدكتور محمد عبد الله دراز - ط دار القلم - الكويت: ص ١٦٥.

(٢) نقد الثقافة الإلحادية - د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم: ص ٣٧.

(٣) الفلسفة الحديثة والمعاصرة - د. إمام عبد الفتاح: ص ٥١.

يمكن لإنسان - مهما حاول أن يجادل أو يماري - أن ينفي هذه الحقائق؛ وإلا فما الفرق بين العاقل والمخنون؛ إذا لم يوجد شيء يسمى العقل، وما الفرق بين الحي والميت؛ إذا لم يوجد شيء يُسمى الروح؟!

(٥) إنكار الرياضيات والقواعد العقلية الصحيحة: ويكفي في الاحتجاج على فساد ما ادعاه ليكون ولوك وهيوم من إنكار الرياضيات؛ ما قامت به القواعد الرياضية من دور كبير في تحديث جميع العلوم العصرية؛ من هندسة، وفلك، وإحصاء، واقتصاد، وكذلك قد ساهمت بقدر كبير في اختراع كثير من الآلات الحديثة، والأجهزة الدقيقة.

- وأما بالنسبة للقواعد العقلية فإن جميع العلماء - ومنهم هيوم وجون ستوارت ميل - قد اتفقوا على أن جميع النظريات التحريية في العلوم الطبيعية ترتكز على عدة معارف عقلية لا تخضع للتجربة؛ بل يؤمن العقل بها إيماناً مباشراً؛ ولولاها لسقطت جميع العلوم الطبيعية؛ وهذه المعارف العقلية هي:

أ - مبدأ العلية؛ وهو الذي يعني امتناع الصدفة؛ ذلك أن الصدفة لو كانت جائزة لما أمكن للعالم الطبيعي أن يصل إلى تعليل مشترك للظواهر المتعددة التي ظهرت في تجاربه.

ب- مبدأ الانسجام بين العلة والمعلول؛ الذي يقرر أن الأمور المتماثلة في الحقيقة لا بد أن تكون مستندة إلى علة مشتركة؛ وهو القياس الإسلامي الذي استنبطه علماء أصول الفقه من القرآن والسنة.

ج- مبدأ عدم التناقض؛ الحاكم باستحالة اجتماع المتناقضين وارتفاعهما في وقت واحد^(١).

- فإن هذه المعارف العقلية الثلاثة لم تثبت بالتجربة؛ وإذا سقطت انهارت جميع العلوم الطبيعية.

(١) انظر: فلسفتنا - محمد باقر الصدر: ص ٧٩.

- ولا شك أن التجريبيين بفلسفتهم هذه قد غرسوا بذور المادية والإلحاد، ومهدوا الطريق أمام المذاهب الهدامة - مثل الماركسية والوجودية - لتبث سمومها في العالم.

- وقد فصلت في إثبات ربوبية الله تعالى للكون، وأن الإقرار بالله تعالى رباً أمر مركز في الفطرة، وأن القيم الأخلاقية والدين والقواعد العقلية الصحيحة؛ كل ذلك أمور مركز في الفطرة ومن البدهيات والمسلمات؛ ليكون في ذلك رد - ليس فقط على التجريبيين؛ بل على كل مذاهب الإلحاد والتشكيك التي تنكر هذه الحقائق، والتي ستعرض لأهمها في الوحدات التالية.

- وبعد أن عرضنا الفلسفة التجريبية؛ يحسن بنا أن نتقل إلى الفلسفة المزامنة لها في النشأة، والمعارضة لها في المنهج؛ وهي الفلسفة العقلية الرياضية؛ وذلك من خلال موضوعات الوحدة التالية.

خلاصة الوحدة الأولى

نستخلص مما سبق في هذه الوحدة ما يلي:

أولاً: مفهوم الفلسفة التجريبية:

- ١- الفلسفة التجريبية: هي تيار يعتبر التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف البشرية، ويعتمد على استقراء الجزئيات للوصول إلى الكلّيات، ويقلل من شأن العقليات.
- ٢- التجريبيون لا يعترفون بمعارف عقلية ضرورية سابقة على التجربة، ويعتبرون التجربة هي الأساس الوحيد للحكم الصحيح.
- ٣- اعتبرت الفلسفة التجريبية البحث فيما وراء الطبيعة يعد من العبث، وحصرت الفكر البشري في حدود الميدان التجريبي.
- ٤- تنطلق الفلسفة التجريبية - دائماً - من الخاص إلى العام، ومن حدود التجربة الضيقة إلى القوانين والقواعد الكلية.

ثانياً: رواد الفلسفة التجريبية وأراؤهم:

أ- فرنسيس بيكون:

- ١- حياته: من فلاسفة إنجلترا، وكان من أسرة عريقة سعت في استقلال الكنيسة الإنجليزية عن كنيسة روما، عمل في السلك الدبلوماسي في فرنسا، وترقى في مناصب كبيرة في إنجلترا، ومن أهم مؤلفاته: كتاب "الإحياء العظيم"؛ الذي لم يكتب منه إلا جزءاً واحداً عرف باسم "الأورجانون الجديد".

٢- فلسفته:

١- نقض المنطق القديم، وإظهار جموده وعمقه.

٢- وضع قواعد المنهج الاستقرائي الجديد.

٣- نقض أوهام العقل الإنساني الأربعة؛ وهي:

أ- أوهام الجنس أو القبيلة؛ والمقصود بها السلبية العقلية المتأصلة في الطبيعة البشرية، والأخطاء المشتركة بين الجنس البشري.

ب- وأوهام الكهف؛ والمقصود بها الأخطاء والسلبيات التي تتركز في كهف نفس كل إنسان من أهواء وميول ورغبات، وهي تختلف من شخص لآخر.

ج- وأوهام السوق؛ وهي التي تخص الأخطاء الناشئة عن غموض اللغة باعتبارها أداة للتفاهم والتعبير عن الأفكار؛ وهي أخطر الأوهام الأربعة.

د- وأوهام المسرح؛ وهي النظريات الخاطئة التي تفرض نفسها على الأذهان بمنطق مزيف.

٤- اهتم بكون بالقواعد الإحرائية التي ينبغي مراعاتها في البحث العلمي التحريسي الأصيل؛ وهي: قائمة الحضور أو الإثبات، وقائمة الغياب أو النفي، وقائمة المقارنة أو التفاوت في الدرجة؛ مع مراعاة إجراء الخطوات العملية في ذلك بدقة من غير تسرع.

٥- دعا بكون إلى الفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي.

٦- حرر بكون العلم من حفظ المعارف السابقة وترديدها، والتقيّد بتقليد الأسلاف.

ب- جون لوك:

١- حياته: فيلسوف إنجليزي، كان من عائلة متوسطة؛ تفوق في دراسته وعين محاضراً

بكلية كنيسة المسيح في أكسفورد، وكان يدرس الفلسفة واللغة اليونانية، وكانت

له اهتمامات متعددة؛ بالطب، واللاهوت، والسياسة، وغير ذلك، وكان يدعو إلى

التسامح الديني وتفسير الكتاب المقدس في ضوء العقل، وله مؤلفات في التسامح والعقلانية في المسيحية، ورسالة في الفهم البشري.

٢- فلسفته:

١- إنكار الأفكار الفطرية؛ مثل الإقرار بربوبية الله تعالى، والدين، والقيم الأخلاقية، والقواعد العقلية البديهية.

٢- إنكار القواعد الرياضية، والمهجوم على أنصار التيار العقلي الرياضي.

٣- ادعاء أن ذهن الإنسان يولد صفحة بيضاء خالية من كل معارف فطرية.

٤- إنكار إجماع البشرية على الإقرار بالله تعالى؛ مستدلاً بمن يجهر بالإلحاد.

٥- ادعاء أن التجربة هي أصل المعارف كلها.

٦- الأفكار التي تتوارد إلى العقل. تدخل عليه من طريقين؛ طريق الإحساس، وطريق التأمل.

ج- ديفيد هيوم:

١- حياته : فيلسوف اسكتلندي، عمل بالمحاماة، ثم تحول إلى الأدب والفلسفة، وعكف على قراءة كتب المتقدمين والمتأخرين، كان واسع الثقافة في شتى العلوم، من مؤلفاته: الطبيعة البشرية، الفهم البشري، التاريخ الطبيعي للدين.

٢- فلسفته:

١- تابع لوك في اعتبار التجربة هي أساس جميع المعارف.

٢- فرق بين أمرين:

أ- الانطباعات؛ وهي الأشياء التي تنطبع في العقل بسبب السماع أو الرؤية.

ب- الأفكار؛ وهي صورة الانطباعات عند استعادتها في الذهن بعد فترة من الزمان.

٣- الأساس الذي تقوم عليه فلسفة هيوم؛ هو أن كل فكرة صحيحة يمكن ردها إلى انطباعاتنا المباشرة، وما لا يمكن رده إلى انطباعاتنا الحسية أو الشعورية فليس فكرة

صحيحة على الإطلاق.

٤- يوافق هيوم لوك على أنه في قدرة الإنسان تشكيل أفكار مركبة من أفكار بسيطة؛ بل إنه قادر على أن يتخيل أشياء لا وجود لها؛ وإن كانت مركبة من أشياء موجودة.

٥- يعتبر هيوم وجود الله، والعقل، والروح؛ كل ذلك لا يمكن رده إلى انطباعاتنا الحسية أو الشعورية؛ فهو - بالتالي - من الأفكار المركبة التي تخيلها الإنسان وكانت في أصلها أفكاراً بسيطة؛ فالإنسان لاحظ قدرته القاصرة وعلمه القاصر؛ فبنى على هذه الأفكار البسيطة أفكاراً مركبة مدها بخياله ليلغ بها إلى قدرة غير محددة وعلم لا نهاية له؛ ثم جمع ذلك في ذات واحدة؛ وأطلق عليها اسم "الله"!

٦- أنكر هيوم الألفاظ الكلية مثل "إنسان" على الجنس البشري.

ثالثاً: تقويم الفلسفة التجريبية من منظور إسلامي:

أ - إيجابيات الفلسفة التجريبية:

١- نقض المنطق الأرسطي، وإرساء المنهج الاستقرائي.

٢- الدعوة إلى نبذ الأوهام والتجرد من الأهواء.

٣- الدعوة إلى نبذ التقليد الأعمى.

ب- سلبيات الفلسفة التجريبية:

١- إنكار المعارف لفطرية.

٢- إنكار الإيمان بالله الخالق للكون، وغرس بذور الإلحاد والمادية.

٣- الدعوة إلى الفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي.

٤- إنكار العقل والروح والنفس والدين والقيم الأخلاقية.

٥- إنكار الرياضيات والقواعد العقلية الصحيحة.

ج- إبطال ادعاءات الفلاسفة التجريبيين:

- ١- في أعماق كل نفس نداء بأن خالق الكون هو الله، ويقين جازم بأن الإنسان لم يخلق نفسه، ولم يخلقه أحد من المخلوقات التي يشاهدها؛ وكل ذلك لم يأت وليد تجربة سابقة؛ مما يدل على أنه يوجد في النفس معارف قد فطر عليها الإنسان.
- ٢- جميع البشر يكرهون الظلم ويحبون العدل؛ وهذا لم يأت وليد تجربة، وإنما رسخ في ذهن ونفس كل إنسان منذ ابتداء وعيه في هذا الكون؛ مما يدل على أن القيم الأخلاقية مركوزة في الفطر.
- ٣- قاعدة "التجربة هي أصل المعارف"؛ إذا كانت صواباً؛ فمن أين جاءت؟ لا يصح أن تكون وليدة التجربة لأن الشيء لا يثبت نفسه؛ إذن لا بد أنها جاءت من قواعد عقلية أو معارف فطرية؛ هذا إذا كانت صحيحة أصلاً.
- ٤- فصل العلم عن الدين كان مناسباً في أوروبا المسيحية في عصر النهضة؛ أما بالنسبة للإسلام فإنه يدعو إلى العلم؛ والعلم يدعو إليه.
- ٥- أثبتت تجربة الإلحاد وإنكار الدين؛ أن النفوس التي تجحد ما بداخلها من ميول دينية وإقرار بوجود الله؛ تمرض وتختل - كما أخبر بذلك علماء النفس؛ مما يدل على أن الدين أمر فطري لا يمكن أن تتخلى عنه النفس؛ وإن جحدته الشخص ظاهرياً.
- ٦- إنكار العقل والروح والنفس جحد للحقائق، وردة إلى عهد السفسطائين، وكيف - إذن - نفرق بين المجنون والعاقل، وبين الحي والميت؟!
- ٧- إنكار الرياضيات أمر يرفضه الواقع العلمي المشاهد في العالم كله؛ لأن للرياضة دور كبير في تقدم جميع العلوم المعاصرة، واختراع الأجهزة الحديثة الدقيقة.
- ٨- تقوم العلوم الطبيعية التجريبية على قواعد عقلية لم تثبت بالتجربة؛ وهي: مبدأ العلية، ومبدأ الانسجام بين العلة والمعلول، ومبدأ عدم التناقض.

الاختبار البعدي للوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخطأ في كل

مما يلي:

- ١- الفلسفة التجريبية تعتبر التجربة هي المصدر الأول للمعارف البشرية.
- ٢- التجريبيون لا يعترفون بالمعارف الفطرية.
- ٣- التجريبيون يعترفون بجميع المعارف العقلية.
- ٤- تدعو افلسفة التجريبية إلى الميتافيزيقا.
- ٥- تبدأ الفلسفة التجريبية البحث من العام إلى الخاص.
- ٦- لا يعتمد التجريبيون على الاستقراء في بحثهم.
- ٧- عمل فرنسيس بيكون في السلك الدبلوماسي في إيطاليا.
- ٨- مات بيكون وهو يأكل حمامة مشوية.
- ٩- سعت أسرة بيكون في فصل كنيسة إنجلترا عن روما.
- ١٠- أهم كتب بيكون كتاب "حكمة الأقدمين".
- ١١- كتب بيكون خمسة أجزاء من كتابه "الإحيار العظيم".
- ١٢- هاجم بيكون منطق أرسطو وبين جموده وعقمه.
- ١٣- سبق ابن تيمية بيكون في نقض المنطق.
- ١٤- أوهام الكهف هي التي تنبع من مخاطر الكهوف في الصحراء.
- ١٥- أوهام القبيلة هي التي تنشأ من غموض اللغة.
- ١٦- أوهام المسرح هي أخطر الأوهام على الإطلاق.

- ١٧- دعا ليكون إلى التوفيق بين العلم البشري والوحي الإلهي.
- ١٨- أجرى لوك عملية جراحية لأحد أصدقائه.
- ١٩- لم يكن لوك فيلسوفاً وإنما كان طبيياً بارعاً.
- ٢٠- أنكر لوك الأفكار النظرية والعقلية.
- ٢١- يرى لوك أن الإنسان متدين بطبعه.
- ٢٢- لم يعترف هيوم بأن التجربة هي أصل المعارف.
- ٢٣- عمل هيوم بالمحاماة طول حياته لشغفه بها.
- ٢٤- الانطباعات هي الأفكار في فلسفة هيوم.
- ٢٥- جميع النفوس مفضولة على الإيمان بالله الواحد الخالق للكون.

ثانياً: أسئلة الاختبار من متعدد:

- ١- سميت الأوهام التي تنشأ عن غموض اللغة بأوهام السوق:
 - أ- لأنها تحدث في السوق.
 - ب- لأن الأسواق يكثر فيها الكلام.
 - ج- لتشابه تبادل الأفكار بتبادل السلع.
 - د- لأن السوق يتحكم في حياة الناس.
- ٢- سميت الأوهام الفردية بأوهام الكهف:
 - أ- لأنها تحدث في الصحراء.
 - ب- لأن النفس تشبه الكهف.
 - ج- لأنها تحدث في الخلوة.
 - د- لأنها تحدث بعيداً عن البشر.
- ٣- قائمة التخلف مع التقارب هي:
 - أ- قائمة الحضور أو الإثبات.

- ب- قائمة المقارنة.
- ج- قائمة التفاوت في الدرجة.
- د- قائمة الغياب أو النفي.
- ٤- تعلم جون لوك وحاضر في:
- أ- جامعة كمبردج.
- ب- الجامعة الأمريكية المفتوحة.
- ج- كلية كنيسة المسيح في أكسفورد.
- د- جامعة برلين.
- ٥- ثار النقاد في إنجلترا على جون لوك:
- أ- لأنه ينكر الأفكار الفطرية.
- ب- لأنه يدعو إلى تفسير الكتاب المقدس بالعقل.
- ج- لأنه ينكر القواعد العقلية.
- د- لأنه يجعل التجربة هي أصل المعارف.
- ٦- ينكر جون لوك الأفكار الفطرية؛ لأنه يعتقد:
- أ- أن ذهن الإنسان يولد صفحة بيضاء.
- ب- أن التجربة هي خير دليل.
- ج- أن الانطباعات تحدث قبل الأفكار.
- د- أن الإنسان ليس متديناً بطبعه.
- ٧- يرى لوك أن العقل يكتسب المعلومات بالتجربة من خلال طريقين؛ هما:
- أ- الوحي والفطرة.
- ب- البدن والروح.
- ج- الإحساس والتأمل.

د- الفلسفة والأدب.

٨- يرى هيوم أن الفرق بين الانطباع والفكرة هو أن:

أ- الانطباع في الألوان والفكرة في الطعوم.

ب- الانطباع أصل الإحساس والفكرة صورته.

ج- الانطباع تجربة والفكرة فطرة.

د- الانطباع في الخير والفكرة في الشر.

٩- مثال: "جبل من ذهب" عند هيوم:

أ- انطباع فقط.

ب- فكرة بسيطة فقط.

ج- قاعدة عقلية.

د- فكرة مركبة.

١٠- كل إنسان يعلم يقيناً منذ ولادته:

أ- أنه لم يخلق نفسه.

ب- أن المخلوقات التي في العالم لم تخلقه.

ج- أن الذي خلقه هو الله وحده.

د- كل ما سبق.

ثالثاً: الأسئلة التحليلية:

١- اذكر الفرق بين:

أ- أوهام الجنس، وأوهام الكهف.

ب- أوهام السوق، وأوهام المسرح.

د- الانطباعات، والأفكار.

- هـ - التجربة عن طريق الإحساس، والتجربة عن طريق التأمل.
- و- مبدأ العلية، ومبدأ الانسجام بين العلة والمعلول.
- ٢- اكتب نبذة عن حياة كل من: بيكون - لوك - هيوم؛ مع ذكر أهم مؤلفات كل واحد منهم.
- ٣- ناقش ادعاءات التجريبيين مناقشة علمية من منظور إسلامي.
- ٤- وضح مفهوم الفلسفة التجريبية، واذكر المنهج الذي التزمته في البحث العلمي.
- ٥- ما هو الجانب الإيجابي في الفلسفة التجريبية؟

رابعاً: أسئلة المقال:

- اذكر ما تعرفه عن:
- أ - تأثير فرنسيس بيكون على اتجاهات الفلسفة الغربية.
- ب- الأساس الذي تقوم عليه فلسفة هيوم.
- ج- القواعد الإجرائية في منهج بيكون العلمي.
- د- الدعوة إلى الفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي.
- هـ- القواعد العقلية التي تقوم عليها العلوم التجريبية.

النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الطالب حتى نكتسب المزيد من المعلومات، ه حقق لأهداف التعليمه
الواردة في هذه الوحدة؛ عليك أن تقوم بممارسة النشاط التعليمي التالي
اكتب بحثاً لا يزيد عن عشر صفحات تناول فيه موضوع.
"أثر الفلسفة التجريبية على الفلسفات المعاصرة"



الوحدة الثانية

الفلسفة العقلية الرياضية الحديثة

مبررات دراسة الوحدة الثانية:

ميز الله تعالى الإنسان عن سائر الحيوان بالعقل، ومدح أصحاب العقول النيرة الرشيدة؛ فقال عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وعاب على من أهمل عقله وغلّفه بأكنة الأهواء الثقال؛ فقال حل في علاه: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣ - ٤٤].

ولا شك أن العقل هو هادي الإنسان إلى اكتشاف المكنون في هذه الطبيعة، والاجتهاد في الانتفاع بكنوزها وخيراتها..
لكن ينبغي التنبيه على أمرين مهمين غابا عن الفلاسفة العقلين في العصر الحديث فضلوا سواء السبيل؛ وهما:

الأمر الأول: أن الدين السماوي الصحيح لا يتعارض مع العقل السليم الرشيد؛ لأن الذي خلق العقل هو الذي أنزل الوحي وأرسل الرسل؛ فلا يمكن أن يتعارض أو يتناقض محتوى الشرع السماوي مع منطق العقل الإنساني الصحيح، وهذا ما نجده واضحا في الدين الإسلامي؛ فإنه لا يخبر بخبر ولا يشرع شرعا؛ إلا وشهد العقل السليم والعلم الحديث بصحته وصدقه.

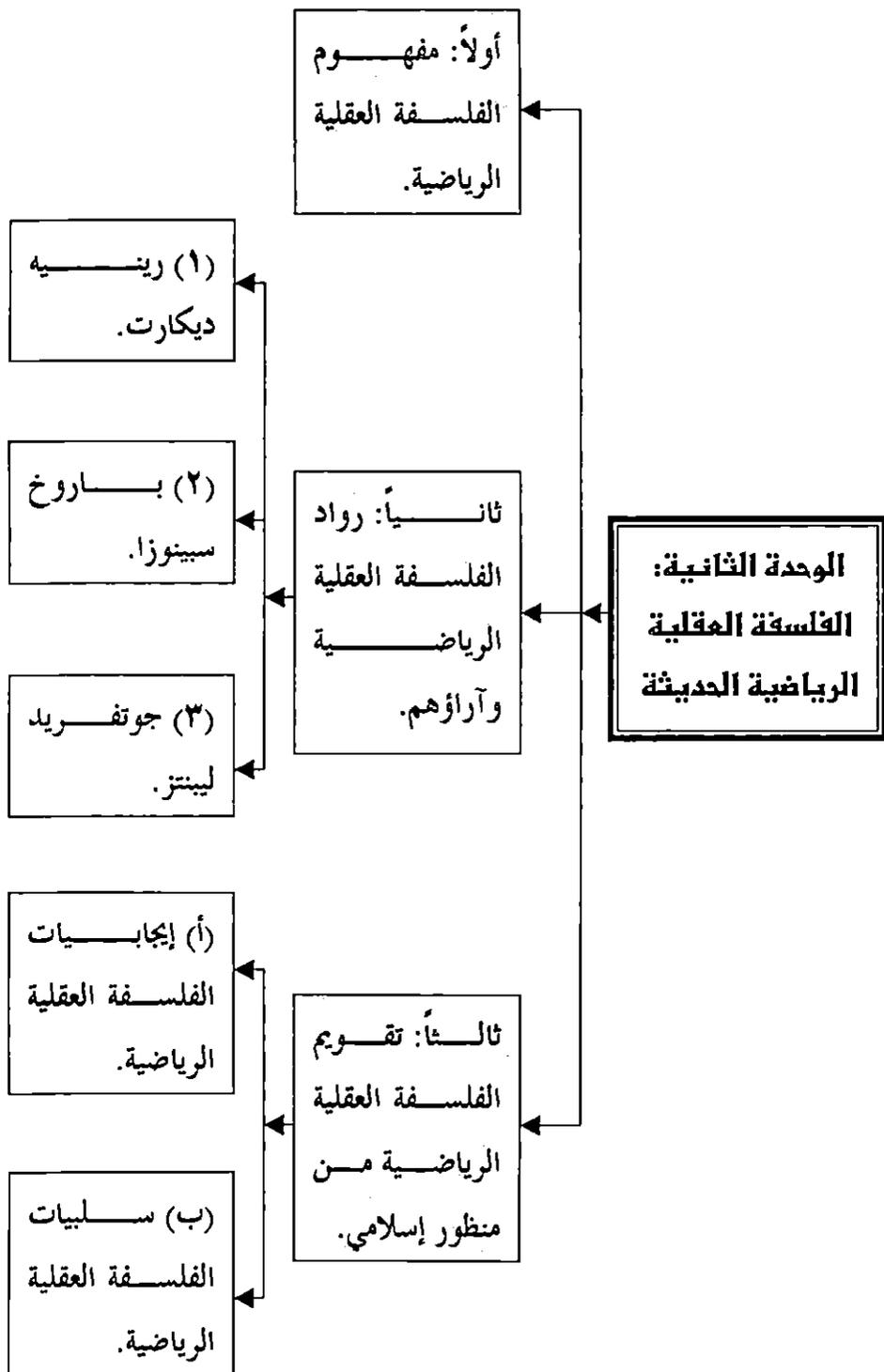
الأمر الثاني: أن العقل قاصر؛ لأنه عقل الإنسان المخلوق الفقير ناقص؛ وبالتالي فلا يمكن الاستغناء بالعقل عن الوحي بأي حالٍ من الأحوال.

فاحرص - عزيزي الدارس - على مذاكرة هذه الوحدة؛ حتى يتبين لك كيف انحرف أصحاب المنهج العقلي الرياضي عن جادة الطريق؛ بسبب إغفالهم لهذين الأمرين المهمين، والله هو الهادي إلى الصراط المستقيم.

الأهداف التعليمية للوحدة الثانية:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- توضح مفهوم الفلسفة العقلية الرياضية الحديثة.
- ٢- تعرّف برؤاد الفلسفة العقلية الرياضية الحديثة.
- ٣- تبين كيف أقام ديكارت فلسفته على الشك المنهجي.
- ٤- تشرح فلسفة كلٍ من سبينوزا وليبنتز.
- ٥- تقوّم الفلسفة العقلية الرياضية من منظور إسلامي.
- ٧- تثبت أهمية كلٍ من المعارف العقلية والتجربة الحسية.



الفلسفة العقلية الرياضية الحديثة

الوحدة الثانية

كما أن الفلسفة التجريبية قد أعلنت من شأن التجربة؛ وجعلتها أصل المعارف؛ وكذلك الفلسفة العقلية قد رفعت من شأن العقل؛ وجعلته أصل العلوم.

وقد كان للفلسفة العقلية الرياضية إيجابياتها التي ساهمت في تقدم العلوم البشرية في العصر الحديث؛ كما كان لها سلبياتها التي قوت تيار الإلحاد في الفلسفات الحديثة والمعاصرة؛ لذا بعد عرض النقاط التي تخص هذه الفلسفة سأعقب بنقد وتقييم من منظور إسلامي؛ وذلك على النحو التالي:

أولاً: مفهوم الفلسفة العقلية الرياضية:

- الفلسفة العقلية الرياضية: هي اتجاه يرد المعرفة الإنسانية ومعايير صدقها إلى العقل الإنساني؛ وليس إلى الوحي الإلهي، ولا إلى التجربة أو الحس البشري^(١).

- فالمذهب العقلي يوضح أن الحجر الأساسي للعلم هو المعلومات العقلية لأولية، وعلى ذلك الأساس تبنى المعلومات الثانوية التي تستنبط بواسطة الفكر الإنساني.

- ولذلك يقسم العقليون المعارف البشرية إلى قسمين؛ هما:

القسم الأول: معارف ضرورية أو بديهية: وهي المعارف التي تضطر النفس إلى الإذعان لها من غير أن تأتي ببرهان على صحتها؛ بل تجرد من طبيعتها ضرورة الإيمان بما إيماناً غنياً عن كل بينة أو إثبات؛ كما يمانها ومعرفتها بالقضايا الآتية: "المخلوق لا بد له من خالق"، "الحادث لا يوجد من غير سبب"، "الكل أكبر من الجزء"، "الواحد نصف

(١) انظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة - د. محمد عبد الله الشرفاوي: ص ١٣٥، الموسوعة الميسرة في الأديان

والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٨٠٦/٢.

الاثنين"، "النفي والإثبات لا يصدقان معاً في شيء واحد".

القسم الثاني: معارف نظرية: وهي المعلومات أو القضايا التي لا تؤمن النفس بصحتها إلا بعد الاستناد إلى معارف ومعلومات سابقة عليها، وبعد القيام بعملية استنباط للحقيقة من حقائق أسبق وأوضح منها؛ كما في القضايا الآتية: "الأرض كروية"، "الحركة سبب الحرارة"، "التسلسل ممتنع"، "زوايا المثلث تساوي قائمتين"، "المادة تتحول إلى طاقة"؛ فهذه القضايا وغيرها لم تؤمن بها النفس إلا بعد تفكير واستنباط من معارف ومعلومات سابقة عليها تعتبر أساساً لهذه القضايا.

- والعملية التي تستنبط بما معرفة نظرية من معارف سابقة هي ما نطلق عليه اسم الفكر أو التفكير أو الاستنباط؛ وهو الجهد الذي يبذله العقل في سبيل اكتساب علم جديد من معارفه السابقة.

- ولذلك يؤمن أصحاب المذهب العقلي بقيام علاقة سببية في المعرفة البشرية بين بعض المعلومات وبعض؛ فإن كل معرفة إنما تتولد عن معرفة سابقة؛ وهكذا تلك المعرفة حتى ينتهي التسلسل الصاعد إلى المعارف العقلية الأولية البديهية التي لم تنشأ عن معارف سابقة، وتعتبر لهذا السبب العلة الأولى للمعرفة^(١).

- وبناء على ما سلف يترتب ما يلي:

أولاً: أن المقياس الأول للتفكير البشري بصورة عامة هو المعارف العقلية الضرورية، فيجب أن تقاس صحة كل فكرة وخطؤها على ضوئها، ويصبح بموجب ذلك ميدان المعرفة البشرية أوسع من حدود الحس والتجربة، وأن الإدراك العقلي مجرد سابق على الإدراك المادي المجسد.

ثانياً: أن المنهج الفكري في رأي العقليين يتدرج من القضايا العامة إلى قضايا أخص منها، ومن الكليات إلى الجزئيات، وحتى في المجال التجريبي الذي يبدو لأول

(١) انظر: فلسفتنا - محمد باقر الصدر: ص ٦٨، ٦٩.

وهلة أن الذهن ينتقل فيه من موضوعات تجريبية جزئية إلى قواعد وقوانين عامة يكون الانتقال والسير فيه من العام إلى الخاص.

- ويرى أصحاب هذا المذهب أن التجربة لا يمكن أن تكون بذاتها المصدر الأساسي للمعرفة؛ لأن مثالها مثال الفحص الذي يجريه الطبيب على المريض؛ فإن هذا الفحص هو الذي يتيح له أن يكشف عن حقيقة المرض وملابساته؛ ولكن هذا الفحص لم يكن ليكشف عن هذا لولا ما يملكه الطبيب قبل ذلك من معلومات ومعارف؛ وهكذا التجربة البشرية بصورة عامة لا تشق الطريق إلى نتائج وحقائق إلا على ضوء معلومات عقلية سابقة^(١).

- وقد دعا أنصار النزعة العقلية إلى استخدام المناهج الرياضية في دراستهم للمشاكل الفلسفية؛ لأن الرياضة هي العلم اليقيني - عندهم - بالمعنى العميق والدقيق^(٢).

ثانياً: رواد الفلسفة العقلية الرياضية وآراؤهم:

قد تزعم النزعة العقلية فلاسفة يعتبرون من كبار فلاسفة أوروبا في عصر النهضة وما بعدها، وقد كان هؤلاء الفلاسفة جهود متعددة في مجالات العلم المختلفة؛ لذلك أرى من الفائدة أن نتعرف على حياة كل واحد منهم قبل عرض آرائه الفكرية؛ وذلك كما يلي:

(١) رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠م):

أ - حياته : ولد رينيه ديكارت بمدينة لاهاي بفرنسا، وكان من عائلة على قسط من الثراء، وماتت أمه بعد مولده بعام تقريباً، فكفلته جدته، وكان ضعيف

(١) انظر: السابق: ص ٧٠، ٧١، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: ٨٠٦/٢.

(٢) انظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٣٥، ١٣٦.

الجسد؛ لكنه أظهر منذ صغره ميلاً نحو التفكير والتأمل حتى أن والده كان يلقبه بالفيلسوف الصغير، وتلقى علومه الأولى في مدرسة لافليش اليسوعية، ثم ارتحل إلى هولندا سنة (١٦١٨م) بعد أن أكمل دراسته؛ وكان السبب في ذلك هو الرغبة في الهدوء، والابتعاد عن الأصدقاء والمعارف ليتسنى له مزيداً من التأمل، وقد تنقل بين مدن أوروبا سنين عدداً، ثم استدعته الملكة كريستينا - ملكة السويد - ليكون مستشاراً لها في شئون العلم والفكر، وهناك وافته منيته فمات بالسويد، ثم نقل رفاته إلى فرنسا سنة (١٦٦٧م) ودفن بها^(١).

ب- مؤلفاته: قد ألف ديكارث كتباً عديدة؛ أهمها^(٢):

١- مقال عن المنهج: يعد من أهم مؤلفاته، وقد ظهر في ليدن إحدى مدن هولندا سنة (١٦٣٦م)، والغرض منه هو بيان أحكام قيادة العقل، والبحث عن الحقيقة في العلوم، ولأهمية هذا المنهج قد تلاه مباشرة بحث في علم انكسار الأشعة وعلم الأنواء والهندسة؛ وهي تجارب لهذا المنهج.

٢- التأملات في الفلسفة الأولى.

٣- مبادئ الفلسفة.

٤- قواعد هداية العقل.

٥- انفعالات النفس.

٦- العالم: بدأ ديكارث كتابة هذه الرسالة سنة (١٦٢٩م)، وكان قد بحث فيها نظرية حركة الأرض على عكس اعتقاد رجال الدين من أن الأرض ثابتة وسط العالم، وعندما أتم ديكارث رسالته سنة (١٦٣٣م) علم بأن السلطة الدينية في روما قد

(١) انظر: الفلسفة الحديثة عرض نقدي - د. كريم مني: ص ٥١-١، الفلسفة الحديثة والمعاصرة - د. إمام عبد الفتاح إمام: ص ٥٧، ٥٨، مقدمة كتاب "مقال عن المنهج لديكارث" - للمترجم محمود محمد الخضيري: ص ٧٨ - ٨٣.

(٢) انظر: الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٥٧، ٥٨، مقدمة مقال عن المنهج: ص ٩٧، ٩٨، ١٥١.

أعدمت العالم الشهير جاليليو بسبب قوله بحركة الأرض، فألقى ديكارت رسالته خشية أن يصطدم برجال الدين ويحدث له مثلما حدث لجاليليو، وقد كان شعاره الدائم: "عاش سعيداً من أحسن في الاختفاء"^(١).

ج- فلسفته: قد بحث ديكارت في كتبه كثيراً من الموضوعات الفلسفية العقلية؛ ويمكن إجمال أهمها فيما يلي:

١- المنهج: كانت العناية بالمنهج مميزة من مميزات القرن السابع عشر الميلادي، فقد اهتم المفكرون في هذا العصر بالبحث عن منهج جديد يختلف عن منهج الفلسفة المدرسية الذي ساد طوال العصر الوسيط.

وقد وجد ديكارت في الرياضيات المثال الذي ينبغي احتذاؤه في العلم؛ لأنه اعتقد أن المعرفة يجب أن تكون يقينية، وبراهين الرياضيات - دائماً - يقينية، والعقل الإنساني واحد؛ والاختلاف الحاصل في العلوم المتعددة إنما سببه الاختلاف في المناهج بسبب ظنيها وعدم وصولها إلى درجة اليقين، ولو طبق على كل علم المنهج الذي يتبعه الرياضيون في الوصول إلى براهينهم لبلغت العلوم درجة الرياضة من حيث استقرار النتائج؛ ولم يبق شيء - إذن - يرر اختلاف العلماء ومجادلاتهم.

ثم صمم عزمه على أن يعرف كيف يتصرف العقل في طريقة البرهان الرياضي، وأخذ يحلل المنهج الرياضي إلى عناصره العقلية؛ فوجد أنه يشتمل على عنصرين عقليين؛ هما: البداهة والقياس؛ فالبداهة هي الأمور التي يسلم بها العقل، والقياس هو الاستنباط العقلي للنتائج، وبالتالي خرج بهذه النتيجة؛ وهي: "ليس للمعرفة الصحيحة غير سبيلين هما البداهة والقياس"^(٢).

- ويذكر ديكارت أمثلة للأمور البديهية؛ فيقول: "يستطيع كل إنسان أن يرى

(١) مقدمة مقال عن المنهج: ص ٩٩، وانظر: آفاق فلسفية: ص ١٤٦.

(٢) مقدمة مقال عن المنهج: ص ١٣٩، وانظر: ص ١٣٧، ١٣٨ من نفس الكتاب، وانظر - أيضاً: الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ص ٥٨، ٥٩.

بالبداهة أنه موجود وأنه يفكر، وأن المثلث محدود بثلاثة خطوط، وأنه ليس للكرة إلا سطحًا واحدًا، وغير ذلك من الحقائق المشابهة التي هي أكثر عددًا مما يعتقد في العادة"^(١).

- ويقصد ديكرات بالقياس عموم النظر العقلي، وكل أنواع الاستنباط، وهو يعرفه بأنه "العملية التي يُستنبط بها شيء من شيء آخر"^(٢).

- ولكي تتحقق البداة الرياضية، ويصلح العقل للاستنباط؛ لا بد أن نخلص تفكيرنا من بعض المعوقات؛ مثل:

أ - طرح الأفكار الصادرة عن السلطات أيًا كانت هذه السلطات؛ فلسفية أو اجتماعية أو سياسية أو دينية (الكنيسة)؛ لأنها أشد الأفكار ميلًا مع الهوى وبعدها عن اليقين.

ب- هجر الأفكار التي تصفق لها الجماهير؛ فليست كثرة الأصوات التي تتجمع على رأي ما هي بالضرورة دليلاً على صحته.

ج- عدم الأخذ بشهادة الحس؛ لأنها كثيرًا ما تكون خادعة.

د - نبذ المنطق الأرسطي كأداة للمعرفة؛ لأن القياس الأرسطي أداة عقيمة لا توصل إلى معرفة جديدة.

- وقد وضع ديكرات في كتابه "مقال عن المنهج" أربع قواعد تصف الخطوات التي يسير عليها العقل البشري حين يفكر تفكيرًا رياضيًا؛ هي"^(٣):

القاعدة الأولى: قاعدة اليقين: وهي عدم التسليم بشيء أنه حق ما لم يتم التأكد والتيقن من ذلك، وهذا يعني تجنب التهور والحكم المتسرع، وأن تكون الأحكام

(١) مقدمة مقال عن المنهج: ص ١٣٩.

(٢) السابق: ص ١٤٠.

(٣) انظر: مقال عن المنهج لديكرات: ص ١٩٠ - ١٩٢.

صدرت عما يتمثل أمام العقل في وضوح تام؛ بحيث لا يكون هناك مجال للشك.

القاعدة الثانية: قاعدة التحليل: وهي تقسيم كل واحدة من المشكلات التي

يُبحث فيها إلى أجزاء بسيطة على قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه.

القاعدة الثالثة: قاعدة التأليف والتركيب: وهي البدء بأيسر الأمور معرفة، ثم

التدرج قليلاً قليلاً حتى الوصول إلى معرفة أكثر ترتيماً؛ مع الحرص على الترتيب بين

الأمور التي لا ينبغي أن يسبق بعضها البعض الآخر.

- وفي هذه القاعدة يسلك ديكارت عكس الطريق الذي سلكه في خطوة

التحليل؛ فيسير من السهل إلى المعقد؛ متبعاً الترتيب الطبيعي، ومبيناً في كل خطوة

خطوها أن الأكثر تعقيداً مرتب مباشرة على ما هو أبسط منه؛ وتلك هي مهمة

التأليف والتركيب.

القاعدة الرابعة: قاعدة الاستقراء التام أو المراجعة: وهي القيام بعملية إحصاء

تام ومراجعة شاملة لكل ما يتصل بالمشكلة المعروضة للبحث من غير إغفال شيء.

٢- الشك المنهجي هو بداية المعرفة: يرى ديكارت أن البدء بالشك في

البحث هو الذي يوصل إلى المعرفة؛ لأن الحواس كثيراً ما تخدع؛ فهي مثل الحلم الذي

نراه في النوم؛ نحسبه حقيقة فإذا استيقظنا تبدد ولم يكن من الحقيقة في شيء، فما الذي

يمنع أن تكون تصوراتنا في اليقظة مثل تصوراتنا في المنام كلها خيالات وأوهام؟

ومقصد ديكارت من هذا الشك هو الوصول إلى اليقين؛ فيقول: "كان مقصدي

لا يرمي إلا إلى اليقين، وإلى أن أدع الأرض الرخوة والرمل لكي أجد الصخر أو

الصلصال"^(١).

وبدأ ديكارت بالشك في كل شيء، ثم أخذ يتساءل: أي شيء أكون؟ ثم أجاب

بأنه يفكر، وطالما أنه يفكر إذن فهو موجود، فأصبحت هذه المقدمة هي المقدمة الأولى

(١) مقدمة مقال عن المنهج للمترجم: ص ١٢٤.

التي لا تقبل الشك: "أنا أفكر، إذن فأنا موجود"^(١).

ثم تدرج من هذه المقدمة إلى التمييز بين النفس والبدن؛ فالنفس - عنده - هي الجوهر الذي يحل فيه الفكر مباشرة، والجسم هو الجوهر المتحيز الذي يتخذ شكلاً ووضعا^(٢).

٣- إثبات وجود الله: يثبت ديكرت وجود الله تعالى - انطلاقاً من مقدمته

الشهيرة "أنا أفكر، إذن فأنا موجود" - بثلاثة أدلة؛ هي:

الدليل الأول: إذا كان ديكرت يفكر فمن أين جاءه هذا التفكير؟ يستحيل أن يكون قد جاءه من العدم، كما يستحيل أن يكون قد استمدته من نفسه؛ لأنه متشكك ويريد أن يصل إلى ما هو أكمل؛ إذن فلا بد أن يكون قد ألقى إليه بواسطة من هو أكثر كمالاً؛ بل وله كل الكمالات؛ وهو الله عز وجل.

الدليل الثاني: إذا كان ديكرت موجوداً وغير تام الكمال، وليس هو الكائن الوحيد في الوجود؛ إذن فلا بد لوجوده من علة أو سبب، أو بعبارة إسلامية - وغير فلسفية: هو مخلوق فقير ناقص يسعى إلى تكميل نفسه، وكل من حوله كذلك؛ فلا بد أن يكون هناك خالق له الكمال المطلق، وهذا الخالق كما قدر على الخلق يقدر على أن يهب الكمال البشري؛ وهو الله رب العالمين جل جلاله.

الدليل الثالث: اعتمد ديكرت على قاعدة وضوح المعاني وتميزها؛ ومحصل هذا: أن معنى الكمال المطلق أمر مستقر في النفس، ولا يوجد ذلك إلا لله تعالى، وإذا كان الله تعالى متصفاً بكل الكمالات فهو إذن موجود، وذلك لأن الأشياء التي نتصورها تصوراً واضحاً هي جميعاً حقيقة، والذي يمنحنا هذا التصور الحقيقي هو الله تعالى

(١) مقال عن المنهج لديكرت: ص ٢١٤.

(٢) انظر: السابق: ص ٢١٨، وانظر مبادئ الفلسفة لديكرت - ترجمة د. عثمان أمين - ط دار الثقافة: ص ٥٦.

مصدر الجود والصدق، ومن المستحيل أن يخدعنا^(١).

- ونخلص من ذلك إلى أن ديكرت قد استدلت على وجود الله تعالى بثلاثة أدلة
عر عنها بطريقة فلسفية تبدو غامضة؛ ويمكن توضيحها بطريقة إسلامية على النحو
التالي:

الدليل الأول: أن الخواطر والأفكار التي تتوارد على نفوسنا؛ ليست من خلقنا
ولا من خلق أحد من البشر - باتفاق العقلاء - ولا بد أن نتساءل من أين تأتيها؟ فلا
بد أن هناك إلهًا عظيمًا هو الذي يخلق في نفوسنا هذه الأفكار.

الدليل الثاني: أننا لم نخلق أنفسنا ولا يمكننا ذلك، وأنا فقراء ومحتاجون؛ فلا بد
أن الذي خلقنا موجود وله صفات الكمال وله الغنى المطلق؛ لأن المخلوق لا بد له من
خالق مدبر لشؤنه، ومغيث لهفاته.

الدليل الثالث: قد استقر في النفوس اعتراف النفس بإله خالق؛ وقد تطلعت
النفوس بطبيعتها إلى تكميل نقصها بالاستمداد من صاحب الكمال المطلق وهو الله
تعالى؛ فكان ما استقر في فطر العباد جميعًا دليلاً على وجود الله تعالى، وعلى أنه هو
واهب النعم ومسدي الكمال البشري.

(٢) باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧م):

أ - حياته: ولد في امستردام من عائلة يهودية كانت قد هاجرت من أسبانيا إلى
هولندا، وقد درس التلمود والتوراة وفكر بعض الفلاسفة اليهود مثل موسى بن
ميمون، وحين بلغ الثالثة والعشرين من عمره أظهر معارضة شديدة لمعتقدات اليهود
وظقوسهم الدينية، وقد بذل المجتمع اليهودي جهودًا كبيرة في استرضاء سبينوزا بالمال
لكي لا يفصح عن آرائه المعارضة للدين؛ ولكن ذهبت تلك الجهود عبثًا؛ لذلك قرر

(١) انظر: مبادئ الفلسفة لديكرت: ص ٦٠، ٦١، مقدمة مقال عن المنهج للمترجم محمود محمد الحضري:

ص ١٣٢ - ١٣٥؛ وانظر - أيضًا: الفلسفة الحديثة عرض نقدي - د. كرم مني: ص ٧٥ - ٧٨.

المجتمع حرمانه من الكنيسة واعتباره زنديقاً وكافراً، ولما بلغ العداء له مداها، وهدده اليهود بالقتل اضطر إلى مغادرة امستردام إلى لاهاي، وعاش بقية حياته فيها حتى مات في الخامسة والأربعين بسبب إصابته بمرض السنل؛ وهو محترم من اليهود والمسيحيين على السواء^(١).

ب- مؤلفاته: له مؤلفات عديدة؛ أهمها:

١- رسالة في اللاهوت والسياسة: يثبت فيها سبينوزا أن حرية الفكر لا تعارض الإيمان الصحيح، ويبين فيها الصلة بين السلطات الدينية والسلطات السياسية^(٢).

٢- الأخلاق.

٣- بحث في إصلاح العقل والأفكار الميتافيزيقية.

٤- مبادئ فلسفة ديكارت.

٥- مقالة قصيرة في الله وفي الإنسان وسعادته^(٣).

ج- فلسفته: اقتضى سبينوز أثر ديكارت في التزام المنهج العقلي الرياضي، واعتقد أن الرياضيات هي المفتاح لحل أسرار الكون واكتشاف قوانينه، واتخذ الهندسة نموذجاً بني على غرارها فلسفته؛ وذلك على النحو التالي:

١- المنهج العقلي: يرى سبينوز أن الهندسة تبدأ بقضايا صادقة بذاتها، وكذلك البحث عن الحقيقة ينبغي أن يبدأ بقضايا صادقة بذاتها تتخذ نقطة انطلاق في بناء المعرفة البشرية التي ترمي إلى تحقيق سعادة قصوى دائمة متصلة للناس جميعاً.

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ١٠٦، الفلسفة الحديثة عرض نقدي: ص ٩١-٩٠، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: ٧٩٦/٢.

(٢) انظر: قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر - د. حسن حنفي - ط دار الفكر العربي: ص ٦٠-٦٢.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ١٠٧، الفلسفة الحديثة عرض نقدي: ص ٩١-٩٠.

- ويقسم سينيوز المعرفة إلى أنواع أربعة؛ هي:

أ - المعرفة السماعية: وهي المعرفة التي تنشأ مما يتناقله الناس من أشياء، وهذه المعرفة ليست يقينية.

ب- المعرفة المستمدة من التجربة البحتة أو الاستقراء الاعتيادي: وهي المعرفة التي لم يتحقق العقل من صدقها؛ رغم أننا لم نعتز على ظواهر أو وقائع تعارضها، وتكاد تكون معرفتنا العلمية كلها من هذا النوع؛ مثل معرفتنا أن النفط وقود للنار، وأن الماء يطفئ النار، وهذا النوع من المعرفة يكشف عن الصفات العرضية للأشياء؛ فلذا لا يمكن اعتباره معرفة علمية بالمعنى الدقيق؛ لأن المعرفة العلمية الحقة تعنى باكتشاف ماهيات الأشياء وحقائقها.

ج- المعرفة الاستدلالية: وهي المعرفة التي نحصل عليها من استنتاج حقيقة وماهية شيء من آخر دون أن ندرك النحو الذي تحدث فيه هذه النتيجة؛ ومثال ذلك: عندما أعرف أن حجم شخص يبدو من بعيد أصغر مما هو في الحقيقة؛ أستنتج من ذلك أن الشمس أكبر مما تبدو لي، وهذه المعرفة - أيضاً - ليست كافية للوصول إلى الكمال الذي ننشده؛ لأن الاستدلال يحتاج إلى الضرورة والبداية.

د- المعرفة الحدسية: وهي العلم الذي ينشأ من إدراك شيء ما من خلال ماهيته أو سببه القريب؛ ومثال ذلك: أعرف بواسطة الحدس أن العقل متحد مع الجسم، وأن اثنين وثلاثة خمسة، وأن الخططين الموازيين لثالث متوازيان، وهذه هي المعرفة الوحيدة البريئة من الخطأ - في نظر سينيوزا - لأنها تمكننا من إدراك ماهية الأشياء وتضمن لنا الخير الحقيقي^(١).

٢- تطبيق المنهج العقلي على الدين: حاول سينيوزا أن يطبق المنهج الديكارتي في المجالات التي استبعدها ديكارت نفسه عن منهجه؛ وهي مجالات الأديان والعقائد

(١) انظر: الفلسفة الحديثة عرض نقدي: ص ٩١، ٩٤ - ٩٦، وانظر: رواد الفلسفة الحديثة: ص ٨٧.

والتاريخ؛ فأتى بأفكار شاذة لا تتفق مع الأديان ولا تتفق مع آراء ديكرت؛ ويمكن إجمال هذه الأفكار فيما يلي:

(أ) القانون الطبيعي والقانون الإلهي أو وحدة الوجود: القانون هو اندراج جميع الأفراد تحت قاعدة واحدة، وإذا كانت المعرفة لا تكون يقينية إلا إذا اعتمدت على معرفة الله وحده؛ فإن كمالنا وخيرنا الأقصى في معرفة الله، وكل الموجودات الطبيعية تعبر حسب درجة كمالها عن الله، وبالتالي كلما عرفنا الموجودات الطبيعية كملت معرفتنا بالله، ويكون أمر الله هو فكرته فينا، وقانون الله هو قاعدة للسلوك في حياتنا العلمية^(١).

- وعلى هذا فالإرادة الإلهية والطبيعة الإلهية لا تتميزان إلا من وجهة النظر الإنسانية؛ بل إن قوانين الطبيعة وأوامر الله الخالدة شيء واحد بعينه، وإن كل الأشياء تنشأ من طبيعة الله الخالدة.

- ومما سبق يتضح لنا أن سبينوزا يقول بوحدة الوجود؛ وهو أن وجود الله ووجود الطبيعة شيء واحد لا اختلاف بينهما؛ إنما الفرق في النظر الإنساني وحده؛ لذلك يصرح بقوله: "ما في الوجود إلا الله، فالله هو الوجود الحق، ولا وجود معه بمثله لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان متماثلان"، ويقول: "إن للطبيعة عالماً واحداً هو الطبيعة والله في آن واحد، وليس في هذا العالم مكان لما فوق الطبيعة"، ويقول أيضاً: "ليس هناك فرق بين العقل كما يمثل الله، وبين المادة كما تمثلها الطبيعة فهما شيء واحد"^(٢).

ب- تفسير الوحي بمنظور عقلي: بناء على ما سلف من فكرة وحدة الوجود؛ يرى سبينوزا أن قدرة الطبيعة هي قدرة الله نفسه، وأن السبب الأول في وجود الوحي

(١) انظر: رواد الفلسفة الحديثة: ص ٩٢، قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر: ص ٦٦، ٦٧.

(٢) أقوال سبينوزا في وحدة الوجود في: الموسوعة المسيرة: ٧٩٧/٢.

إلى الأنبياء هو طبيعة الروح الإنسانية وقدرتها على تكوين بعض الأفكار لتفسر بها طبيعة الأشياء وتدل على الحياة الحقة، وبالتالي فإن العقل -لا الوحي- هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود؛ لأن فكرة وجود الوحي مستمدة من طبيعة العقل^(١).

(ج) تفسير معجزات الأنبياء بمنظور عقلي: إذا كانت قدرة الطبيعة هي قدرة الله، وقوانين الطبيعة لا نهائية كالعقل الإلهي - كما يرى سبينوزا - فإن المعجزة - إذن - عمل من أعمال الطبيعة نجعل عللها المباشرة؛ ولا نستطيع إدراكها بالنور الفطري؛ وعلى هذا فالمعجزة بالمعنى التقليدي؛ وهي: خرق قوانين الطبيعة مستحيلة الوقوع؛ لأن قوانين الطبيعة هي صفات الله، وصفات الله لا تتغير أو تتوقف عن الفعل لحظة^(٢).

- وعلى هذا فالمعجزة التي هي شيء خارق للعادة، ودليل على صحة دعوى النبي لا وجود لها - كما يعتقد سبينوزا؛ وبالتالي فالمقياس الوحيد في معرفة الأشياء وضبطها هو العقل الذي يستطيع أن يعرف نظام الطبيعة الثابت الذي لا يتغير؛ وهذا النظام هو الذي يعرفنا وجود الله وماهيته - كما سلف.

- بل إن قوانين الطبيعة الثابتة هي أعظم دليل على وجود الله، والمعجزة نفسها لا تحدث خارج الطبيعة بل داخلها؛ وبذلك يؤدي الإيمان بالمعجزات بالمعنى السائد إلى الإلحاد - على رأي سبينوزا^(٣).

- ومن أجل هذه الأفكار المتداخلة والشاذة في آن واحد؛ كان سبينوزا محتقراً من الطائفتين المسيحية واليهودية، ووصفوه بأنه من المهرطقة الخطيرين^(٤).

(١) انظر: قضايا معاصرة في الفكر الغربي: ص ٦٢، الموسوعة الميسرة: ٨٠٧/٢.

(٢) انظر: قضايا معاصرة: ص ٦٨، ٦٩، الموسوعة الميسرة: ٨٠٧/٢.

(٣) انظر: قضايا معاصرة: ص ٦٩.

(٤) انظر: رواد الفلسفة الحديثة: ص ٨٣.

(٣) جوتفريد لينتز (١٦٤٦ - ١٧١٦م):

أ - حياته: ولد جوتفريد لينتز في ألمانيا، وكان من أسرة اشتهرت بالمبول العقلية وخاصة في ميدان القانون، وقد توفي أبوه وهو في السادسة من عمره، وحرصت أمه على أن تربيته على العقيدة البروتستانتية، وقد تفوق في دراسته من الصغر، واستطاع أن يحصل على شهادة الليسانس ثم الدكتوراه في القانون وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، وقد درس مع القانون الفلسفة والرياضيات، وبسبب جهوده العلمية عُرض عليه أن يدرس في الجامعة وهو صغير السن؛ ولكنه رفض هذا العرض. وقد اتصل لينتز باخياة السياسية واندمج فيها؛ حتى ظلت السياسة هدفاً رئيسياً من أهداف حياته، ترقى في المناسبات السياسية، وكانت تلميذته صوفيا شارلوت التي أصبحت ملكة بروسيا فيما بعد، وكان يتنقل في بلاد أوروبا حتى توفي في إنجلترا^(١).

ب- مؤلفاته: كتب لينتز مؤلفات عديدة؛ أهمها:

١- كتاب مذهب الذرات الروحية أو المونادولوجيا: وهو يعد أهم كتبه الفلسفية؛ الذي يشتمل على معظم آرائه وابتكاراته العقلية؛ وخاصة أنه كتبه قبل وفاته بعامين.

٢- الحكمة الإلهية: وهو عبارة عن محادثات ومناقشات مع الأميرة صوفيا.

٣- كتابا مبادئ الطبيعة، واللفظ الإلهي: كتبهما سنة (١٧١٤م) ونشرا بعد وفاته.

٤- مقال في الميتافيزيقا: سنة (١٦٩٥م).

٦- وله كشوف في حساب التفاضل والتكامل^(٢).

ج- فلسفته: لاحظ لينتز الخطر الذي يهدد الدين من جراء الكشوف العلمية الحديثة، وقد كان مثل ديكارت يحرص على الالتزام بالمبادئ العامة للاهوت المسيحي

(١) انظر: آفاق الفلسفة - د. فؤاد زكريا: ص ١٦٧ - ١٧٠، رواد الفلسفة الحديثة: ص ٥٣، ٥٤.

(٢) انظر: آفاق الفلسفة: ص ١٦٩، ١٧٥.

لتقليدي؛ لذلك حرص في فلسفته على أن يحد من تطرف الروح العلمية وطموحها، وحاول أن يحقق نوعاً من الانسجام بين مجالَي الدين والعلم.

ولقد كانت وسيلته إلى هذا التوفيق ذات طابع مزدوج: فهو من جهة يؤكد أن الطبيعة لا تخضع للقوانين الآلية وحدها؛ لأنها ذات طبيعة روحية في أساسها، وكانت هذه هي الفكرة الرئيسية في كتابه "مذهب الذرات الروحية"، ومن جهة أخرى ينظر إلى الألوهية من ناحية علمية بدرجة كبيرة^(١).

وانطلاقاً من هذا المبدأ تميزت فلسفة ليبنتر بأمرين؛ هما:

الأمر الأول: محاولة التوفيق بين المذاهب الفلسفية القديمة والحديثة؛ حيث تضمنت فلسفته طرفاً من كل مذهب، واشتملت على كثير من الأضداد مثل: الكلبي والجزئي، والمكن والموجود، والمنطقي والميتافيزيقي، والرياضي والطبيعي، والآلية والغائية، والمادة والروح، والחס والعقل، والفلسفة والدين..

وهكذا.. يرى ليبنتر أن "كثرة الفرق على حق في كثير مما ثبت لا في ما تنفي"^(٢).

الأمر الثاني: ابتكار فكرة الذرات الروحية أو الجوهر البسيط الحي الذي لا يتجزأ أو "المونادا"؛ وهي كلمة يونانية بمعنى الوحدة الحسابية أو الجزء الذي لا يتجزأ.. وخلاصة هذه الفكرة: أن كل موجود حي، وليس بين الموجودات من تفاوت في الحياة إلا بالدرجة؛ تبعاً لمبدأ الاتصال الذي يستبعد الانتقال الفجائي، وهذا التفاوت بالدرجة هو بحسب درجة تميز الإدراك، والدرجات - عنده - أربع؛ هي: مطلق الحي؛ أي ما يسمى جماداً، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الإنسان، فأرواح بعض هذه الأشياء فوق بعض غير نهاية.

فالمونادا عند ليبنتر هي وحدة القوة والنشاط والفاعلية، والمونادات مخلوقة وتتعدم

(١) انظر: السابق؛ ص ١٧٧، ١٧٨.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة؛ ص ١٢٦.

في ظاهر الحس وتفسد؛ لكنها في حقيقتها خالدة، وهي تدرك العالم أجمع لأنها محاكيات للذات الإلهية، وكل منها مرآة للوجود لأنه لما كانت الأشياء متصلة فليس يمكن إدراك جزء دون إدراك الكل.

وفوق المونادات المتناهية توجد المونادا العظمى اللامتناهية أو "الله" الذي خلق جميع المونادات^(١).

- والمقصود من فكرة المونادا هذه هو أن ليبنتز يريد أن يعطي القوة والحركة والفاعلية في الكون والحياة درجة عظمى؛ لذلك كان من أكبر جهوده تأسيسه للمنطق الرياضي الذي تقدم في عصرنا تقدماً كبيراً، وإلى فلسفته ترجع النظرية الفيزيائية العصرية المسماة بنظرية الطاقة؛ والتي ترد الأجسام إلى "مراكز قوة" أو كهرباء^(٢).
ولكن الظاهر من هذه الفكرة هو الغموض الفلسفي، ولو أنه اقتصر على الجهود الرياضية من غير أن يوسع خياله بهذه الصورة الغريبة لكان خيراً له، ولعل السبب في ذلك هو محاولته تفسير الإلهية تفسيراً علمياً مع صبغ الطبيعة بصبغة روحية؛ كما سلفت الإشارة إلى ذلك.

- وأخطر ما في هذه الفكرة الفلسفية هو القضاء على الحد الفاصل بين الكون والفساد، والميلاد والمات؛ بحيث لا تكون هذه الأضداد إلا حالات طارئة تتعاقب على الذرات الروحية فحسب؛ لذلك يؤكد ليبنتز أنه لا يعترف بوجود نفس خاصة تظل مرتبطة بكتلة معينة من المادة وتقتصر على رعاية شأنها؛ "ذلك لأن الأجسام كلها في صيرورة دائمة كالأنهار، وهناك أجزاء تدخل فيها وتخرج منها بلا انقطاع.. ويترتب على ذلك أنه لا يوجد كون تام، ولا فساد أو موت كامل بالمعنى الدقيق؛ يكون قوامه

(١) انظر تفصيل فكرة الذرات الروحية (المونادا) في: آفاق الفلسفة: ص ١٧٨ - ١٨٤، تاريخ الفلسفة الحديثة:

ص ١٣٠ - ١٣٦.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ١٤٠.

مفارقة النفس، وليس ما سمي بالكون إلا نماء وريادة؛ مثلما أن ما سمي بالموت إنما هو ضمور ونقصان^(١).

ثالثاً: تقويم الفلسفة العقلية الرياضية من منظور إسلامي:

مما سبق يتضح لنا أن الفلسفة العقلية الرياضية تشتمل على إيجابيات لها أثر كبير في النهضة العلمية الحديثة؛ كما أنها تشتمل على سلبيات خطيرة دعمت التيارات المادية الإحادية فيما بعد؛ وبيان هذه الإيجابيات والسلبيات على النحو التالي:

(أ) إيجابيات الفلسفة العقلية الرياضية:

يمكن حصر إيجابيات الفلسفة العقلية الرياضية فيما يلي.

١- إثبات وجود الله: فقد اجتهد ديكارت في إثبات وجود الله بأدلة عقلية، ولا شك أن هذه ميزة تميز بها أعلام الفلسفة العقلية عن لوك وهيوم التحريبيين - كما سبق في الوحدة السابقة.

٢- إثبات المعارف الفطرية: فقد بي ديكارت ومن جاء بعده من الفلاسفة العقلين مذهبهم على البديهيات والمعارف الفطرية؛ بل إن ديكارت قد استدل على وجود الله بقاعدة وضوح المعاني وتميزها التي تركز على استقرار معنى الكمال المطلق في النفس؛ وهو ما نسميه بإقرار الفطرة الإنسانية برؤية الله القادر للكون.

٣- نقض المنطق الأرسطي: فقد رفض الفلاسفة العقليون - وفي مقدمتهم ديكارت - المنطق الأرسطي، واعتبروه أداة عقيمة لا توصل إلى معرفة جديدة؛ وقد سبقت الإشارة إلى أن المسلمين سبقوا فلاسفة الغرب المحدثين إلى ذلك، ويُن ابن تيمية عقم المنطق الأرسطي وسلبياته.

٤- الارتقاء بالمنهج الرياضي: فقد صرف الفلاسفة العقليون جل جهودهم إلى

(١) آفاق الفلسفة: ص ١٨٤

الارتقاء بالمنهج الرياضي، وكان لذلك عظيم الأثر في النهضة العلمية الحديثة؛ حيث دخلت القواعد الرياضية في معظم العلوم وأكسبتها صفة الدقة واليقينية.

(ب) سليات الفلسفة العقلية الرياضية:

يمكن حصر سليات الفلسفة العقلية الرياضية فيما يلي:

(١) الاعتماد على العقل وحده وإبعاد الوحي كمنهج للوصول إلى المعرفة:

فالفلاسفة العقليون يرون أن الوصول إلى المعرفة؛ وخاصة فيما يتعلق بطبيعة الكون؛ لا يكون إلا بالعقل وحده، ولا يعطون للوحي أية قيمة في هذا الشأن؛ وهذا من غير شك معارضة صريحة للفكر الإسلامي؛ بل لكل دين سماوي صحيح؛ لأن الذي خلق العقل وخلق الكون هو الذي أنزل الوحي لهداية الناس إلى ربهم، وتبصيرهم بوسائل الهداية في أمور معاشهم.

(٢) الشك المنهجي المطلق بداية غير صحيحة للوصول إلى المعرفة: فالطريقة

التي اتخذها ديكارت لإثبات وجود الله وللوصول إلى المعرفة؛ وهي طريقة الشك المنهجي المطلق غير سديدة؛ بل ومتناقضة مع ما قرره ديكارت نفسه من وجود بديهيات ومعارف أولية فطرية هي أساس جميع المعارف النظرية والرياضية.

وانطلاقه من مقدمة: "أنا أفكر؛ فأنا إذن موجود" غير صحيح منهجياً؛ لأنه أراد

أن يبرهن على وجوده بفكره الخاص فقط؛ رغم أنه اعترف بوجوده في نفس الجملة لأنه قال: "أنا" قبل أن يقول: "أفكر"؛ والإنسان يثبت فكره الخاص بعد إثبات وجوده لا العكس، وهذا أمر بديهي^(١).

وعلى هذا.. فالصحيح هو اطراح هذا الشك، والابتداء في الوصول إلى الحقيقة

والمعرفة من المعارف الفطرية التي خلقها الله تعالى في نفس الإنسان؛ ومثال ذلك:

(١) انظر: فلسفتنا - محمد باقر الصدر: ص ١٠٧.

- أن النفس الإنسانية قد فطرت على الإقرار برب للكون؛ فلا داعي - إذن لإثبات هذه الحقيقة؛ ولنبي عليها حقيقة ثانية وهي أن رب الكون المتفرد بمخلقه وإبداعه يجب أن يوحد ويفرد بالعبادة والتأليه.

- وكذلك قد فطرت النفس البشرية على أن البناء لا بد له من بان، وأن الخلق لا بد له من خالق، والكون بناء، والكائنات خلق؛ فلا بد أن يكون لها خالق أكمل منها وأقدر وأعلم وأحكم؛ ونبي على هذه البديهة الفطرية أن خالق الكون واحد قادر عليه حكيم.

وهكذا.. لا حاجة لنا بالشك المنهجي الذي ابتكره ديكرت؛ ويكفي ما أودعه الله تعالى في نفس الإنسان من معارف فطرية ومواهب عقلية جديرة بأن تكون أساساً لجميع المعارف النظرية والتجريبية التي تبني عليها.

(٣) هرطقة سبينوزا ومبالغة لبيتر: فقد أدى الإفراط في استخدام الخيال العقلي عند سبينوزا إلى الهرطقة التي لا تتوافق مع العقل السليم، ولا مع الدين السماوي الصحيح؛ حيث جعل وجود الإله الخالق ووجود الطبيعة المخلوقة شيئاً واحداً؛ وهذا أمر يناقض الفطرة والبديهة العقلية من ناحية، ويخالف الحس والتجربة والمشاهدة البصرية من ناحية أخرى؛ فكيف يكون وجود الطبيعة الصماء التي ينشأ ويفنى ما فيها كل يوم أمام أعيننا؛ هو نفس وجود الله الخالق لهذه الطبيعة وما فيها؛ الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء.

- وكذلك إفراط لبيتر في التفكير العقلي حمله على الإسراف في الحكم بحياة الجماد وإنكار وجود نفس في بدن؛ وهذا أمر لا يقره عقل ولا يوافق عليه عاقل، وابتكار فكرة الذرات الروحية هو محض خيال؛ ولا دليل عليها من برهان رياضي، ولا وحى سماوي، ولا دليل حسي.

(٤) تفسير الوحي والمعجزات بمنظور عقلي مادي: وهذه السلبية من أخطر

سلبيات الفلسفة العقلية الرياضية؛ حيث اعتبر سبينوزا وجود الوحي ناشئاً عن طبيعة الروح الإنسانية وقدرتها على تكوين بعض الأشياء، وهذا أمر لا يتفق مع العقل؛ كما أنه يعد دعوة إلى المادية والإلحاد وهدم الأديان..

ويكفي للرد عليه أن نقول له: إذا كان وجود الوحي من طبيعة الروح الإنسانية فلماذا لم تستطع جميع الأرواح المستقرة في كل إنسان إنشاء وإيجاد هذا الوحي؟ ولماذا اختص الوحي بمجموعة قليلة من البشر؛ وهم الأنبياء؟ وإذا كنت تقر بوجود الوحي فما الدليل على أن الوحي ناشئ من طبيعة الروح الإنسانية؟

هل رأيت الروح البشرية وتتبع طريقها في إيجاد الوحي؟

- واعتبار قوانين الطبيعة هي صفات الله ثم اعتبار خرق هذه القوانين مستحيل؛ وبالتالي اعتقاد أن المعجزة مستحيلة وإلحاد؛ كل ذلك باطل؛ فقوانين الطبيعة من خلق الله؛ كما أن الأجهزة التي تعمل في بدن الإنسان من خلق الله أيضاً، والخالق القادر على خلق هذه القوانين والأجهزة قادر على خرق ناموسها، وتغيير مسارها، وإيقاف حركتها؛ لحكمة يعلمها؛ ولذلك شاءت حكمته أن يؤيد رسله بالمعجزات الخارقة للعادة كدليل على صدق هؤلاء الرسل، وحتى لا يلتبس الأمر على الناس ويستطيعوا أن يميزوا بين النبي الصادق والمدعى الكذاب.

- واعتقاد أن قوانين الطبيعة لا نهائية باطل كذلك؛ بل إن العلم الحديث قد أثبت أن الطاقة إلى فناء، وأن قوانين الكون سيأتي عليها يوم تتبدل فيه وتغير.

(٥) التقليل من شأن التجربة والحس: قد سبق في الوحدة السالفة إثبات أن التجربة تقوم - أولاً - على أسس عقلية بديهية؛ مثل مبدأ العلية، ومبدأ عدم التناقض؛ ولكن قيام التجربة على أسس عقلية لا يعني أن التجربة لا قيمة لها، وأن الحس لا وزن له وأنه - دائماً - خادع؛ بل الصحيح هو أن التجربة تقوم على المعارف العقلية الفطرية، وهذه المعارف العقلية تتوقف على الحس والتجربة عند إخراجها إلى دنيا

الواقع؛ ومثال ذلك: مبدأ عدم التناقض - الذي يعني أن وجود الشيء وعدمه لا يجتمعان - يتوقف على تصور الوجود - أولاً، وتصور العدم - ثانياً، وتصور الاجتماع - ثالثاً؛ وهذه التصورات الثلاثة لا يمكن حدوثها عند الإنسان في لحظة وجوده الأولى؛ وإنما تحدث وتنشأ عن طريق الحس والتجربة عندما يخلق الله في الإنسان وسائل الإدراك الحسية من السمع والبصر وغير ذلك^(١)؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

- وعلى هذا.. فالصحيح هو الجمع بين التفكير العقلي والتجربة الحسية، واعتماد الأمرين معاً كمنهج للوصول إلى المعرفة واكتشاف طبيعة الكون وحقائقه الوجود، ومن الخطأ الاقتصار على أحد الأمرين وإهمال الأمر الثاني.

- وبعد أن تعرفنا على أهم مذهبين في مذاهب الفلسفة الحديثة؛ وهما: التحريية، والعقلية الرياضية؛ نتقل الآن إلى عرض أهم وأخطر مذاهب وتيارات الفلسفة المعاصرة؛ وذلك من خلال موضوعات الوحدة الثالثة.

(١) انظر: فلسفتنا: ص ٨٣.

خلاصة الوحدة الثانية

نستخلص مما سبق في هذه الوحدة ما يلي:

- ١- الفلسفة العقلية الرياضية اتجاه يرد المعرفة الإنسانية إلى العقل الإنساني؛ ويجعل المنهج الرياضي هو العلم اليقيني الذي ينبغي أن يستخدم لدراسة المشاكل الفلسفية.
- ٢- يرى العقليون أن المعارف البشرية تنقسم إلى قسمين: معارف ضرورية بديهية؛ مثل: "المخلوق لا بد له من خالق"، ومعارف نظرية تنبني على المعارف البديهية؛ مثل: "زوايا المثلث تساوي قائمتين".
- ٣- يؤمن أصحاب المذهب العقلي بقيام علاقة السببية في المعرفة البشرية بين بعض المعلومات وبعض؛ حيث تتولد كل معرفة عن معرفة سابقة حتى نصل إلى المعارف الأولية البديهية.
- ٤- المنهج الفكري في رأي العقلين يتدرج من القضايا العامة إلى قضايا أخص منها، ومن الكلليات إلى الجزئيات.
- ٥- يرى العقليون أن التجربة لا يمكن أن تكون بذاتها المصدر الأساسي للمعرفة.
- ٦- أبرز فلاسفة النزعة العقلية الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت؛ الذي أسهم بمؤلفات عديدة في خدمة المنهج العقلي الرياضي؛ أهمها: كتاب مقال عن المنهج، ومبادئ الفلسفة.
- ٧- التزم ديكارت بالمنهج الرياضي وحلله إلى عناصره العقلية، ورأى أنه يشتمل على عنصرين عقليين؛ هما: البداهة والقياس؛ والبداهة: هي الأمور التي يسلم بها العقل، والقياس: هو عموم النظر العقلي وكل أنواع الاستنباط.
- ٨- دعا ديكارت إلى طرح المعوقات التي تعوق تفكيرنا عن الوصول إلى المعرفة

الحقيقية؛ مثل: الأفكار الصادرة عن السلطات وخاصة الكنيسة، والأفكار التي تصفق لها الجماهير، وشهادة الحس التي تكون - غالباً - خادعة، والمنطق الأرسطي العقيم.

٩- وضع ديكارت في كتابه "مقال عن المنهج" أربع قواعد تصف الخطوات التي يسير عليها العقل البشري حين يفكر تفكيراً رياضياً؛ هي: قاعدة اليقين، وقاعدة التحليل، وقاعدة التأليف والتركيب، وقاعدة الاستقراء التام أو المراجعة.

١٠- اعتبر ديكارت الشك المنهجي هو بداية المعرفة؛ لأن الحواس كثيراً ما تخدع، ومقصده من هذا الشك هو الوصول إلى اليقين، وبدأ منهجه من قاعدة: "أنا أفكر، إذن فأنا موجود".

١١- أثبت ديكارت وجود الله تعالى بثلاثة أدلة عقلية؛ هي:

أ- الحواضر والأفكار التي تتوارد على نفوسنا ليست من خلقنا؛ فلا بد أن يكون الذي خلقها إله عظيم له كل الكمالات؛ وهو الله تعالى.

ب- نحن خلق ناقص يسعى إلى الكمال؛ فلا بد أن يكون هناك من له الكمال المطلق الذي يستطيع أن يخلق الخلق، ويستطيع كذلك أن يهب له الكمال؛ وهو الله عز وجل.

ج- معنى الكمال مستقر في النفس، والاعتراف بإله خالق متصف بكل كمال أمر - كذلك - مستقر في النفس؛ فكان ما استقر في فطر العباد جميعاً دليلاً على وجود الله عز وجل؛ وهذه القاعدة سماها ديكارت بقاعدة وضوح المعاني وتميزها.

١٢- خلف سبينوزا ديكارت في الانتصار للمذهب العقلي الرياضي؛ ولكنه خالف ديكارت في تطبيق منهجه على الدين والأخلاق فأتى بآراء شاذة ومنحرفة.

١٣- كان سبينوزا يهودي الديانة؛ ولكنه اعترض على كثير من العقائد اليهودية وأتى بما يغضب عليه اليهود والنصارى؛ حتى اعتبر عند الطائفتين من المراطقة الخطيرين.

- ١٤- يقسم سينوز المعرفة إلى أنواع أربعة؛ هي: معرفة سماعية، ومعرفة مستمدة من التجربة، ومعرفة استدلالية، ومعرفة حدسية.
- ١٥- يرى سينوزا أن المعرفة لا تكون يقينية إلا إذا اعتمدت على معرفة الله وحده، وبالتالي فإن كمالنا لا يكون إلا في معرفة الله، وكل الموجودات الطبيعية تعبر حسب درجة كمالها عن الله؛ وبالتالي كلما عرفنا الموجودات الطبيعية كملت معرفتنا بالله؛ وعلى هذا فالإرادة الإلهية والطبيعة الإلهية لا يتميزان إلا من وجهة النظر الإنسانية؛ ومن هنا قال سينوزا بوحدة الوجود.
- ١٦- يعتبر سينوزا قدرة الطبيعة هي قدرة الله، وأن السبب الأول في وجود الوحي إلى الأنبياء هو طبيعة الروح الإنسانية وقدرتها على تكوين بعض الأفكار لتفسر بها طبيعة الأشياء، وبالتالي فإن العقل -لا الوحي- هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود.
- ١٧- يرى سينوزا أن المعجزة عمل من أعمال الطبيعة، وأن المعجزة بالمعنى المشهور -أما حرق لقوانين الطبيعة - مستحيلة الوقوع.
- ١٨- سار لينتزر على نهج ديكرت في الالتزام بالمبادئ العامة للاهوت المسيحي، وحاول أن يحقق الانسجام بين مجالي الدين والعلم.
- ١٩- حاول لينتزر أن يوفق بين المذاهب الفلسفية القديمة والحديثة؛ لأنه يرى أن كثرة الفرق على حق في كثير مما ثبت لا في ما تنفي.
- ٢٠- ابتكر لينتزر فكرة الذرات الروحية أو "المونادا"، والتي تعني القوة والنشاط والفاعلية السارية في جميع الكائنات، ومن هنا اعتبر درجات الحياة والإدراكات أربعة؛ هي: الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان.
- ٢١- يعتقد لينتزر أن "المونادات" تنعدم وتفسد في الظاهر؛ ولكنها في حقيقتها خالدة، وأن فوق جميع المونادات المتناهية المونادا العظمى اللامتناهية أو "الله" الذي خلق جميع المونادات.

٢٢- أخطر ما في فكرة الذرات الروحية عند لينتزر هو القضاء على الحد الفاصل بين الكون والفساد، والميلاد والمعات؛ بحيث لا تكون الأضداد إلا حالات طارئة، وهذا الذي دفعه إلى عدم الاعتراف بوجود نفس خاصة تظل مرتبطة ببدن معين من المادة.

٢٣- تتميز الفلسفة العقلية الرياضية بأربعة أمور؛ هي:

أ - إثبات وجود الله تعالى.

ب- إثبات المعارف الفطرية.

ج- نقض المنطق الأرسطي.

د- الارتقاء بالمنهج الرياضي الذي كان له كبير الأثر في النهضة العلمية الحديثة.

٢٤- وتنحصر سلبيات الفلسفة العقلية الرياضية في :

أ - الاعتماد على العقل وحده وإبعاد الوحي كمنهج للوصول إلى المعرفة.

ب- الشك المنهجي المطلق الذي يتعارض مع الإقرار بالمعارف الفطرية.

ج- هرطقة سبينوزا التي لا تتوافق مع العقل السليم، ولا الدين الصحيح، ولا العلم

الحديث، والتي تنظر إلى الوحي والمعجزات من منظور عقلي مادي يدعو إلى

الإلحاد والمادية وهدم الأديان.

د- مبالغة لينتزر التي حملته على الإفراط في الخيال بحيث حكم للحمام بالحياة وأتى

بفكرة لا دليل عليها من برهان رياضي، ولا وحي سماوي، ولا دليل حسي.

هـ- التقليل من شأن التجربة الحسية؛ رغم أن المعارف العقلية تتوقف على الحس

والتجربة عند إخراجها إلى دنيا الواقع.

٢٥- الصحيح هو الجمع بين التفكير العقلي والتجربة الحسية؛ واعتماد الأمرين معاً

كمنهج للوصول إلى المعرفة واكتشاف طبيعة الكون وحقيقة الوجود؛ مع

الاعتراف بأن العقل قاصر ومحدود لا يمكن تحكيمه في أمور الغيب التي أخبر بها

الوحي، وجاءت بها الرسل، وقررتها الأديان السماوية الصحيحة.

الاختبار البعدي للوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخطأ في كل

مما يلي:

- ١- الفلسفة العقلية الرياضية تعتبر العقل الإنساني هو المصدر الأول للمعارف البشرية.
- ٢- لا يعترف العقليون بالمعارف الفطرية البديهية.
- ٣- المعارف البديهية تعتمد على المعارف النظرية.
- ٤- المعارف البديهية أولاً ثم المعارف النظرية.
- ٥- الحركة سبب الحرارة؛ معرفة بديهية.
- ٦- الكل أكبر من الجزء؛ معرفة نظرية.
- ٧- لا يؤمن العقليون بقيام علاقة السببية في المعرفة البشرية.
- ٨- التزم أنصار النزعة العقلية بالمناهج الرياضية في دراستهم للفلسفة.
- ٩- ولد ديكارت في ألمانيا، وولد ليبنتز في فرنسا.
- ١٠- أشهر مؤلفات ديكارت كتاب "مقال عن المنهج".
- ١١- يرى ديكارت أن الأفكار التي تصفق لها الجماهير دائماً صائبة.
- ١٢- قاعدة التحليل هي البدء باليسير تدريجياً حتى الوصول إلى الصعب.
- ١٣- قاعدة اليقين هي تقسيم كل مشكلة إلى أجزاء بسيطة.
- ١٤- يرى ديكارت أن الشك المنهجي هو بداية المعرفة.
- ١٥- اعتمد ديكارت في إثبات وجود الله على القرآن والإنجيل.
- ١٦- كان سبينوزا يهودياً ثم خالف عقائد قومه.
- ١٧- المعرفة السماعية هي المستمدة من التجربة البحتة.

- ١٨- المعرفة الحدسية هي المعرفة الوحيدة السالمة من الخطأ في نظر سبينوزا.
 ١٩- يرى سبينوزا أن المعجزة مستحيلة والإيمان بما إلحاد.
 ٢٠- يعتقد سبينوزا أن الوحي حق وأنه أمر غيبي.
 ٢١- يعتقد سبينوزا أنه لا يوجد في العالم مكان فوق الطبيعة.
 ٢٢- يقول سبينوزا بوحدة الوجود بين الطبيعة والله تعالى.
 ٢٣- يعتقد ليبنتز في وجود نفس في بدن مادي.
 ٢٤- يرى ليبنتز أن الجماد حي من الأحياء.
 ٢٥- لا يوافق الدين والعقل السليم على هرطقة سبينوزا وخيالية ليبنتز.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

- (١) المعارف البديهية؛ هي المعارف التي:
 أ- لا تؤمن بما النفس إلا برهان ساطع.
 ب- تؤمن بما النفس من غير برهان.
 ج- تستمدتها النفس من التجربة.
 د- تستمدتها النفس من التاريخ.
- (٢) المعارف النظرية؛ هي المعارف التي:
 أ- تتوصل إليها النفس بحاسة العين.
 ب- تتوصل إليها النفس بالاستنباط.
 ج- تستمدتها النفس من واقع الحياة.
 د- تضطر النفس إلى تصديقها.
- (٣) لا يمكن أن تكون التجربة هي المصدر الأساسي للمعرفة:
 أ- لأنها غير يقينية.
 ب- لأنها غير نظرية.

- ج- لأنها تعتمد على معارف سابقة.
د- لأنها خادعة.
- (٤) ألغى ديكارت رسالته "العالم":
أ - لاعترافه بعدم صحتها.
ب - خشية أن يصطدم برجال الدين.
ج - حرصاً على الجاه والسلطان.
د - حرصاً على مخالفة جاليليو.
- (٥) حلل ديكارت المنهج الرياضي فوجده يتكون من عنصرين؛ هما:
أ - التجربة والحس.
ب - الدين والعقل.
ج - البداهة والقياس.
د - الجغرافيا والتاريخ.
- (٦) النفس عند ديكارت؛ هي:
أ - الجوهر المتحيز الذي يتخذ شكلاً.
ب - الجوهر الذي يحل فيه الفكر مباشرة.
ج - الروح التي بما الحياة.
د - المعارف البديهية.
- (٧) حاول اليهود قتل سبينوزا؛ لأنه:
أ - هاجر من أسبانيا إلى هولندا.
ب - اعتنق المسيحية وترك اليهودية.
ج - عارض معتقدات اليهود وطقوسهم.
د - درس فكر موسى بن ميمون.

- (٨) المعرفة الحدسية؛ هي:
- أ - إدراك شيء من خلال سببه القريب.
- ب- الاستنباط الصحيح.
- ج- إدراك ماهية الأشياء بدقة.
- د- يصلح كل ما سبق.
- (٩) عرف سبينوزا المعجزة بأنها:
- أ - عمل من أعمال الطبيعة.
- ب- أمر خارق لقوانين الطبيعة.
- ج- دليل على صحة دعوى النبي.
- د- المقياس الوحيد في معرفة الأشياء.
- (١٠) "المونادا" عند ليبنتز؛ هي:
- أ - كلمة يونانية بمعنى الوحدة الحسابية.
- ب- الجزء الذي لا يتجزأ.
- ج- وحدة القوة والنشاط والفاعلية.
- د- كل ما سبق.

ثالثاً الأسئلة التحليلية:

- (١) اذكر الفرق بين:
- أ - المعارف الضرورية، والمعارف النظرية.
- ب- البداهة، والقياس.
- ج- قاعدة التحليل، وقاعدة التأليف والتركيب.
- د- المعرفة الاستدلالية، والمعرفة الحدسية.
- هـ- الوحي في الإسلام، والوحي عند سبينوزا.

- و- النفس عند ديكرت، والنفس عند لينتز.
- (٢) اكتب نبذة عن حياة كل من: ديكرت - سبينوزا - لينتز؛ مع ذكر أهم مؤلفات كل واحد منهم.
- (٣) اذكر إيجابيات الفلسفة العقلية الرياضية.
- (٤) بين سلبيات الفلسفة العقلية الرياضية؛ مع مناقشتها من منظور إسلامي.
- (٥) وضح مفهوم الفلسفة العقلية الرياضية؛ وبين هل التزم به كل من سبينوزا ولينتز أم لا.

رابعاً: أسئلة المقال:

- اذكر ما تعرفه عن:
- (أ) الشك المنهجي عند ديكرت.
- (ب) وحدة الوجود عند سبينوزا.
- (ج) فكرة الذرات الروحية عند لينتز.
- (د) قواعد المنهج عند ديكرت.
- (هـ) أنواع المعرفة عند سبينوزا.

النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الطالب: حتى تكتسب المزيد من المعلومات، وتحقق الأهداف التعليمية الواردة في هذه الوحدة؛ عليك أن تقوم بممارسة النشاط التعليمي التالي:
اكتب بحثاً مختصراً تناول فيه موضوع: "الوصول إلى المعرفة بين العقل والتجربة".



الوحدة الثالثة

الفلسفات الأوروبية المعاصرة

مبررات دراسة الوحدة الثالثة:

إن الله تعالى قد أنعم على المسلمين المتبعين لهدي محمد ﷺ بأعظم نعمة في الوجود؛ وهي: العصمة من الضلال واليه والتخبط؛ الذي انغمست فيه الشعوب العربية؛ إذ أن هناك فرقاً كبيراً بين:

- المسلمين الذين يؤمنون بالله رباً واحداً لا شريك له، وبمحمد ﷺ رسولاً هادياً لا نبي بعده؛ وبين الملحدون الذين يعيشون في حيرة بين فطرهم التي تنادي عليهم - من أعماق أنفسهم - بالإيمان بالله، وبين أئمة الباطل الذين يزيفون لهم الحقائق، ويلقنهم الكفر والإحاد.

- المسلمين الذين يتخذون القرآن الكريم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - شرعة ومنهاجاً، ومرجعاً إلى أهدى الأحكام، وأجمل الأخلاق؛ وبين من يتخذ كتاباً محرّفاً - قد ملئ بالخرافات - معلماً ومرشداً، أو من يتبع مذاهب منحرفة باطلة لا تدعو إلا إلى ما فيه هلاك الإنسان ودماره.

- المسلمين الذين يؤمنون بالبعث والجنة والنار، وأن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، وأن من آمن وعمل صالحاً فله الجنة خالداً فيه أبداً؛ وبين من يعتقد أن نهايته المحتومة هي الموت الذي لا حياة بعده، وأن الدنيا دار عبث، وأن حياة الإنسان لا هدف منها ولا غاية، وأن قصة الإنسان في هذا الوجود مأساة تدفع إلى الانشغال بالشهوات والملذات فراراً من التفكير فيها؛ أو إلى الهم والكرب وضيق الصدر ثم الانتحار؛ استعجالاً لإنهاء هذه المأساة.

عزيزي الدارس: إن ما وصل إليه الغرب - والعالم الكافر من ورائه - اليوم من

الانحراف الديني والخلقي والاجتماعي؛ لم يكن فجأة ولا طفرة؛ وإنما كان وليد تخطيط استمر عشرات السنين، وكان نتيجة فلسفات هدامة كرس لها الدعاء إليها حياتهم وجهودهم وأموالهم.. فاحرص على مذاكرة هذه الوحدة باجتهد؛ حتى تلم بأفكار هذه الفلسفات، وتتعرف على أبرز شخصياتها، والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

الأهداف التعليمية للوحدة الثالثة:

- عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:
- ١- تبين مفهوم كل من: المثالية، والوضعية، والنفعية، والذرائعية، والوجودية.
 - ٢- تعرّف بأبرز شخصيات الفلسفات الأوربية المعاصرة.
 - ٣- تذكر أقسام الفلسفة الوجودية مع توضيح أفكار كل قسم منها.
 - ٤- تشرح آراء فرويد التي أقام عليها فلسفته الجنسية.
 - ٥- تفرق بين الوجودية الدينية والوجودية الإلحادية.
 - ٦- توضح المقصود بقانون الحالات الثلاث.
 - ٧- تنبه إلى خطورة فكرة العقل الجمعي.
 - ٨- تنقض الفلسفات الأوربية المعاصرة من منظور إسلامي.

الوحدة الثالثة: الفلسفات الأوروبية المعاصرة



سادساً: الفلسفة
الوجودية.

أولاً: الفلسفة
المثالية.

خامساً:
الفلسفة الجنسية
الفرويدية.

ثانياً: الفلسفة
الوضعية
وأقسامها.

رابعاً: الفلسفة
الذرائعية
(البرجماتية).

ثالثاً: الفلسفة
النفعية.

الفلسفات الأوروبية المعاصرة

الوحدة الثالثة

بعد أن تعرفنا على أهم وأشهر مذهبين في الفلسفة الحديثة في الوجدتين السالفتين، واستطعنا أن نبين إيجابيات هذين المذهبين وسلبياتهما؛ نتعرض في هذه الوحدة لأشهر وأخطر الفلسفات المعاصرة؛ التي تدور أفكارها - في مجملها - حول الإخاد والمادية والإباحية والعشبية..

ويمكن حصر هذه الفلسفات الهدامة في ستة تيارات؛ هي: المثالية، والوضعية بأقسامها، والنفعية، والذرائعية (البرجماتية)، والجنسية الفرويدية، والوجودية. ونظرًا لوضوح بطلان هذه المذاهب، ومناقضتها للأديان والعقول والأخلاق والعلم الحديث؛ فإنني سأكتفي بإتباع كل فلسفة منها بنقض مختصر من غير إطالة.. وبيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: الفلسفة المثالية:

تعتبر الفلسفة المثالية هي أقل الفلسفات المعاصرة خطراً، وأكثرها مشابجة للفلسفة الميتافيزيقية القديمة، ويمكن بيان مفهوم هذه الفلسفة والتعريف بروادها من خلال النقاط التالية^(١):

(١) مفهومها وأفكارها: المثالية مذهب فلسفي يعطي الأولوية في الوجود للروح على أن يكون وجود المادة ثانوياً، وهو عكس المذهب المادي - الذي سنتعرض

(١) انظر هذه النقاط في: تاريخ الفلسفة الحديثة - د. يوسف كرم: ص ١٦٢ - ١٧٠، ٢٠٨ - ٢٠٧، ٢٧٤ - ٢٩١، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - بوخنسكي: ص ٣١ - ٣٣، الموسوعة الميصرية في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٢/ ٨٢٥ - ٨٢٧، قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر - د. حسن حنفي: ص ١١٩، ١٢٧، عقائد وتيارات فكرية معاصرة - مجموعة من الأساتذة - ط دار قطري بن الفحاة - قطر: ص ٢٩٢ - ٢٩٥.

له بالتفصيل في القسم الثالث من هذا المقرر عند الكلام عن الماركسية - الذي يعطي الأولوية في الوجود للمادة على أن تكون الروح انعكاساً للمادة وظلاً لها.

وتقترب المثالية كثيراً من الفلسفة القديمة لأنها تبلور مباحث الفلسفة الثلاثة الرئيسية؛ وهي: الحق، والخير، والجمال؛ كما أنها تعطي المباحث الغيبية وما وراء الطبيعة (المتافيزيقية) اهتماماً كبيراً، وتجعل العقل هو أساس المعرفة وأنه هو الحقيقة النهائية.

- ومن هنا يتضح لنا أن الفلسفة المثالية تشابه الفلسفة القديمة من حيث الموضوع؛ لأنها تبحث فيما وراء الطبيعة، وتشابه الفلسفة العقلية الرياضية من حيث اعتبار العقل هو أساس المعرفة.

- ويمكن تلخيص أفكارها ومعتقداتها فيما يلي:

أ - يرى المثاليون أن جوهر الحقيقة روحي، والروح لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا في علاقتها بعنصر مادي؛ وهذا هو علة وجود المادة.

ب - الأرواح هي الفاعل وهي التي تملك الإرادة.

ج - الأشياء المادية المحسوسة ليست سوى مجموعات من الأفكار، أو من المعطيات الحسية، ونحن لا نستطيع أن نتصور الصفات التي ننسبها إلى الأشياء المادية مجردة من تجربتنا الحسية لها.

د - الأشياء الطبيعية التي لا يدركها الإنسان موجودة في علم الله، ومعرفتنا مقتصرة على الظواهر، ولا نستطيع معرفة الأشياء في ذاتها.

هـ - يرى المثاليون أن الشر شيء عارض وعابر في الحياة، والأدب المثالي يحاول الكشف - دائماً - عن الطبيعة الخيرة والجميلة للإنسان؛ ومن هنا سميت هذه الفلسفة بالمثالية.

(٢) مؤسسوها وأبرز شخصياتها: أشهر مؤسسي المثالية وأبرز شخصياتها:

أ - جورج باركلي (١٦٨٥ - ١٧٥٣م): يعد المؤسس الحقيقي للمثالية؛ وهو فيلسوف إيرلندي، كان راهباً متشبعاً - طول حياته - بالفكر الديني اللاهوتي، ومدافعاً عن الإيمان الديني والإدراك الفطري السليم، وقد حاول إقامة جامعة لتخرج مبشرين بالنصرانية، وقد كان على جانب كبير من النشاط والجاهزية الفطرية والقدرة على الإقناع.

وحياة باركلي وميوله الدينية كان لها أكبر الأثر في توجيهه الفلسفي نحو القول بالمثالية، وأنه لا حقيقة إلا للروح وللخالقها - سبحانه، وأن الوجود المادي وجود ظاهري يحس به الإنسان ويدركه بعقله فقط.

ب- عمانوئيل كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤م): فيلسوف ألماني تأثر بآراء باركلي المثالية، وكان يعتقد أن هناك حجة أخلاقية كافية للبرهان على وجود الله هي القانون الأخلاقي؛ ومن آرائه الأخلاقية أنه كان يرفض النظريتين المعروفتين: النظرية القائلة: إن الإنسان شرير بطبعه، وأن هذا هو سبب طرده من الجنة وهبوطه على الأرض، والنظرية القائلة: إن الإنسان خير بطبعه ويتقدم دائماً نحو الأكمال، ويحاول التوفيق بين النظريتين بأن الإنسان خير وشرير معاً؛ فهو خير من وجهه وشرير من وجه آخر. ومن مؤلفاته: "الدين في حدود العقل وحده"، و"نقد العقل الخالص"، و"نقد العقل العملي".

ج- جوهان فيشته (١٧٦٢ - ١٨١٤م): فيلسوف ألماني، درس اللاهوت والفلسفة، وتلمذ على يد كانت، وكان لخطبه الشهيرة في برلين عميق الأثر في إحياء بروسيا بعد هزائمها على يد نابليون بونابرت القائد الفرنسي الشهير.

د - جورج فلهم هيغل (١٧٧٠ - ١٨٣١م) : فيلسوف ألماني؛ كان من أكبر الفلاسفة الذين أثروا في فلسفات متعددة؛ مثل: الوجودية والماركسية والذرائعية في مجال الجدل، وكان يعتقد أن الوجود المادي مظهر للروح.

هـ- آرثر شوبنهاور (١٧٨٨ - ١٨٦٠م): فيلسوف ألماني، تأثر كثيراً بفلسفة أفلاطون المثالية، وتأثر كذلك بكانت، من كتبه: "العالم إرادة وفكرة"، وقد تأثر بالبودية؛ ولكنه لم يقبل مذهب تناسخ الأرواح.

- وقد انتشرت المثالية في إنجلترا على يد جرين (١٨٣٦ - ١٩٢٤م)، وبرادلي (١٨٤٦ - ١٩٢٤م).

(٣) تقويم الفلسفة المثالية من منظور إسلامي: واضح من خلال سيرة أنصار الفلسفة المثالية أنهم يدينون بالدين المسيحي، ويحاولون الانتصار للغيبات والمعنويات على الماديات؛ وخاصة بعد ظهور البوادر الأولى للمادية الإلحادية.

وتتميز الفلسفة المثالية بالإيمان بالله تعالى، والتصديق بوجود الروح والعالم العبي. - ولكن يؤخذ على هذا المذهب أنه يعتمد اعتماداً كلياً على إعطاء الروح الأولية في الوجود وتملك الإرادة والفعل، ومعلوم أن الروح من الأسرار التي لم يستطع إنسان - مهما بلغ من العلم - أن يقف على حقيقتها؛ فكيف تقوم فلسفة بكاملها على شيء لا يمكن معرفة كنهه، وصدق الله العظيم إذ يقول في القرآن الكريم: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

ثانياً: الفلسفة الوضعية وأقسامها:

تعتبر الفلسفة الوضعية من أخطر الفلسفات المعاصرة التي دعت إلى المادية والإلحاد، وقد تأثر بها كثير من الباحثين العرب المتخصصين في مجال الفلسفة، ويمكن بيان مفهوم هذه الفلسفة وأقسامها وأفكارها والتعريف بروادها من خلال النقاط التالية:

(١) مفهومها: هي مذهب فلسفي ملحد؛ يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع الحسية فقط؛ إذ لا إيمان إلا بمنهج العلم التجريبي، ولا

معيار للحقيقة إلا التجربة الحسية وحدها، وبالتالي لا اعتراف بالغيبيات التي تقول بها الأديان، ولا مجال لما وراء الطبيعة وعالم الحس؛ إذ لا وجود له - أصلاً.

- ويرى أنصار هذه الفلسفة أن العلوم الجزئية كقيلة بحل المشكلات التي كانت تبحثها الفلسفة، ولم يبق من مفهوم الفلسفة إلا أنها المنهج الذي ينظم نتائج العلوم الجزئية.

- ونظراً إلى أن الفلسفة الوضعية ترى أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين؛ فقد أطلق عليها اسم الفلسفة الواقعية، وهي وليدة الفلسفة التجريبية الحديثة التي أسسها فرنسيس بيكون وأسهم فيها لوك وهيوم - كما سبق في الوحدة الأولى من هذا القسم؛ ولكن أنصار هذه الفلسفة قد حولوا الفلسفة التجريبية الحديثة إلى مذهب إلحادي مادي صرف^(١).

(٢) أقسامها: تنقسم الفلسفة الوضعية بسبب اجتهادات أنصارها إلى ثلاثة أقسام؛ هي:

القسم الأول: الفلسفة الوضعية التجريبية: وهي التي لم يكتب مؤسسوها بالإيمان الذي لا حد له بمنهج العلم التجريبي؛ بل اخترعوا ديناً جديداً سموه بالإنسانية، وعبدوا من خلاله إله "الإنسانية"، وقد تولى كبير هذه الفلسفة - أو الديانة الجديدة - الفيلسوف أوجست كونت وتبعه في ذلك كثير من الوضعيين في الغرب والشرق، وحاولوا أن ينسجوا أفكارهم من خلال فلسفة تعرف عليها عند التعريف بهم كما يلي:

أ - أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧م): فيلسوف فرنسي ينسب إليه

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة - د. يوسف كرم: ص ٣١٦، ٣١٧، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة - د. محمد عبد الله الشرفاوي: ص ١٥٥، منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوروبية - د. أبو الوفا الفتازاني: ص ٧٣، ٧٤، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: ٨٢١/٢، ٨٢٣.

تأسيس الفلسفة الوضعية بمجملتها، كان يعمل أميناً للسر (سكرتيراً) للفيلسوف الاشتراكي سان سيمون، وبدأ بإلقاء محاضرات عن فلسفته الوضعية سنة (١٨٢٦م)، ثم أصيب بمرض عقلي وحاول الانتحار. من أشهر كتبه في الفلسفة الوضعية: "محاضرات في الفلسفة الوضعية" بسط فيه نظريته في المعرفة والعلوم، و"السياسة الواقعية"، و"مخطط الأعمال العلمية اللازمة لإعادة تنظيم المجتمع".

- وقد اشتهر كونت في تاريخ الفلسفة الأوروبية المعاصرة بأمرين؛ هما:

الأمر الأول: قانون الحالات الثلاث: وخلاصته: أن العقل الإنساني قد مر

بمراحل ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية، وحالة واقعية:

١- فالحالة اللاهوتية الدينية: هي أولى مراحل تطور الفكر الإنساني؛ التي كان شغف العقل فيها بالبحث عن كنه الكائنات وأصلها ومصيرها محاولاً إرجاع الظواهر إلى مبدأ غيبي، وقد عبد العقل - أولاً - الأشياء المادية، ثم عبد - ثانياً - الآلهة المتعددة وهي القوى غير المنظورة، ثم عبد - ثالثاً - إلهاً واحداً؛ وهي مرحلة التوحيد؛ وهي آخر تطورات المرحلة اللاهوتية.

٢- والحالة الميتافيزيقية: هي تفسير الأشياء الظاهرة بعقل ذاتية مباطنة للأشياء؛ حيث تخلى الإنسان - في هذه المرحلة - عن الآلهة واكتفى بمعانٍ مجردة مثل: القوة والعلة والجوهر والغاية؛ وغير ذلك مما اشتهر من مصطلحات في الفلسفة اليونانية القديمة.

٣- والحالة الوضعية الواقعية: هي المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الفكر البشري؛ وفيها أدرك العقل أنه ليس في إمكانه التوصل إلى معارف مطلقة، فعَدَل عن البحث عن مبدأ العالم أو مصدره، وغاياته أو مصيره، وعن الكشف عن العلة البعيدة للأشياء، وانصرف - باستخدام الملاحظة والاستدلال معاً - إلى الكشف عن قوانين الظواهر وعلاقتها الثابتة.

- وهكذا وصل العقل الإنساني - في نظر كونت - إلى اكتشاف العالم، وارتقى إلى الدرجة اللانقطة به، ونضج النضج النهائي.

الأمر الثاني: عبادة الإنسانية: نظر كونت في الكائنات فوجد الإنسان أكملها؛ فسماه الكائن الأعظم، واقترح عبادة هذا الكائن؛ لأن تحقيق مجتمع يسوده النظام لا بد أن تغرس فيه ديانة ملائمة؛ وهذه الديانة لا توجد في الماضي؛ لأن آلهة الماضي وثنية ومصطنحات فلسفية غامضة، ثم إنها ماتت بانتهاء حالي اللاهوتية والميتافيزيقية، ولا يوجد في هذا الزمان ديانة عقلية جديدة تلائم الحالة الوضعية إلا ديانة الإنسانية. ثم أخذ كونت يدعو إلى هذه الديانة، ويطلب باعتبارها "الرب الحقيقي"؛ ويشرع لها الطقوس التي التزمت بها الكنيسة الكاثوليكية تجاه المسيح^(١).

ب- سان سيمون (١٧٦٠ - ١٨٢٥م): فيلسوف فرنسي اشتراكي السرعة، كان مغامراً في الحياة والفكر، وله جهود سياسية متعددة، وقد كان سابقاً على أوجست كونت ومؤثراً فيه؛ إلا أنه لم يقم بتأسيس الفلسفة الوضعية كما فعل كونت؛ ولكنه ألح إليها في بعض مقالاته؛ مثل: "مقال في علوم الإنسان" الذي كتبه سنة (١٨١٣م)، وأطلق فيه كلمة "وضعي" على العلوم القائمة على الوقائع الخاضعة للملاحظة والتحليل، والعلوم التي لم تؤسس على هذا النحو يسميها العلوم الضنية^(٢).

ج- برتراند رسل (١٨٧٣ - ١٩٧٠م): فيلسوف إنجليزي معاصر، له جهود كبيرة في الفلسفة الغربية، وقد تدرج في المناصب العلمية حتى عين أستاذاً للفلسفة بجامعة كمبردج (١٩١٠ - ١٩١٦م)، ويعد أحد أعلام المنطق الرياضي في

(١) انظر حياة أوجست كونت وفلسفته في: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ٣١٦ - ٣٢٩، السلفية بين العقيدة

الإسلامية والفلسفة الغربية - د. مصطفى حلمي - ط دار الدعوة - الإسكندرية: ص ١٧ - ١٩، مدخل

نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٥٢ - ١٦١، الموسوعة الميسرة: ٨٢١/٢، ٨٢٢.

(٢) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ٣١٤، الموسوعة الميسرة: ٨٢١/٢.

هذا العصر، وقد تأثر بآراء ليبنتز العقلية، وكان له جهود واضحة في تطوير الفلسفة الوضعية التي سميت في عهده بالفلسفة الواقعية الجديدة؛ من مؤلفاته: "فلسفة ليبنتز"، و"مبادئ الرياضيات"، و"مسائل الفلسفة"، و"تحليل الفكر"، و"تحليل المادة"، و"تاريخ الفلسفة الغربية"، وغيرها من المؤلفات التي تتسم بالمنهج العلمي الدقيق.

- من آرائه الفلسفية المتطرفة: يرى رسل - كما يرى بقية الوضعيون - أن الفلسفة يجب أن تستقي معاييرها وأحكامها الأساسية من علوم الطبيعة، وأن تكف عن استعارتها من الدين أو من الأخلاق؛ فلا بد أن تجعل العلم مثلها الأعلى.

- ويخالف رسل أوجست كونت في تعظيم الإنسانية؛ إذ يرى رسل أن الإنسان جزء لا قيمة له بين أجزاء الطبيعة؛ كما يذهب إلى إخضاع العقل الإنساني للقوانين الطبيعية التي يعتبرها متحركة في جميع ضروب الفكر.

- ويعتقد رسل أن العلم - الذي يشكل المصدر الوحيد لمعرفتنا - لا يمكن أن يفسح مجالاً للاعتقاد في وجود الله أو في خلود النفس؛ بل إنه يعتبر نظرية الخلود نظرية بالغة البطلان والاستحالة؛ لأنه لو كان الخلود هو المصير الذي ينتظر النفس بعد الموت فما السبب إذن في عجز النفس عن أن تشغل لها حيزاً إلى جانب الجسد في هذه الحياة الدنيا؟

- ويصوب رسل هجومه نحو الدين قائلاً: إن الدين لا يقوم إلا على عوامل الترهيب والتلويح بالعقاب، وبالتالي فإن الدين يشكل ضرباً من ضروب الشر التي تملأ العالم^(١)!

القسم الثاني: الفلسفة الوضعية الاجتماعية: هي فلسفة تقوم على العلم الاجتماعي الواقعي؛ الذي يختلف عن فلسفة التاريخ وعن النظر المجرد في شأن المجتمع.

(١) انظر حياة رسل وفلسفته في: تاريخ الفلسفة الحديثة - د. يوسف كرم: ص ٤٣١، تاريخ الفلسفة المعاصرة في

أوروبا - د. بوخينسكي: ص ٩١، ٩٢، ٩٥، ١٠٢.

فهذه الفلسفة تدرس المجتمع باستخدام مناهج العلوم الطبيعية التي ترجع إلى الملاحظة والاستقراء.

وتنسب هذه الفلسفة إلى الفيلسوف اليهودي الشهير دوركايم؛ الذي له آراء إحدادية لا تقل عن آراء أوجست كونت ورسل وباقي الوضعيين؛ ويمكن توضيح هذه الآراء من خلال التعريف به فيما يلي:

- إميل دوركايم (١٨٥٨ - ١٩١٧م): فيلسوف فرنسي يهودي، يعد واضع علم الاجتماع الغربي المعاصر، وله جهود متعددة في هذا العلم، من أهم مؤلفاته: "تقسيم العمل الاجتماعي"، و"قواعد المنهج الاجتماعي"، و"الانتحار"، و"الصور الأولية للحياة الدينية"، و"التربية الخلقية"، وقد أصدر مجلة "السنة الاجتماعية" سنة (١٨٩٦م).

- فلسفته: يرى دوركايم أن المعرفة والمبادئ العقلية نتاج الفكر الجموعي أو العقل الجمعي، ويفسر الأخلاق والدين من جهة الصورة أو المادة؛ فمن جهة الصورة: نحن نعتبر الفعل خلقياً متى كان مطابقاً لقانون مفروض؛ وهذا راجع إلى المجتمع؛ لأنه نتيجة النظام الذي تفرضه حتماً كل جماعة، ومن جهة المادة: نرى الأخلاق مختلفة باختلاف الزمان والمكان وسائر الظروف؛ أي نراها تابعة لأحوال المجتمعات التي تخترعها وتفرضها على الأعضاء.

- وكذلك الدين من نتاج العقل الجمعي؛ حيث تصور الناس - في البداية - قوة - لا شخصية - متفرقة في الأشياء تمنحها مالها من قوة، ثم تشخصت هذه القوة في الطوطم^(١) - أولاً، وفي الإله الواحد - أخيراً، فكانت لنا فكرة الله كموجود شخصي

(١) هو حيوان أو نبات أو حماد أو كوكب تعظمه القبيلة، وتطبع صورته أو اسمه على الأحساد والمساكن والأسلحة، وهو ما نسميه بالوشم، ثم بعد ذلك يُنسَى الشيء المعظم ويكتفى الناس بعبادة هذه الصورة (الوشم)، ويسبون إليها القدرة على حرق العادات وما يتصف به الإله؛ انظر: الدين - للدكتور محمد عبد الله دراز: ص ١٥١، ١٥٢.

مقدس؛ فهذه الفكرة ليست مستفادة مما نشعر به من قوة باطنة، ولا مكتسبة بالاستدلال؛ ولكنها اجتماعية.

- وهكذا يفسر دوركلم الدين والأخلاق تفسيراً واقعياً يتغير بتغير الواقع، ويتلون بتلون المجتمعات، والحاكم هو العقل الجمعي الذي يحل اليوم ما حرمه بالأمس، ويحرم غداً ما يحله اليوم.

- ولا شك أن فلسفة دوركلم غرضها زعزعة الأخلاق، وإشاعة الانحلال والفساد، ونشر الإلحاد؛ لأن الدين ليس أمراً فطرياً ولا وحياً من السماء - في رأيه؛ بل إن إله الكون فكرة خيالية بدائية، وكذلك.. لا توجد قيم أخلاقية ثابتة كالعدل والرحمة والعفة؛ بل كل ذلك يتغير بتغير المجتمع، ويتبدل تبعاً لمزاج العقل الجمعي^(١)!

القسم الثالث: الفلسفة الوضعية المنطقية: هي فلسفة تقوم على أنه لا موجود إلا المحسوس، أما الفكر فهو مجرد ألفاظ، وكل لفظ لا يشير إلى شيء محسوس يمكن التحقق والتثبت منه بالتجربة الحسية فهو لا يحمل أي معنى؛ ومن ثم لا قيمة له .

وبالتالي.. فإن إله الكون، والدين، والجنة والنار، وعالم الغيب - عموماً؛ كل ذلك يعد من الألفاظ التي لا تحمل معنى؛ لأنه لا يمكن التحقق من ذلك في عالم الحس.

- وقد أجمع مفكرو الوضعية المنطقية على أن المهمة الوحيدة للفلسفة هي العمل على ربط اللغة بالتجربة ربطاً علمياً، وصياغة الواقع الخارجي صياغة منطقية، وصنع التفكير الفلسفي بخصائص المعرفة العلمية التجريبية التي تتمثل في: الوضوح التام، والدقة العميقة، والموضوعية، والاتساق.

- وأصحاب هذه الفلسفة هم: رودلف كارناب، ونيوراث، وهان؛ من فلاسفة القرن العشرين؛ وقد أصدر هؤلاء الفلاسفة كتاباً يعبر عن وجهة نظرهم

(١) انظر فلسفة دوركلم في: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ٤٢٢ - ٤٣٥، مذاهب فكرية معاصرة - محمد قطب:

ص ٣٢٩، الفكر الإسلامي - د. عبد القادر محمود - ط الهيئة المصرية للكتاب: ص ٢٠٠.

سنة (١٩٢٩م)، وقد تأثر الدكتور زكي نجيب محمود بهؤلاء الفلاسفة وألف كتاب " المنطق الوضعي" ^(١).

- يقول كارناب - أحد رواد الوضعية المنطقية: "العبارات الميتافيزيقية المرعومة؛ مثل: أن هناك إلهًا، وأن هنالك قوة فاعلة هي المبدأ الأول الموجه لسائر الكائنات الحية؛ هي مجرد تركيبات لغوية فارغة تتعارض مع الاستعمال الحقيقي للكلمات من جهة، وتضم - في الوقت نفسه - قضايا زائفة؛ لأنها لا تقبل التحقيق الحسي التجريبي!" ^(٢).

(٣) **نقض الفلسفة الوضعية من منظور إسلامي:** واضح مما سبق أن الفلسفة الوضعية مذهب إلهادي مادي لا يؤمن بغير المحسوس، وأنها تتسم بالسذاجة وضيق الأفق وعدم الواقعية؛ وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: انحصار المعرفة في الوقائع الحسية وحدها أمر يخالف ما أجمعت عليه البشرية من وجود أشياء غير حسية؛ مثل: الروح والعقل، وكذلك يناقض ما غرس في فطر الناس جميعاً من أن لهذا العالم إلهًا أكمل وأعظم من الإنسان؛ لأنه هو الذي خلق الإنسان وجميع الكائنات؛ وهو الله جل جلاله.

ثانياً: ما ادعاه أوجست كونت في قانونه من أن الحالات الثلاثة أدوار متعاقبة لتطور الفكر الإنساني باطل بشهادة الواقع المحسوس، وبمحكم الفكر الإنساني نفسه؛ لأن هذه الأطوار ليست متعاقبة؛ بل هي متعاصرة ومتزامنة؛ فإنه يوجد في كل زمان من يعبد الإله الواحد، ومن يعبد الآلهة المتعددة، ومن لا يؤمن إلا بالمحسوس، ومن يعبد الشمس والقمر، ومن يقول بالجواهر والعرض والعلة والمعلول من الفلاسفة؛ ولكل اعتقاده وأتباعه؛ بل إننا في عصرنا هذا نجد كل هذه الطوائف؛ ونجد أقلها عددًا من لا يؤمن إلا بالمحسوس، والتاريخ والواقع شاهدان على ذلك.

(١) انظر: مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٦٥ - ١٦٩، منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية: ص ٧٣، الموسوعة الميسرة: ٨٢١/٢.

(٢) مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٦٨.

- ثم إن حكم العقل السليم - كما يرى الدكتور محمد عبد الله دراز - يجزم بأن المرحلة البدائية هي التي - دائماً - تقتصر على المحسوس، وهي التي تشابه مرحلة الطفولة؛ لأن مبعثها الحاجة العاجلة؛ وهذه وظيفة الحس لا العقل، ثم تأتي بعدها نظرة التعليل بالمعاني العامة؛ وهي مرحلة النضج والكمال، ثم النظرة الروحية أو الدينية التي تخيل كونت أنها أول المراحل.

- وهكذا ينقلب ترتيب كونت الخيالي رأساً على عقب؛ لأن الترتيب الطبيعي الواقعي؛ هو: حاجة الحس، ثم حاجة العقل، ثم حاجة الروح؛ يقول الدكتور دراز عن فكرة كونت: "دعوى غير مسلمة؛ لا لأنها مجردة عن البرهان فحسب؛ بل لأنها تحرف التاريخ، وتصادم العيان؛ فنحن ما زلنا نسمع ونرى في كل عصر تقديساً للروحانيات، وشغفاً بالمعنويات والمعقولات الكلية؛ عند فريق من الناس؛ إلى جانب الكلف بالحوادث والحقائق الجزئية؛ عند فريق آخر... وها نحن أولاء في القرن العشرين، وفي قلب الحضارة الأوروبية؛ نرى إلى جانب البحوث المادية المتشعبة، دراسات روحية واسعة؛ تقوم بما جماعات محترمة من كبار علماء الطب والفلسفة والطبيعة"^(١).

ثالثاً: ماذا يقصد كونت بعبادة الإنسانية؟ هل يقصد بذلك أن يعبد الإنسان نفسه؟! الإنسان - كل إنسان - على يقين بأنه لم يخلق نفسه، وأن الذي خلقه لا بد أن يكون أقدر وأعظم وأكمل منه؛ فكيف يتغافل عن هذه الحقيقة التي لا حقيقة تدانيها في الوجود؟! يقول إميل بوترو: "الإنسانية فكرة غامضة عاجزة عن تقديم مبدأ أول يحل محل الإله والخلود، وهذا المذهب يؤدي إلى اعتبار الإنسان وحده مقياس الأشياء، وهذا يفضي إلى السفسطة الفارغة"^(٢).

(١) الدين - د. محمد عبد الله دراز: ص ٨٥، وانظر: السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية - د.

مصطفى حلمي: ص ١٩، ٢٠.

(٢) مدخل نقدي لدراسة الفلسفة - د. محمد عبد الله الشرفاوي: ص ١٦٣.

- وقد سبق إثبات أن الإقرار بأن للكون رباً خالقاً حكيمًا قديرًا أمر مركز في الفطرة الإنسانية؛ لا ينكره إلا جاحد مكابر.

رابعاً: اعتبار رسل الإنسان جزءاً لا قيمة له بين أجزاء الطبيعة حكم لا يقول به عاقل - فضلاً عن أن يكون أستاذاً للفلسفة؛ إذ كيف نسوي بين الحجارة الصماء وبين الإنسان الذي يفكر ويشعر ويسمع ويتكلم؟! إن الحجارة في الطبيعة جزء له قيمة وانه منفعة في دنيا الناس؛ فهل تدنى الإنسان إلى هذه الدرجة التي لا يساوي فيها الحجارة؟! الحجارة؟!!

خامساً: سيأتي - إن شاء الله - في القسم الثالث إثبات أن العلم الحديث قد أثبت وجود الله تعالى، وبذلك يبطل زعم رسل الذي ادعى فيه أن العلم لا يفسح مجالاً للاعتقاد في وجود الله.

ولكن.. نريد أن نناقشه هنا مناقشه عقلية واقعية: هل يفسح العلم مجالاً للقول بأن هذا العالم البديع في صنعه قد صنع من غير صانع أو خلق من غير خالق؟! لقد أحسن أندريه كريسون حين قال: "أيها العلم كم من تلفيقات صدرت باسمك؟!"^(١).

سادساً: لا يوجد مجتمع من المجتمعات يحب الظلم ويكره العدل من أول آدم - عليه السلام - حتى قيام الساعة - كما سبق؛ فلماذا اتفقت البشرية على ذلك رغم اختلافها في كثير من الأمور؛ مثل: البيئة، والطقس، ورسوم الحياة، والثقافة، وغير ذلك؟ إن دوركنا لو حاول أن يجيب عن هذا السؤال فلن يجد إلا إجابة واحدة؛ وهي: لقد ارتكز في فطرة الإنسان قيم أخلاقية لا يغيرها الزمان، ولا يبدلها المكان، ولا تتعرض للخلاف، ومثال هذه القيم: العدل، والعفة، والرحمة.

إذن.. فالقول بأن العقل الجمعي هو الذي يبتدع الأخلاق، وهو الذي يغيرها؛

(١) السابق: ص ١٦٢.

أمر باطل باستقراء الواقع نفسه، وبحكم العقل السليم الرشيد.

سابعاً: إذا كانت المجتمعات هي التي تخترع الدين، وتشكل الإله في كل جماعة حسب مزاج العقل الجمعي - كما يدعي دوركايم؛ فمى أين جاءت فكرة "الإله الأكبر" فاطر السموات والأرض؟ وعلى غرار أي جماعة طبعت هذه الصورة^(١)؟ إن اتفاق البشر على أن للعالم رباً خالقاً يدل على أن الدين أمر فطري، وإنما كان دور المجتمعات - في غالب الأحيان - هو محاولة تشويه الفطرة، والسير بالإنسان إلى دين باطل ساذج، أو القذف به في مستنقع الإلحاد والمادية، ثم يتدارك الله تعالى الناس بلطفه، ويرسل إليهم الرسل ليخرجوهم من الظلمات إلى النور بإذنه.

ثامناً: أما أصحاب الرضية المنطقية فإنهم لم يأتوا بمجديد في رضية كونت سوى أنهم صنعوا للإلحاد والسفسطة مطلقاً، ويكفي للرد عليهم أن نقول لهم: الروح شيء غير محسوس؛ فهل يعني هذا أن كلمة "الروح" فارغة لا معنى لها في الحقيقة؟ فإذا قلت: نعم لا حقيقة للروح؛ فقد أتيت بما يخالف جميع العقلاء، ولم تستطيعوا أن تميزوا بين الحي والميت الذي لا روح فيه، وإذا قلت: يوجد للروح حقيقة لا ينكرها عاقل؛ قلنا لكم: كذلك الله تعالى رب الكون هو حقيقة لا ريب فيها؛ لأنه لا يمكن أن يخلق العالم نفسه، ولأنه قد ارتكز في فطرة الإنسان أن له رباً عظيماً.

ثالثاً: الفلسفة النفعية:

الفلسفة النفعية مذهب أخلاقي اجتماعي؛ يمكن تلخيص أفكاره والتعريف برواده في النقاط التالية:

(١) مفهومها: تعتبر الفلسفة النفعية مقياس سعادة الفرد والمجتمع هو المنفعة واللذة، بصرف النظر عن توافق ذلك مع الأخلاق الصحيحة أو الدين. ويتلخص مبدأ أنصار المنفعة في هذا الشعار: "أكبر سعادة لأكثر عدد".

(١) انظر: الدين للدكتور دراز: ص ١٦١

ويرى النفعيون أن الناس يطلبون اللذة ويمتبتون الألم بالطبع؛ شأنهم في ذلك شأن الحيوانات؛ ولكنهم يمتازون على الحيوانات بأنهم يتبعون مبدأ المنفعة الذي يحكم بأن الفعل الخير هو الذي يعود بلذة مستمرة أو الذي تزيد فيه اللذة على الألم، وأن الفعل الشرير هو الذي يعود بألم مستمر أو الذي يزيد فيه الألم على اللذة^(١).

(٢) أبرز شخصياتها: اشتهر بالقول بالمنفعة واللذة في الفلسفة المعاصرة فيلسوفان؛ هما:

أ - جيرمي بنتام (١٧٤٨ - ١٨٣٢م): أول فيلسوف إنجليزي أبرز مذهب اللذة والمنفعة في القرن التاسع عشر الميلادي، وعرضه في كتابه "الدخل إلى مبادئ الأخلاق والتشريع"، ووضع مشروعاً لسجن نموذجي سنة (١٨٠٢م)، وأنشأ مجلة "وستانستر" سنة (١٨٢٤م) للدعوة إلى الإصلاح الدستوري.

- يعرف بنتام المنفعة بأنها: "القدرة الكامنة في غرض معين، والقدرة على إنتاج ربح أو امتياز أو لذة أو خير أو سعادة"، ويرى بنتام أن مقياس الأخلاق هو المنفعة واللذة؛ فالخير هو ما كان نافعاً يشتمل على اللذة، والشر هو ما كان غير نافع يشتمل على الألم؛ كما أنه جعل حساب اللذة بالكم لا الكيف؛ فمقياس اللذة عنده من ناحيتين: الناحية الأولى: صفات اللذة الذاتية؛ مثل: الشدة والمدة والثبات وقرب المنال وخلوها من الألم، والناحية الثانية: عواقب اللذة الاجتماعية؛ مثل: الخوف الذي يستولى على المواطنين من جراء الجريمة، والفضيحة، والقصاص الديني أو القانوني وغير ذلك من العقوبات الحسية أو المعنوية، وبالتالي فإن اللذة الشخصية - عنده - مقدمة على المنفعة العامة^(٢).

ب- جون ستوارت مل (١٨٠٦ - ١٨٧٣م): فيلسوف إنجليزي، كان أبوه جيمس مل فيلسوفاً يعتنق المذهب الحسي، وقد تربى جون ستوارت بين كتب الفلسفة

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ٣٣٢، الموسوعة الميسرة: ١/٨١٨، ٨١٩.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ٣٣٢، ٣٣٣، رحلات داخل الفلسفة الغربية - د. جورج زيناتي - ط دار

استحب العربي: ص ٣٣ - ٣٥، الموسوعة الميسرة: ٢/٨٠٠، ٨١٨.

حتى برع في المنطق واستدرك على كانت وهاملتون تعريفهما للمنطق، وانتصر للمذهب الحسي مثل أبيه، وسار على نهج بنثام في المنفعة والأخلاق مع مخالفته في بعض الأمور، ألف كتاب "مذهب المنفعة"، ونادى بالحرية الفردية.

- يرى جون ستيورات أنه لم يكن للإنسان في الأصل من سبب للعمل سوى المنفعة وطلب اللذة.

- ويستدرك على بنثام اعتبار اللذة بالكم؛ إذ يرى أنه ليست اللذة راجعة كلها إلى اللذة الجسمية وكميتها؛ بل هناك لذات تابعة للكيفية أي لاعتبارات معنوية، كما يرى أنه يجب إخضاع المنفعة الذاتية للمنفعة الكلية^(١).

(٣) جذور الفلسفة النفعية: للفلسفة النفعية جذور في الفكر اليوناني، وعند الفيلسوف أبيقور (٣٤٢ - ٢٧٠ ق.م) بشكل خاص، وأيضاً لها بوادر في الفلسفة الحديثة عند توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩م)؛ الفيلسوف الإنجليزي الذي يرى أن كلمة خير يقصد بها الشهوة، وكلمة شر يقصد بها النفور، وعند جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤م) الذي لا يعترف إلا بالمنفعة المادية الحسية، وهيوم (١٧١١ - ١٧٧٦م) الذي لا يرى شيئاً يؤثر في الفعل الإرادي غير اللذة والألم^(٢).

(٤) نقد الفلسفة النفعية من منظور إسلامي: إن تقدير المنفعة يختلف من شخص لآخر، ومن مجتمع لآخر، وإذا ترك كل إنسان حسب أهوائه ورغباته وما يتلذذ به لتحول العالم إلى غابة تتصارع فيها المنافع بلا ضابط أو رابط.

- ثم إن اعتبار الخير تابعاً للذة، والشر تابعاً للألم؛ أمر غير دائم ولا مطرد؛ بل كثيراً ما يكون الخير في الألم؛ مثل: الفطام للطفل، والدواء للمريض، والكد والتعب

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ٣٤١ - ٣٤٩، رحلات داخل الفلسفة الغربية: ص ٤٤ - ٥٠، الموسوعة

المبسرة: ٢/ ٨٠٠، ٨١٨.

(٢) انظر: الموسوعة المبسرة: ٢/ ٨١٩.

للعامل الذي يريد أن يربح المال ليأكل وليعيش عفيفاً، والجرح لمن يقاتل ليدافع عن وطنه وعرضه وماله؛ كما أن الشر كثيراً ما يكون في اللذة؛ مثل: العامل الذي يتكاسل عن عمله ليتلذذ بالنوم على الفراش الناعم، والذي يشرب المسكرات ويتعاطى المخدرات ليشعر بلذة الشراب ومتعة التخدير، والذي يسرف في تناول الأكل اللذيذ فيصاب بالتهمة والأمراض؛ حتى مع اعتبار اللذة معنوية وكيفية - كما يرى جون ستوار مل - فإن كثيراً من اللذات المعنوية تشتمل على الشر؛ مثل العشق الحرام الذي يجعل الإنسان ذليلاً لغيره.

- مما سبق يتبين أن المذهب النفعي لا ضابط له، وأنه لا يحقق السعادة والخير في جميع الأحوال، والصحيح هو جعل اللذة والمنفعة محكومة بضوابط الدين الصحيح وهو دين الإسلام، وخاضعة لقواعد الأخلاق القويمية المركوزة في فطر الناس؛ مثل: العدل والرحمة والعفة.

وابعاً: الفلسفة الذرائعية (البرجماتية):

تعتبر الفلسفة الذرائعية (البرجماتية) أول إسهام فلسفي ولد في أمريكا، ثم انتقل إلى أوروبا وبريطانيا بشكل خاص، وقد اندثرت هذه الفلسفة - في وقتنا الحالي - كحركة فكرية؛ ولكنها كمجموعة أفكار مازالت تعمل في الفكر البشري، كما أنها أصبحت طابعاً مميزاً للسياسة الأمريكية وفلسفة الأعمال في أمريكا؛ لأنها تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي.

وبيان مفهوم هذه الفلسفة والتعريف بروادها على النحو التالي^(١):

(١) مفهومها: الذرائعية (البرجماتية) مذهب نفعي يرى أن الحقيقة توجد من

(١) انظر مفهوم الذرائعية وروادها في: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ٤١٦ - ٤٢٥، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ١٧٠ - ١٧٦، الموسوعة الميسرة: ٨٤٢/٢ - ٨٤٥، منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوروبية الحديثة: ص ٧٣.

خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية، وأن صدق قضية معينة يكمن في مدى كونها مفيدة للناس، كما أن أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال، وعندما تتضارب الأفكار فإن أصدقها هو الأنفع والأجدى.

- ويرى أنصار هذه الفلسفة أن العقل لم يُخلق لتفسير الغيب المجهول - كما فعل الفلاسفة القدماء، ولذا فإن الاعتقاد الديني لا يخضع للبيانات العقلية.

- وتقبل البرجماتية القيم الدينية والأخلاقية؛ لا على أساس صحتها في ذاتها؛ وإنما على أساس فائدتها العملية في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس، وما لها من أثر طيب في حياة الأفراد؛ وذلك لأن المنفعة العملية هي مقياس الحق من الباطل، والصدق مرادف للمنفعة العملية، والتفكير الصادق هو النافع عملياً، والخير والحق - كذلك - كل ما يحقق نفعاً للناس ويعمل على إشباع رغباتهم وحاجاتهم.

- فالفكرة - عند الذرائعيين - مثل السلعة تكمن قيمتها فيما تجلبه من ثمن، والحقيقي - عندهم - ليس شيئاً سوى النافع الموافق المطلوب؛ كما أن الصواب ليس سوى النافع الموافق المطلوب في سبيل مسلكنا العملي.

(٢) أبرز شخصياتها: أبرز فلاسفة البرجماتية ثلاثة؛ هم:

أ - تشارلس بيرس (١٨٣٩ - ١٩١٤م): يعد مبتكر كلمة "البرجماتية" - بمعنى الذرائعية - في الفلسفة المعاصرة، عمل محاضراً في جامعة هارفارد الأمريكية، وكان متأثراً بداروين في نظرية التطور ووصل إلى مثل آرائه، شرح فلسفته في مقاله المشهور "كيف نجعل أفكارنا واضحة"، وكان أثره عميقاً في أتباعه من الفلاسفة الأمريكيين.

ب - وليم جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠م): عالم نفسي من أصل سويدي، بنى مذهب الذرائعية على أفكار بيرس، كان كتابه الأول: "مبادئ علم النفس" الذي ألفه سنة (١٨٩٠م) هو الذي أكسبه شهرة واسعة ثم توالى كتبه في علم النفس والفلسفة؛

وكان من أشهرها: "البرجماتية" الذي ألفه سنة (١٩٠٧م).

- يؤكد جيمس في كتبه الدينية على أن الاعتقاد الديني صحيح لأنه ينظم حياة الناس ويبعث فيهم الطاقة.

ج- جون ديوي (١٨٥٦ - ١٩٥٢م): فيلسوف ذرائعي، كان له تأثير واسع في المجتمع الأمريكي وبعض المجتمعات الأوروبية؛ لأنه كان يعتقد أن الفلسفة مهمة إنسانية قلباً وقالباً، وعلينا أن نحكم عليها في ضوء تأثيرها الاجتماعي أو الثقافي، وله مؤلفات عديدة في الفلسفة والمنطق؛ منها: "كيف تفكر"، و"العقل الخالق"، و"الطبيعة الإنسانية والسلوك".

(٣) نقد الفلسفة الذرائعية (البرجماتية) من منظور إسلامي: تكمن خطورة الفلسفة الذرائعية في ثلاثة أمور؛ هي:

١- أنها لا تعترف بأي حقيقة دينية، أو قيمة أخلاقية، أو فكرة عقلية، أو نظرية علمية، أو مبدأ اجتماعي؛ إلا بعد تطبيقه عملياً ثم التأكد من أنه نافع ومثمر في دنيا الواقع؛ حتى وإن ثبتت صحته وتيقنا نفعه في تجارب سالفة، وبالتالي فقد وضعت هذه الفلسفة العربية قبل الحصان؛ لأن المعهود والموافق للفطرة السليمة والمنطق القويم هو التأكد من صحة الفكرة وصواب المبدأ حتى يصلح للتطبيق؛ فإذا طبقناه عملياً تأكدنا من ذلك أكثر أو بدا لنا أن نغير في هذه الفكرة وهذا المبدأ.

٢- أنها جعلت العمل الذي يدر المال ويثمر المنفعة المادية العاجلة هو إله الكون؛ الذي يجب أن يكون الدين والعقل والأخلاق في خدمته، وإذا كانت هذه الأمور غير خادمة للمنفعة المادية العملية فإنها تنبذ وتطرح بعيداً إذ لا جدوى منها؛ ولا شك أن في ذلك نشرًا للمادية والإلحاد بطريق غير مباشر، واستخفافاً بالدين والأخلاق.

٣- أنها حولت الإنسان العاقل إلى بهيمة لا تعقل؛ لأنه لا همَّ له إلا العمل الدائب من

أجل الأكل والشرب والمال وإشباع الغرائز البهيمية التي في نفسه.
- وقد ظهرت آثار هذه الفلسفة المنحرفة في المجتمع الأمريكي - خصوصاً -
والغربي - عمومًا؛ إذ لا همّ للفرد الأمريكي إلا العمل والمال والأكل والإباحية الجنسية
من أجل إشباع شهوة النفس؛ مع وجود الخواء الروحي، واليأس النفسي، والخوف من
المستقبل المجهول؛ مما أدى إلى ارتفاع نسبة المتحررين، وشيوع الفساد، وانتشار الجرائم،
والواقع خير دليل على ذلك.

خامسًا: الفلسفة الجنسية الفرويدية:

تعتبر الفلسفة الجنسية الفرويدية من أخطر الفلسفات المعاصرة التي دعت إلى
الإباحية والعبثية ونشر الفساد، وقد اجتهد اليهود في نشر هذه الفلسفة باستخدام
مختلف الوسائل الإعلامية بغرض نشر الرذيلة وتسهيل ذلك على ضمير البشرية؛ ليسهل
عليهم قيادة هذه الرعايا من الشعوب اللاهثة وراء الجنس، والمتحللة من كل القيود
والقيم، وكل ذلك خدمة لأهداف الصهيونية العالمية.

وبيان هذا المذهب الهدام من خلال النقاط التالية^(١):

(١) مفهومها وأفكارها: الفرويدية الجنسية مدرسة في التحليل النفسي، تفسر
السلوك الإنساني تفسيراً جنسياً، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء؛ كما أنها
تعتبر القيم والعقائد والأديان حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي؛ مما يورث
الإنسان عقداً وأمراضاً نفسية.

لذلك تهدف الفرويدية إلى تكوين مجتمع بلا دين ولا أخلاق ولا تقاليد، وتدعو

(١) انظر: الموسوعة الميسرة: ٨٣٢/٢ - ٨٤١، وانظر - أيضاً: الحياة الكريمة - تأليف بيتون بورتر - ترجمة د.
أحمد حمدي محمود - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٩٩/١ - ١٠١، نظريات الغرب وحضارته في ميزان
الإسلام - ماهر خليل: ص ٨٥ - ٩٢، نقد الثقافة الإلحادية - د. أحمد عبدالرحمن إبراهيم: ص ٥٠ - ٥٢،
مذاهب فكرية - معاصرة - محمد قطب: ص ٣٢٨.

إلى التحرر من كل القيود حتى تتسع هوة الرذيلة والفساد؛ تحت دعوى أن هذه القيود تسبب العقد النفسية والاضطرابات العصبية.

- وتتلخص أفكارها فيما يلي:

١- تقوم الفرويدية على أسطورة عقدة أوديب التي تدعي أن شخصاً قتل أباه وتزوج أمه وأنجب منها وهو لا يدري، ولما علم بحقيقة ما فعل سمل عينيه.

٢- ومن هنا افترضت الفرويدية أن شخصية الإنسان حصيلة صراع بين قوى ثلاث: دوافع غريزية، وواقع خارجي، وضمير، وهي أمور رئيسية تتحد بشكل ثابت بانتهاء الموقف الأوديبي حوالي السنة الخامسة أو السادسة من عمر الطفل.

٣- في هذه السن تتواجد في الإنسان أمور ثلاثة؛ هي: الطفولة، والجنس، والكبت؛ تعتبر أسس الفرويدية ودعامتها في نظرية التحليل النفسي؛ إذ أن الكبت النفسي للطفل يجعله يخفي ما في نفسه من فاعليات العشق الذاتي؛ فتظهر كل الحياة الجنسية لدى الطفل من وراء هجمات خيالية.

٤- تظهر الحياة الجنسية عند الطفل في صور متعددة، مثل: مص الأصابع الذي يعتبر نوعاً من السرور الجنسي الفمي، والتبول والتغوط الذي يعد نوعاً من السرور الجنسي الاستي!

٥- إذا كان الجنس أمراً مستقراً في نفس الطفل، ويظهر في صور متعددة؛ فمن الخطورة بمكان كبت هذه الرغبة الجنسية عند البلوغ؛ لأنه يؤدي إلى أمراض نفسية خطيرة؛ ولذا يجب الانطلاق والتحرر من كل القيود لإشباع الرغبة الجنسية، ومن الخطأ البين الامتناع عن الاتصال الجنسي قبل الزواج؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى تعطيل الغرائز عند الزواج.

٦- لا بد من نبذ واطراح جميع العوائق التي تعوق الإنسان عن إشباع الرغبة الجنسية؛ وفي مقدمة ذلك الدين والأخلاق.

٧- العقائد الدينية - في نظر الفرويدية - أوهاام لا دليل عليها، ولا تتفق مع حقائق الحياة، وهي تقارن بالهذيان، ومعظمها لا يمكن التحقق من صحته، ولا بد من مجيء اليوم الذي يصغى فيه الإنسان لصوت العقل؛ الذي يأمره بالتححرر من القيود الدينية لإشباع الجنس!

(٢) مؤسسها: سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩م): ولد في مدينة فيربورج بتشيكوسلوفاكيا من والدين يهوديين، ثم انتقلت أسرته إلى ألمانيا، وتلقى تربيته الأولى وهو صغير على يد مربية كاثوليكية متشددة كانت تصحبه معها إلى الكنيسة؛ مما شكل عنده عقدة ضد المسيحية فيما بعد.

- نشأ يهوديًا، وأصدقائه من غير اليهود قليلون، وكان يفتخر بيهوديته ويسعى في خدمتها.

- تتلمذ على شاركوت الذي علمه طريقة علاج الهستيريا بالتنويم المغناطيسي، وقد أعجب فرويد به عندما أكد له بأنه في حالة من حالات الأمراض العصبية لا بد من وجود اضطراب في الحياة الجنسية للمريض.

- بدأ العلاج النفسي باستخدام طريقة التحدث مع المرضى، وصارت طريقته مزجًا بين التنويم والتحدث؛ طالبًا من المريض أن يفصح له عن كل خواطره، وسماها طريقة "الترباط الحر"؛ والمقصود منها رفع الرقابة عن الأفكار والذكريات، وكان يطلب من مريضه أن يسرد عليه حلمه الذي شاهده في الليلة الماضية؛ مستفيدًا منه في التحليل، وقد وضع كتاب "تفسير الأحلام" الذي نشره سنة (١٩٠٠م)، ثم كتاب "علم النفس المرضي للحياة اليومية"، ثم توالى كتبه وصار للتحليل النفسي مدرسة منذ ذلك الحين.

- انضم عام (١٨٩٥م) إلى جمعية أبناء العهد؛ التي لا تقبل بين أعضائها غير اليهود، وكان صديقًا لتيودور هرتزل زعيم الصهيونية الشهير، وقد سعى معًا لتحقيق

- أفكار واحدة لخدمة الصهيونية التي ينتميان إليها؛ مثل فكرة معاداة السامية التي نشرها هرتزل سياسياً، وحللها فرويد نفسياً.
- كان يتظاهر بالإلحاد ليعطي لتفكيره روحاً علمانية، ولكنه على الرغم من ذلك كان غارقاً في يهوديته من قمة رأسه إلى أحمص قدميه.
- لم يصرح فرويد بالدعوة إلى الانحلال الجنسي؛ وإنما أشار إلى ذلك بطريقة اصطلاحية علاجية؛ ولكن الإعلام الصهيوني استفاد من مفاهيمه وقدمها إلى الناس بأسلوب يساعد على الإباحية والإغراء الجنسي.
- أخذ فرويد يبرر عشق المحارم؛ لأن اليهود أكثر الشعوب ممارسة له بسبب انغلاق مجتمعهم الذي يحرم على أفراده الزواج من غير اليهود؛ لذلك أرجع فرويد تحريم عشق المحارم إلى قيود شديدة كانت تغل الروح وتعطلها، وهو يساعد - بذلك - اليهود على التحرر من مشاعر الخطيئة؛ كما يسهل على الآخرين اقتحام هذا الباب الخطير، وقد استغل اليهود هذه النظرية وقاموا بإنتاج عدد من الأفلام الجنسية الفاضحة التي تعرض نماذج من الزنا بالمحارم.
- ألف نحو ثلاثين كتاباً لخدمة فكرة واحدة؛ هي: أهمية التفسير الجنسي للسلوك البشري، والغرض الحقيقي من كل ذلك هو أسر الناس بأغلال الشهوات الجنسية ليسهل لليهود السيطرة على الشعوب المتحللة؛ خدمة لأهداف الصهيونية العالمية.
- (٣) نقض الفلسفة الجنسية الفرويدية من منظور إسلامي: يكفي لنقض الفرويدية ما أثبتته العلم الحديث للطب النفسي من خطأ هذه الادعاءات؛ مما دفع كثيراً من الفرويديين إلى الانسلاخ من مدرسة فرويد الأصلية، وإنشاء مدرسة جديدة عُرفت بالمدرسة الفرويدية الحديثة؛ التي تخلت عن الأساس الجنسي وجعلت مكانه العوامل الاجتماعية، ونقلت التحليل النفسي إلى علم الاجتماع للبحث عن أصول الحوافز البشرية في تلبية مطالب الوضع الاجتماعي.

لكن.. لا مانع من مناقشة فرويد في بعض ادعاءاته الزائفة فيما يلي:

أ - ادعاء أن للطفل الذي في السنة الخامسة رغبات جنسية تظهر في صورة مص الأصابع أو التبول والتغوط؛ حماقة لا يوافق عليها إلا من تخلى عن عقله ورضي أن يكون أقل شأنًا من الحمار!

ب- الاعتماد في بناء مذهب فلسفي ونفسي - له آثار خطيرة على العالم - على قصة خيالية (أوديب) لا أساس لها من الواقع؛ يعد أكبر دليل على تخافت هذه الفلسفة وبطلانها.

ج- لا يمكن للعقل السليم أن يعتبر الدين وهماً، وأن يأمر بالتححرر من قيوده؛ لأنه يدرك تمام الإدراك أن الدين السماوي الصحيح هو هداية الخالق لخلقه، وسبيل سعادتهم في الدنيا والآخرة.

د - ثبت علمياً وطبياً واجتماعياً وواقعياً - أن الانطلاق الجنسي المسعور من أكبر الأسباب التي أدت إلى إفساد المجتمعات الغربية والشرقية، ودمرت الأفراد نفسياً وأخلاقياً؛ كما أنها نشرت كثيراً من الأمراض الفتاكة المهلكة.

هـ- الغرض الأساسي من هذه الفلسفة هو المساهمة في سيطرة الصهيونية على العالم - كما سبق؛ وهذا أمر ليس مقتصرًا على آراء فرويد الجنسية؛ بل يشمل آراء دوركايم وداروين الإلحادية، وآراء ماركس المادية الشيوعية، وغير ذلك من الآراء الهدامة التي تهدف إلى إفساد العالم - كما سنعلم بشيء من التفصيل في القسم الثالث عند الحديث عن الماركسية الشيوعية.

سادساً: الفلسفة الوجودية:

تعتبر الفلسفة الوجودية من أخطر الفلسفات المعاصرة؛ مثلها في ذلك مثل الوضعية والفرويدية والماركسية؛ وقد تعددت مدارسها في ألمانيا وفرنسا وروسيا، وتعارضت وتناقضت في تفاصيلها، لكن جرت عادة الباحثين على أن يقسموا

الوجودية إلى مدرستين كبيرتين؛ هما: المدرسة الدينية، والمدرسة الإلحادية؛ وإن كانت مدرسة الإلحاد هي التي بيدها القيادة؛ وهي المقصودة بمفهوم الوجودية المتداول على الألسنة؛ ويمكن بيان مفهوم الفلسفة الوجودية ثم التعريف برواد هاتين المدرستين من خلال النقاط التالية^(١):

(١) مفهومها: الوجودية اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفردّه وأنه صاحب التفكير والحرية المطلقة والإرادة والاختيار، ولا يحتاج إلى موجه أو مدبر لثبوتهم؛ فأقدار الإنسان ليست سابقة عليه؛ بل إن ماهيته لم تسبق وجوده؛ بمعنى أن السكين - مثلاً - حين يصنعه الصانع فإن في ذهن هذا الصانع ماهية محددة للسكين؛ وأوصاف محددة لصورته، ومثال سابق على أساسه يمكن تشكيل هذه الآلة الحادة؛ أما الإنسان - في نظر الوجوديين - فإنه ليس له مثال سابق ولا أوصاف ولا ماهية؛ وإنما هو الذي يحدد ماهيته، ويقدر أفعاله، ويحدد سلوكه باختياره التام المطلق.

- ويرى معظم الوجوديين أن الوجود الحقيقي ثابت للفرد؛ مثل: زيد وعمرو وبكر؛ وليس ثابتاً للنوع الذي هو "الإنسان"؛ الذي نطلق اسمه على جميع الأفراد؛ ومن هنا يرون أن الأخلاق نسبية متغيرة ومتلونة؛ طبقاً لما يختار كل فرد لنفسه - في

(١) انظر مفهوم الوجودية وأفكارها وروادها ونقضها في: بين الكتب والناس - عباس محمود العقاد - ط دار المعارف: ص ١١ - ٢٣، تاريخ الفلسفة الحديثة - د. يوسف كرم: ص ٤٥٥ - ٤٥٨، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - د. بوخينسكي: ص ٢٤٩ - ٢٦٥. الحياة الكريمة - بيرون بورتر: ص ١٢٣ - ١٤٧، الإسلام والفكر الوجودي المعاصر - د. أبو الوفا الفتازي - بحث في المركز العالمي للفكر: ص ١١ - ٢٣، أخطاء المهج الغربي الوافد - أنور الجندي - ط الموسوعة الإسلامية العربية: ص ٤٠ - ٤٠٩، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة - د. عبد الله الشرفاوي: ص ٢١٧ - ٢٢٨، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: ٢/ ٨٢٨ - ٨٣٠، الوجودية - جون ماكوري - ترجمة د. إمام عبد الفتاح - مراجعة د. فؤاد زكريا - ط دار الثقافة: ص ٧١ - ٨٢، ٣٨٤ - ٣٩٨، تاريخ الفلسفة الروسية - تأليف نيقولا لوسكي - ترجمة فؤاد كامل - مراجعة د. زكي نجيب محمود - ط دار المعارف: ص ٢٦٢ - ٢٨١.

حرية شخصية تامة؛ فكل فرد عالم قائم بذاته يضع لنفسه أخلاقه وآدابه وعقائده وآراءه؛ فيختار الإباحة إن شاء، ويختار النسك والزهد إن شاء، وهو المسئول عما يصيبه من جراء إباحته أو جراء نسكه وزهده.

(٢) المدرسة الوجودية الدينية وأبرز شخصياتها: يعتقد الوجوديون المؤمنون بالله أن للكون ربًا خالقًا؛ ولكنهم يرون أن الدين محل الضمير؛ أما الحياة بما فيها فمقودة لإرادة الشخص المطلقة، والوجودي الحق - عندهم - هو الذي لا يقبل توجيهًا من الخارج إنما يسير نفسه بنفسه؛ وأبرز هؤلاء الوجوديين المؤمنين بالله تعالى ربًا:

أ - كيركجارد (١٨١٣ - ١٨٥٥م): فيلسوف دنماركي؛ يرى رجال الفكر الغربي أنه هو مؤسس الوجودية - عمومًا - في الفلسفة المعاصرة؛ ومن مؤلفاته في ذلك: "رهبنة واضطراب"، وقد طبع مذهبه بطابع الإيمان بالله، والتفأؤل، ووضع الإنسان في علاقة مباشرة مع الله.

ب- نقولا بيرديانيف (١٨٧٤ - ١٩٤٨م): فيلسوف روسي، كان ينكر استبداد القياصرة واستبداد الشيوعيين، وثار على سلطان الكنيسة كما ثار على سلطان كارل ماركس، وحاول أن يستقل بإخراج تصور مسيحي للعالم، وكان يعلن أن الديانة قوة اجتماعية لا غنى عنها في تطور الجماعات البشرية؛ مع دعوته إلى حياة الحرية والضمير.

ج- القس كيريل مارسيل (١٨٨٩ - ١٩٧٣م): الذي يعتقد أنه لا تناقض بين الوجودية والنصرانية.

(٣) المدرسة الوجودية الملحدة وأبرز شخصياتها: الوجوديون الملحدون هم الذين يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبات وكل ما جاءت به الأديان، ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل، ويؤمنون إيمانًا مطلقًا بالوجود الإنساني، ويتخذونه

منطلقاً لكل فكرة، ويعتقدون أن الإنسان هو أقدم شيء في الوجود، وما قبله كان عدماً، وأن للإنسان الحرية المطلقة، وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء وبأي وجه يريد دون أن يقيدته شيء، وعلى الإنسان أن يطرح الماضي وينكر كل القيود؛ دينية كانت أو اجتماعية أو فلسفية أو منطقية.

ويرى الوجوديون الملحدون أن الأديان والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان، وأنهم يعملون لإعادة الاعتبار الكلي للإنسان ومراعاة تفكيره الشخصي وحرية وغرائزه ومشاعره.

ونظراً إلى أن الإنسان هو الذي يصنع صفاته الجوهرية من غير استرشاد من أية قوة؛ فهو يواجه الحياة بتعقيداتها ومآسيها ومخنها معزولاً منفرداً، ويغوص في نفسه أمام هول الحياة فيستشعر القلق والخوف والهم والاعتراب والضياغ؛ فيتجه إلى العبث لا يلوي على شيء!

وإذا كان الموت - عند هؤلاء الوجوديين - هو النهاية المحتومة المؤكدة، وهو ختم كل شيء؛ إذ لا بعث ولا جنة ولا نار؛ فإن هذا أمر مروّع؛ لأنه يكشف عن قبح هذه الحياة وافتقادها كل معنى، وافتقارها لأية أهمية أو قيمة.

فوجود الإنسان - بناء على ما سبق - يعتبر مأساة وأمرًا غير مفهوم أو معقول، ومآله إلى العدم؛ وبالتالي لا يؤمن الوجوديون الملحدون بأية قيمة أخلاقية أو حقيقية مؤكدة، ويتجهون إلى الهدم بعنف وقوة؛ لذا وصفت فلسفتهم بوصف العدمية.

- وأبرز هؤلاء الوجوديين الملحدين:

أ - مارتن هيدجر (١٨٨٩ - ١٩٧٦م): فيلسوف ألماني ملحد؛ دفعته وجوديته إلى اليأس واليأس من الحياة؛ من أقواله: "لا نجد خلفنا أية دعامة نستند إليها، ولا نلمح أمامنا أي هدف ننزع إليه، ولا نرى فوقنا أية قوة عليا تعيننا على التحكم

في مصرينا"^(١)، من مؤلفاته: "الوجود والزمان".

ب- جان بول سارتر (١٩٠٥ - ١٩٨٠م): فيلسوف فرنسي ملحد، ولد من أم يهودية، وكان يقضي معظم أيامه بين اليهود، وناصر الصهيونية ودافع بشدة عن "السامية" في محاضرة مطبوعة بعنوان "صورة عدو اليهود"، وكان يعتري شقه الأيمن شبه شلل؛ له مؤلفات كثيرة تعبر عن آرائه الوجودية؛ منها: "الوجود والعدم" وهو أشهر الكتب في الفلسفة الوجودية عمومًا، و"الوجودية مذهب إنساني"، و"الغثيان"، و"الذباب"، و"الباب المغلق".

- من أقواله وآرائه الإلحادية والإباحية والتشاؤمية: قوله: "الحياة خلو من أي معنى، الإله ميت (تعالى الله علوًا كبيرًا)، لا يوجد أي قانون أخلاقي، الإنسان عاطفة لا فائدة منها، العالم تشويش قوي مثير للغثيان"^(٢)، وقد أبرز شدوده وانحرافه في صورة شخصيات أدبية في رواياته التي عبر فيها عن آرائه الوجودية؛ وكان أبطال هذه الروايات - دائمًا - يستبيحون الإجرام والشذوذ والتبذل والخيانة، ولا فرق بين الأمين منهم والخائن، أو بين الوقور والماجن - في نظره.

(٤) نقض الفلسفة الوجودية من منظور إسلامي: يقول العقاد عن آراء الوجوديين المنحرفة: "ليس قصارى هذه التأويلات والتخریجات أنها مريضة تنم عن الهزيمة والانحلال، ولكنها - قبل ذلك - خطأ في العقل والمنطق، وخطأ في القياس والاستدلال"^(٣)، ويصف جارودي الفلاسفة الوجوديين بأنهم: "سفاحو الثقافة والفكر"^(٤).

(١) مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ٢٢١.

(٢) السابق: ص ٢٢٣.

(٣) بين الكتب والناس: ص ١٨.

(٤) مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ٢٢٥.

ولا شك أن ما قاله كل من العقاد وجارودي وصف صحيح ودقيق للوجوديين وآرائهم، ولكن نريد أن نناقشهم مناقشة علمية كما التزمنا ذلك المنهج مع جميع الفلسفات السابقة؛ وذلك من خلال النقاط التالية:

(أ) إن الوجوديين ينفون النوع الإنساني ولا يؤمنون إلا بالفرد المشخص؛ وهذا من غير شك مخالفة صريحة للعلم والعقل؛ لأن وجود النوع الإنساني - أولاً - وجود حقيقي صادق في الحس كصدق وجود الفرد أو أصدق؛ وليس من فروض التصور الذهني - كما يدعي الوجوديون، ولا يتم كيان الفرد نفسه إلا إذا نضجت فيه الوظائف النوعية التي يتحقق بها وجوده، وإذا تجرد الفرد من هذه الوظائف فهو موجود ممسوخ ناقص في تكوينه، واختلاف الأفراد في ملامح الشخصية لا ينفي التشابه بينهم في الخصائص النوعية، ولا يجعل كلاً منهم عالماً مستقلاً بأخلاقه وآدابه ومواطن اختياره واضطراره.

(ب) نظرة الوجوديين إلى الحياة نظرة تشاؤمية؛ تدفع الناس إلى اليأس والقنوط، واعتبار الحياة جحيمًا أو هاوية يسرون إليها بعيون مغمضة، وإذا لم يوجد في الفلسفة الوجودية سوى هذه السلبية التي تجعل الإنسان جثة هامدة لا روح فيها ولا حياة ولا هدف ولا أمل؛ لكانت كافية لإبطال هذا المذهب الهدام.

(ج) يكفي ما سبق من ردود على من ينكر وجود الله تعالى ولا يؤمن بالأديان والبعث، ويجحد القيم الأخلاقية؛ ولكن ينبغي التنبيه -هنا- على أمرين مهمين؛ هما:

الأمر الأول: أن شعور الإنسان بأن حياته بلا هدف، وأن نهايته المحتومة التي لا شك فيها هي الموت والفناء، ولا حياة ولا بعث بعد الموت؛ يجعل المرء في قلق دائم وحيرة وضيق وجحيم نفسي، ويحمله على أن يعيش حياة عبثية.. ومن هنا تعلم عظمة السين الإسلامي الذي يبيت الأمل في النفوس، ويمنح الإنسان القوة والسعادة في الدنيا - قبل الآخرة - عندما يجعل الإيمان بالبعث والجنة والنار من أصول الدين التي لا

يعد المسلم مسلماً إلا إذا آمن بها، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

الأمر الثاني: أن وجودية سارتر تهدف إلى ما تهدف إليه جنسية فرويد ووضعية دوركاهم ومادية ماركس - وكلهم يهود؛ وهو تدمير الإنسان من داخله وطمس كل القيم الدينية والأخلاقية في نفسه؛ وهذا يدل - كما يقول العقاد - على "أن إصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان..

- فاليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والآداب، وتقوض دعائم الأوطان والأديان.

- واليهودي دوركاهم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المضطعة، ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب.

- واليهودي - أو نصف اليهودي - سارتر وراء الوجودية التي نشأت معززة لكرامة الفرد؛ فجنح بها إلى إباحة حيوانية تصيب الفرد والجماعة معاً بأفات القنوط والانحلال"^(١).

هذا.. وبعد أن تعرفنا على أهم وأخطر الفلسفات الغربية المعاصرة؛ لم يبق إلا أن نفصل الحديث حول أخطر وأبشع فلسفة إلحادية مادية في تاريخ الغرب؛ وهي الماركسية؛ حيث استطاع أنصار هذه الفلسفة أن يجعلوا إلحادهم ديناً في عدد غير قليل من بلاد العالم؛ منهم دولتان من أكبر الدول؛ هما الاتحاد السوفيتي والصين؛ كما كانت آثارهم على بقية الدول لا يخفى قبحها؛ وبيان ذلك من خلال موضوعات القسم الثالث في الوحدات التالية.

(١) بين الكتب والناس: ص ٢٢ - ٢٣.

خلاصة الوحدة الثالثة

ستتلخص مما سبق في هذه الوحدة ما يلي:

تدور أفكار الفلسفات الأوروبية المعاصرة - في مجملها - حول الإخاد والمادية والإباحية والعشبية؛ وهي ستة تيارات:

أولاً: الفلسفة المثالية:

- ١- تعتبر أقل الفلسفات المعاصرة خطراً، وأكثرها مشابهة للفلسفة القديمة.
- ٢- تجعل الأولوية في الوجود لنروح، وهي عكس المذهب المادي.
- ٣- كتمت بمباحث الفلسفة الثلاثة: الحق، والخير، والجمال، وتعطي المباحث الغيبية اهتماماً كبيراً، وتجعل العقل هو أساس المعرفة.
- ٤- يرى المثاليون أن الروح لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا في علاقتها بعنصر مادي.
- ٥- الأرواح هي الفاعل الذي يملك الإرادة، والماديات مجموعة من الأفكار أو المعطيات الحسية.
- ٦- الشر شيء عارض وعابر في الحياة، والأدب المثالي يحاول الكشف عن الطبيعة الخيرة.
- ٧- أشهر المثاليين: باركلي، وكانط، وفيشته، وهيغل، وشوبنهاور.
- ٨- يؤخذ على الفلسفة المثالية أنها تقوم على أمر حفي لا يمكن معرفة حقيقته وهو الروح؛ كما أنها وقعت في نفس سليات الفلسفة اليونانية القديمة.

ثانياً: الفلسفة الوضعية:

- ١- هي فلسفة إلحادية لا تعترف إلا بالوقائع الحسية، وتنكر الأديان والغيبيات.
- ٢- تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- أ - الوضعية التجريبية؛ وهي التي أسسها كونت الذي دعا إلى ديانة الإنسانية، وابتدع قانون الحالات الثلاث الذي جعل الحالة اللاهوتية الدينية هي أولى مراحل التطور الفكري للإنسان، ثم الحالة الميتافيزيقية، ثم الحالة الوضعية.
- من أشهر فلاسفة الوضعية التجريبية: سان سيمون، وبرتراند رسل الذي هاجم الأديان، وأنكر وجود الله، واعتبر الإنسان لا قيمة له بين أجزاء الطبيعة.
- ب- الوضعية الاجتماعية؛ التي أسسها دوركايم اليهودي؛ الذي اعتبر المبادئ العقلية نتاج الفكر الجموعي أو العقل الجمعي، وأن الأخلاق تختلف باختلاف المجتمعات، وكذلك الدين من نتاج العقل الجمعي الذي ابتكر الطوغم والآلهة المتعددة وفكرة الإله الواحد.
- ج- الوضعية المنطقية؛ التي تقوم على أنه لا موجود إلا المحسوس؛ وكل لفظ لا يشير إلى شيء محسوس فهو فارغ ولا حقيقة له.
- ٣- انحصار المعرفة في الوقائع الحسية - كما يقول الوضعيون - مخالف للفطرة الإنسانية والعقل والعلم؛ لأنه لا يشك إنسان في وجود الروح؛ رغم عدم حضورها للحس.
- ٤- ما ادعاه كونت من قانون الحالات الثلاث باطل بشهادة الواقع المحسوس؛ لأن الموجود في العالم اليوم هو تعاصر الحالات الثلاث.
- ٥- ديانة الإنسانية سفسطة لا يقول بها عاقل؛ لأنها تعني عبادة الإنسان نفسه.
- ٦- إذا كانت كل جماعة تخرع إلهها؛ فمن أين جاءت فكرة "الإله الأكبر" فاطر السموات والأرض؟
- ٧- القيم الأخلاقية مركوزة في فطر الناس بدليل أن جميع البشر يحبون العدل ويكرهون الظلم.

ثالثاً: الفلسفة النفعية:

- ١- تعتبر الفلسفة النفعية مقياس سعادة الفرد والمجتمع هو المنفعة واللذة.
- ٢- يرى النفعيون أن الخير هو الذي يعود بلذة مستمرة، والشر هو الذي يعود بألم مستمر.
- ٣- مؤسس الفلسفة النفعية المعاصرة هو بنتام الذي جعل حساب اللذة بالكم لا بالكيف، واللذة الشخصية - عنده - مقدمة على المنفعة العامة.
- ٤- من أبرز شخصيات النفعية جون ستوارت مل الذي يرى أن لسبب الذي يدفع الإنسان للعمل - في الأصل - هو المنفعة واللذة؛ لكنه يخالف بنتام في اعتبار اللذة بالكم فقط؛ ويرى أن هناك لذات تابعة للكيفية ولاعتبارات معنوية، وأنه يجب إخضاع المنفعة الذاتية للمنفعة الكلية.
- ٥- جذور الفلسفة النفعية ترجع إلى عهد اليونان - وخاصة أبيقور، وكانت بوادرها في الفلسفة الحديثة عند هوبز ولوك وهيوم.
- ٦- الحقيقة أن المذهب النفعي لا ضابط له؛ لأن كثيراً من اللذات تكون شراً محضاً، وكثيراً من الآلام تكون خيراً محضاً، والصحيح هو جعل اللذة والمنفعة محكومة بضوابط الدين الصحيح وهو دين الإسلام، وخاضعة لقيم الأخلاق التي لا يختلف فيها أحد.

رابعاً: الفلسفة الذرائعية (البرجماتية):

- ١- هي مذهب نفعي يرى أن الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية.
- ٢- يرى أنصار هذه الفلسفة أن أفكار الناس ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال.

- ٣- تقبل البرجماتية القيم الدينية والأخلاقية؛ ليس بسبب صحتها في ذاتها؛ وإنما على أساس فائدتها العملية في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس.
- ٤- الفكرة - عند الذرائعيين - مثل السلعة تكمن قيمتها فيما تجلبه من ثمن.
- ٥- الحق والصدق والخير؛ كل ذلك هو النافع عملياً فقط.
- ٦- أبرز شخصيات الذرائعية: بيرس، وجيمس، وديوي؛ فلاسفة أمريكيون أسسوا هذا المذهب في أمريكا ونشروه في أوروبا.
- ٧- تلخص سليات الذرائعية في ثلاثة أمور؛ هي:
 - أ - أنها لا تعترف بأي حقيقة دينية أو أخلاقية أو عقلية إلا بعد تطبيقها عملياً؛ وهذه طريقة منعكسة؛ لأن الصحيح هو اختيار المبدأ الصحيح ثم تطبيقه؛ لا تطبيقه لنعلم أنه صحيح.
 - ب- أنها جعلت العمل الذي يدر المال ويثمر المنفعة المادية إله الكون، ووضعت الدين والأخلاق في خدمته.
 - ج- أنها حولت الإنسان العاقل إلى بهيمة لا تعقل؛ لأنه لا همّ له - في نظرهم - إلا العمل الدائب من أجل إشباع الغرائز البهيمية التي في نفسه.

خامساً: الفلسفة الجنسية الفرويدية:

- ١- مدرسة في التحليل النفسي؛ تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسياً، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء، وتعتبر القيم والعقائد والأديان عوائق تقف أمام الإشباع الجنسي؛ مما يسبب أمراضاً نفسية.
- ٢- تقوم الفرويدية على أسطورة عقدة أوديب الذي قتل أباه وتزوج أمه وأنجب منها وهو لا يدري.
- ٣- ترى الفرويدية أن شخصية الإنسان حصيلة صراع بين قوى ثلاث: دوافع غريزية، وواقع خارجي، وضمير.

- ٤- تظهر الحياة الجنسية - في نظر الفرويدية - عند الطفل في صور متعددة؛ مثل: مص الأصابع والتبول والتغوط.
- ٥- العقائد الدينية - في الفرويدية - أوهايم لا دليل عليها.
- ٦- مؤسس الفرويدية الجنسية سيجموند فرويد؛ وهو يهودي النشأة والاعتقاد، كان يعالج المرضى بالتنويم المغناطيسي والتحدث معهم وتفسير أحلامهم.
- ٧- كان فرويد من اليهود المتعاونين مع زعماء الصهيونية العالمية مثل هرتزل.
- ٨- وكان يتظاهر بالإخاد ليعطي لتفكيره روحاً علمانية، ولكنه في الحقيقة كان يهودياً صرفاً.
- ٩- برر فرويد العلاقة الجنسية بين المحارم لبيح لليهود هذه الفاحشة، وليسهل على غير اليهود فعلها.
- ١٠- أثبت العلم الحديث خطأ هذه الآراء الفرويدية؛ مما أدى إلى انسلاخ كثير من الفرويديين عن مذهب فرويد.
- ١١- لا يمكن للعقل السليم أن يعتبر الدين وهمًا؛ بل يدرك تمام الإدراك أن الدين السماوي الصحيح هداية الله للناس، وسبيل سعادتهم في الدنيا والآخرة.
- ١٢- ثبت علمياً وطبياً وواقعياً أن الانطلاق الجنسي المسعور هو لسبب في إفساد المجتمعات الغربية والشرقية، وأنه مدمر للفرد والمجتمع؛ كما أنه تسبب في انتشار الأمراض المهلكة.
- ١٣- الغرض الأساسي من هذه الفلسفة هو المساهمة في سيطرة الصهيونية على العالم عن طريق شغل الناس بالجنس والشهوات.

سادساً: الفلسفة الوجودية:

- ١- الوجودية اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرده، ويجعل له الحرية المطلقة، ويعتبر الإنسان سابقاً لماهيته.

- ٢- للوجودية مدرستان كبيرتان: دينية وإلحادية؛ الدينية يتزعمها: كيركجارد، ومارسيل، وبيرديايف، والإلحادية يتزعمها: هيدجر وسارتر.
- ٣- الوجودية الدينية تعتقد في وجود الله، ولكن الدين محله الضمير؛ وأما الحياة فتحت قيادة إرادة الشخص المطلقة، ويحاول أنصارها أن يوفقوا بين الوجودية والنصرانية.
- ٤- الوجودية الإلحادية تنكر وجود الله، وتكذب بالأديان، وتنفي جميع القيم الأخلاقية والحقائق الغيبية.
- ٥- يعتقد الوجوديون الملحدون أن الإنسان هو أقدم شيء، وأن مآله إلى العدم التام، وأنه لا بعث بعد الموت، ولا جنة ولا نار.
- ٦- يعتبر هؤلاء الملحدون أن وجود الإنسان في هذه الحياة مأساة، وأنه لا هدف من وجوده، وأنه يجب عليه أن يتصرف وفق أغراضه وأهوائه، ويشبع جميع رغباته من غير استجابة إلى أي قيود دينية أو أخلاقية.
- ٧- وصف المفكرون العقلاء الوجوديين الملحدين بأنهم سفاحو الثقافة والفكر، وأن فلسفتهم مريضة ومخالفة للعقل والمنطق الرشيد.
- ٨- ينفي الوجوديون النوع الإنساني ولا يؤمنون إلا بالفرد المشخص، وهذا خطأ؛ لأنهم - بذلك - جعلوا الإنسان موجوداً ممسوخاً ناقصاً في تكوينه.
- ٩- الوجودية مذهب هدام يدعو إلى اليأس والتشاؤم والعجز وضيق الصدر.
- ١٠- عدم الإيمان بالبعث بعد الموت يجعل حياة الإنسان عبثاً لا فائدة فيها، وهذا يبين عظمة الإسلام الذي جعل الإيمان باليوم الآخر من الأصول الأساسية.
- ١١- ينبه العقاد إلى أن آراء سارتر الإلحادية الهدامة تشابه آراء ماركس ودوركايم في أن كل واحد من هؤلاء يساهم في تدعيم مخططات الصهيونية العالمية التي تهدف إلى إفساد العالم، وجعل الناس بهائم لا عقل لهم؛ حتى يسهل تعييدهم لكبراء اليهود المجرمين.

الاختبار البعدي للوحدة الثالثة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

- ١- تعتبر الفلسفة المثالية هي أخطر الفلسفات المعاصرة على الإطلاق.
- ٢- المثالية عكس المادية، وموافقة للفلسفة القديمة.
- ٣- لا يؤمن المثاليون بالله إلهاً للكون.
- ٤- لا تهتم الفلسفة الوضعية بالوقائع الحسية.
- ٥- تنقسم الفلسفة الوضعية إلى خمسة أقسام.
- ٦- سارتر هو الذي ابتدع قانون الحالات الثلاث.
- ٧- الحالات الثلاثة هي: الميتافيزيقية، ثم الوضعية، ثم الدينية.
- ٨- العلم - في نظر رسل - يثبت وجود الله تعالى.
- ٩- الطوطم هو لعبة الأطفال المشهورة في زمن اليونان.
- ١٠- زعيم الوضعية الاجتماعية هو دور كايم اليهودي .
- ١١- الوضعية المنطقية هي المنطق الأرسطي المعدل.
- ١٢- العقل الجمعي هو مجموع أفكار وعادات المجتمع الواحد.
- ١٣- جميع البشر يحبون العدل ويكرهون الظلم.
- ١٤- فكرة "الإله الأكبر" تبطل فكرة "العقل الجمعي".
- ١٥- يرى بنتام أن اللذة تحسب بالكيف لا بالكم.
- ١٦- يرى ستيوارت مل أن للذة اعتبارات معنوية.
- ١٧- الصحيح أن ضابط اللذة هو الشرع الإسلامي الحكيم.

- ١٨ - البرجماتية معناها الذرائعية.
- ١٩ - الذرائعية هي آلة لقياس الأطوال بالذراع.
- ٢٠ - الفلسفة البرجماتية تعد أول إسهام فلسفي أمريكي.
- ٢١ - يرى فرويد أن مص الأصابع عند الطفل يعد من السرور الجنسي.
- ٢٢ - ترفض الفرويدية أسطورة عقدة أوديب.
- ٢٣ - فرويد يهودي، وسارتر نصف يهودي.
- ٢٤ - الوجودية الإلحادية ترفع الروح المعنوية عند الإنسان.
- ٢٥ - الوجوديون الملحدون هم سفاحو الثقافة والفكر.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

- اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس في كل مما يلي:
- ١ - المؤسس الحقيقي للمثالية؛ هو: (كانت - باركلي - سارتر).
 - ٢ - الذي أثر في الوجودية والماركسية والذرائعية؛ هو: (رسل - هيدجر - هيجل).
 - ٣ - المؤسس الحقيقي للوضعية عمومًا؛ هو: (كونت - دوركايم - شوبنهاور).
 - ٤ - أخطر ابتداعات كونت الوهمية؛ هو: (العقل الجمعي - الطوطم - ديانة الإنسانية).
 - ٥ - الذي ابتدع فكرة العقل الجمعي؛ هو: (ماركس - فرويد - دوركايم).
 - ٦ - المؤسس للفلسفة النفعية المعاصرة؛ هو: (بنثام - هوبز - أبيقور).
 - ٧ - الذي ألف كتاب "مذهب المنفعة"؛ هو: (كانت - ستوارت مل - رسل).
 - ٨ - مبتكر كلمة "البرجماتية" في الفلسفة المعاصرة؛ هو: (فرويد - مارسيل - بيرس).
 - ٩ - الذي برر ممارسة اليهود لزننا المحارم؛ هو: (ماركس - فرويد - سارتر).
 - ١٠ - الذي حاول أن يوفق بين الوجودية والنصرانية؛ هو: (مارسيل - هيدجر - سارتر).

- ١١- المؤسس الأول للوجودية - عمومًا؛ هو: (بيردباثيف - سارتر - كير كجارد).
- ١٢- الفيلسوف الروسي الذي هاجم الكنيسة والشيوعية معًا؛ هو: (هيوم - شوبنهاور - بيردباثيف).
- ١٣- أشهر الوجوديين الملحدون في العالم؛ هو: (سارتر - هيدجر - كير كجارد).
- ١٤- الذي وصف الوجوديين بأنهم "سفاحو الثقافة والفكر"؛ هو: (العقاد - جارودي - سيمون).
- ١٥- الذي نبه إلى أن اليهود وراء الوجودية والماركسية والمذاهب الهدامة؛ هو: (جارودي - كريسون - العقاد).

ثالثًا: الأسئلة التحليلية:

- ١- اذكر أوجه الشبه بين المثالية والفلسفة اليونانية القديمة من جهة، وبين المثالية والفلسفة العقلية الحديثة من جهة أخرى.
- ٢- تحدث عن أقسام الوجودية بشيء من التفصيل؛ مع نقض هذه الأقسام من منظور إسلامي.
- ٣- ما المقصود بالذرائعية (البرجماتية)؟ وأين تأسست هذه الفلسفة؟ وأين انتشرت؟ وكيف تنقدها من منظور إسلامي؟
- ٤- اذكر الفرق بين:
- أ - النفعية، والذرائعية (البرجماتية).
- ب- نفعية بنتام، ونفعية جون ستيوارت مل.
- ج- الوجودية الدينية، والوجودية الإلحادية.
- د - الوجودية التجريبية، والوجودية الاجتماعية.
- هـ- الوجود النوعي للإنسان، والوجود الفردي المشخص.

رابعاً: أسئلة المقال:

أ- اذكر ما تعرفه عن:

١ - العقل الجمعي.

٢ - "الطوتم" في الفلسفة الوجودية.

٣ - قانون الحالات الثلاث.

٤ - "عقدة أوديب" في الفلسفة الجنسية.

٥ - ديانة الإنسانية.

ب- تكلم عن حياة وفكر الشخصيات التالية:

(برتراندرسل - دوركايم - فرويد - بيرديايف - سارتر).

النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات، وتحقق الأهداف التعليمية الواردة في فصول هذه الوحدة؛ عليك أن تقوم بممارسة النشاط التعليمي التالي:

اكتب بحثاً مختصراً تتناول فيه موضوع: "علاقة المذاهب الإباحية بالصهيونية العالمية".

القسم الثالث

الماركسية الشيوعية



الوحدة الأولى

توضيح لأهم مصطلحات الماركسية الشيوعية

مبررات دراسة الوحدة الأولى:

إن تحديد المفاهيم والمصطلحات عند الكلام عن المذاهب والأفكار المختلفة أمر ضروري؛ حتى لا يقع الدارس في خطأ استخدام المصطلح الواحد بمفاهيم متباينة؛ كما أن هذا التحديد يعطي تصوراً عاماً عن المذهب الفلسفي المراد معالجة قضاياها ومناقشة أفكاره.

ولقد اقترن اسم ماركس وأتباعه الشيوعيين بجملة من المصطلحات التي تخيل على الغرّ الجاهل، والتي توحي بأن هذا المذهب يقوم على دلائل العقول ومفاهيم الأحلام؛ والحقيقة على خلاف ذلك؛ فإن هذه المصطلحات تشتمل في مضمونها على كل ما يناهز العقل؛ بل كل ما يسفه العقل ويسفل من شأنه.

وقد تبدو الفلسفة الماركسية صعبة معقدة تقوم على قواعد علمية ومنطقية دقيقة؛ فما إن تبين مفاهيمها، وتضح مصطلحاتها؛ حتى تظهر تافهة في مضمونها وجوهرها.

فاحرص - أيها الطالب اللبيب - على مذاكرة هذه الوحدة حتى تفهم مصطلحات الماركسية وتستوعبها جيداً؛ لكي تتمكن من معرفة هذا المذهب الهدام الذي يوجه سمومه للعالم كله.

الأهداف التعليمية للوحدة الأولى:

- عزيزي الدارس: يُرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:
- ١- تحدد الأسس التي تقوم عليها الماركسية.
 - ٢- توضح المقصود بالشيوعية وما أفرزته من تطبيقات.
 - ٣- تبين مفاهيم الاشتراكية وتطورها.
 - ٤- تعرف بالبلشفية والبروليتاريا والرأسمالية والبرجوازية.
 - ٥- تزيل الغموض الذي يكتنف مفهوم الأيديولوجيا.
 - ٦- تنبه على خطورة الإلحاد وعلاقته بانماركسية.
 - ٧- تفصح عن المقصود بالشيوعية الأولى، والملكية الفردية، والصراع الطبقي.

الوحدة الأولى: توضيح لأهم مصطلحات الماركسية الشيوعية



توضيح لأهم مصطلحات الماركسية الشيوعية



الماركسية الشيوعية تعد من أبرز الفلسفات الغربية المعاصرة التي تبنت الإلحاد وسعت في نشره في جميع أنحاء العالم.

ولقد اشتملت الماركسية الشيوعية على كثير من المصطلحات التي تضي على هذا المذهب المسحة العلمية في الظاهر؛ بينما تتسم تلك المصطلحات بطابع التطرف والمغالاة والانحراف في المضمون والجوهر.

ولكي نتبين حقيقة هذا المذهب جيداً، وندرك مدى خطورته على الإنسانية - عموماً - وعلى المسلمين - خصوصاً؛ أرى أنه من الأهمية بمكان - قبل التفصيل في قضايا هذا المذهب - أن نتعرف على مصطلحاته والمفاهيم المقصودة من تلك المصطلحات؛ وذلك على النحو التالي:

(1) الماركسية:

نسبة إلى "كارل ماركس" مؤسس هذا المذهب الفلسفي الإلحادي الذي نحن بصدده - وسيأتي في الوحدة الثانية تعريف به وبقية أعلام المذهب البارزين.

وهذا المذهب يقوم على أساس:

- ١- إنكار الأديان واعتبارها خرافة.
- ٢- أن الجدل هو منهج الفكر والمعرفة.
- ٣- النظام الإباحي والحيواني في المجتمع الإنساني.
- ٤- الصراعات الدموية وإثارة الأحقاد.
- ٥- مصادرة حق الأفراد في الملكية الخاصة.

٦- ديكتاتورية البروليتاريا - وهم الفئة الثورية من العمال - في الحكم^(١).

(٣) الشيوعية:

مذهب سياسي يقوم على أساس أفكار ماركس ويضيف إليها تطبيقات لينين وستالين؛ ولذلك تسمى - أحياناً - بالماركسية اللينينية؛ فالشيوعية هي الماركسية مطبقة على بعض المجتمعات، وأشهر البلاد التي تبنت الشيوعية الاتحاد السوفيتي والصين.

وبمجرد لفظ "الشيوعية" يعلن عن أبرز أفكاره؛ وهي محاربة الملكية الفردية، والقول بشيوعية الأموال وإلغاء الوراثة، وتفكيك الأسرة وإحلال الفوضى الجنسية محلها^(٢).

وقد أفرز التطبيق للشيوعية بعض التطورات التي تخالف أسس الماركسية؛ مثل: السماح بالملكيات الشخصية لضروريات الحياة، والسماح بامتلاك مشاريع صغيرة للأفراد من غير أن تأخذ طابع الإنتاج العام، والسماح بالتفاوت في الأجور، والانفتاح على الغرب الرأسمالي واقتباس بعض نظمه الاقتصادية - كما فعل جورباتشوف في روسيا^(٣).

وقد أصبحت الشيوعية - الآن - في ذمة التاريخ بعد أن تخلت عنها الاتحاد السوفيتي الذي لم يستطع مناصرتها قرناً واحداً؛ حيث تجسدت في الثورة البلشفية بقيادة لينين ومناصرة اليهود سنة (١٩١٧م)، ثم سقطت في العقد الأخير من القرن

(١) انظر: انصار الشيوعية أمام الإسلام - د. سعد الدين صالح - ط ١ دار الأرقم - القاهرة سنة ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م: ص ٢٧، ٢٨، سقوط الماركسية - وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الإسلام خان - ط رابطة الجامعات الإسلامية: ص ٢١.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٩٢٩/٢ - ٩٣١.

(٣) انظر: انصار الشيوعية أمام الإسلام: ص ٢٨.

(٣) الاشتراكية:

كلمة غامضة استخدمت بمعاني ومفاهيم كثيرة بلغت المائتين في بريطانيا وحدها؛ هذا عدا المفاهيم السائدة عنها في ألمانيا الغربية وإيطاليا، وبعض الدول العربية. والاشتراكية هي الشيوعية - على رأي كثير من الباحثين - ولكن بأسلوب آخر؛ حيث تعتمد في تنفيذ مخططاتها على الترغيب لا التهيب الذي تعتمد عليه الشيوعية.

والفرق الدقيق بين الاشتراكية والشيوعية قد ظهر عندما اختلف أتباع ماركس في المؤتمر الشيوعي الذي عقد سنة (١٩٠٣م)؛ حيث اختلف لينين مع برنشتين فيما إذا كان من الأفضل المحافظة على الأخلاق الماركسية من العنف وعدم المهادة والثورات الدموية والخيانة عند التطبيق العملي من أجل تحطيم الرأسمالية، أو اتباع الأسلوب الديمقراطي طالما أن الهيار الرأسمالية حتمي - كما يدعي ماركس؛ فاختار لينين الالتزام بالأخلاق الماركسية وأقام الحزب الشيوعي على ذلك؛ بينما اختار برنشتين الديمقراطية وسمى حزبه باسم الحزب الاشتراكي الديمقراطي الإصلاحية؛ ومنه ظهرت الأحزاب الاشتراكية الغربية في ألمانيا وإيطاليا وإنجلترا وغيرها من البلاد؛ وهي تقوم على الأسس التالية:

- ١ - عدم معاداة الدين؛ مع إبعاده عن مجال التطبيق على الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.
- ٢ - حق الأفراد في ملكية المال والمساهمة في مشاريع الدولة؛ مع تحديد دخل الفرد وفرض الضرائب التصاعدي عليه.

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان: ٩٢٩/٢.

- ٣- امتلاك الدولة لمصادر الطاقة وسائر مصادر الإنتاج الأساسي.
- ٤- تجنب العنف والاعتماد على أساليب الإقناع والديمقراطية.
- ٥- إفساح المجال لجميع الطبقات في المجتمع^(١).
- وللاشتراكية أنواع أخرى؛ أهمها: اشتراكية ماركس وهي التي سماها بالاشتراكية العلمية؛ وهي مذهب اقتصادي وسياسي لا يقبل الرفض أو القبول؛ بل هو مرحلة حتمية تؤول إليها الرأسمالية - كما سيأتي تفصيل ذلك^(٢).
- ومن هنا يتبين خطأ المصطلح الذي ابتدعه بعض الاشتراكيين العرب وهو: "الاشتراكية الإسلامية"؛ حيث لا علاقة ولا تقارب بين الاشتراكية والإسلام شكلاً ومضموناً^(٣).

(٤) الرأسمالية:

- نظام اقتصادي يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والحفاظة عليها؛ متوسعاً في مفهوم الحرية، ومعتمداً على سياسة فصل الدين - نهائياً - عن الحياة.
- وأسس الرأسمالية؛ هي:
- ١- البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب؛ إلا ما تمنعه الدولة لضرر عام.
 - ٢- تقديس الملكية الفردية وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها وعدم الاعتداء عليها.
 - ٣- المنافسة والمزاحمة في الأسواق.
 - ٤- نظام حرية الأسعار، وإطلاق هذه الحرية وفق متطلبات العرض والطلب.

(١) انظر: الهبار الشيوعية: ص ٢٩، ٣٠.

(٢) انظر: سقوط الماركسية- وحيد الدين خان : ص ٢١، الموسوعة الميسرة: ٩٦٧/٢.

(٣) انظر تفصيل ذلك في: الهبار الشيوعية: ص ٣١ - ٣٤.

- وللرأسمالية أشكال متعددة؛ أهمها:

أ - الرأسمالية التجارية؛ التي ظهرت في القرن السادس عشر بعد إزالة الإقطاع.

ب- الرأسمالية الصناعية؛ التي ساعد على ظهورها تقدم الصناعة وظهور الآلة.

وتوجد أشكال أخرى ظهرت فيما بعد تقوم على الاتفاق بين الشركات الكبيرة على اقتسام السوق العالمية واحتكارها.

وقد اعتبر ماركس تحول الرأسمالية إلى اشتراكية أمراً حتمياً، ووجه كثيراً من انتقاداته إلى الرأسمالية، وحاربها لينين بكل ما استطاع من قوة^(١).

(٥) البلشفية:

نسبة إلى "البلشفزم" وهي كلمة روسية معناها: الكثرة، وهو اسم الحزب الشيوعي الذي كان يرأسه لينين؛ لأنه كان حزب الأكثرية، ويقابله "المنشفيكي" أي الأقلية.

وعرف أتباع هذا الحزب بالبلاشفة الذين نسبت إليهم الثورة الروسية المعروفة باسم "الثورة البلشفة" سنة (١٩١٧م)، والتي كان معظم قادتها من اليهود، وكان نتيجتها انهيار روسيا القيصرية وقيام روسيا الشيوعية التي عرفت بعد ذلك بالاتحاد السوفيتي^(٢).

(٦) البروليتاريا:

تعبير روماني يطلق على المواطن الذي ليست له صفة سوى إنجاب الذرية، وأطلقه المفكر الاشتراكي الخيالي سان سيمون على من لا يملكون نصيباً من الثروة ولا

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان: ٢/٩٢١، ٩٢٢.

(٢) انظر: انهيار الشيوعية: ص ٢٩، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية - د. سعد الدين صالح - ط ٣

مكة الصحابة - حدة ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م: ص ٢٢٣، ٢٢٧، الموسوعة الميسرة: ٢/١٠٠٠.

يتمتعون بأي ضمانات في الحياة، ثم بعد ذلك استعمل هذا المصطلح على طبقة العمال اليدويين الكادحين، وعرفها بعض الباحثين بأنها: "الفئة الثورية للعمال"^(١)، وقد استخدم ماركس ولينين مفهوم البروليتاريا في إنشاء مجتمع الملكية العامة اللاطقي الذي ادعيا إمكانية إنشائه، وكذبها الواقع والتاريخ في ذلك.

ويفهم مما سبق أن البروليتاريا عند الماركسيين هي التي تجمع بين الخصائص

التالية:

١- العمل اليدوي.

٢- الظلم الاجتماعي الذي يقع عليها من الطبقة الرأسمالية.

٣- الثورة والعدوان منها لإزالة التفرقة الطبقية وتكوين المجتمع اللاطقي^(٢).

(٧) البرجوازية:

كلمة فرنسية الأصل تطلق على طبقة متميزة عن طبقة العمال، وترمز إلى طبقة التجار وأصحاب الأعمال.

ولقد قاومت البرجوازية الإقطاع في أوروبا وقامت على أنقاضه، وازدهرت مع ازدياد التجارة الدولية بين الشرق والغرب بعد الحروب الصليبية، وأفادت من الثورة الصناعية في تسلم زمام القيادة السياسية والاقتصادية في فرنسا، ومنها انتقلت إلى أوروبا وقويت في القرن التاسع عشر.

وتطلق البرجوازية في الاشتراكية على أصحاب الطبقة الرأسمالية التي تملك وسائل الإنتاج، وهي عندهم في صراع دائم مع طبقة البروليتاريا، ويضيفون إلى طبقة الرأسمالية رجال الدين مدعين أنهم الذين يحمون البرجوازية ويخدرون البروليتاريا^(٣).

(١) انصار الشيوعية: ص ٣٤.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة: ١/٩٩٨، ١/٩٩٩، انصار الشيوعية: ص ٣٥.

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة: ١/٩٩٥، انصار الشيوعية: ص ٣٧.

(٨) الأيديولوجيا:

مصطلح لاتيني الأصل يتكون من مقطعين "أيديو" ومعناه: فكرة، و"لوجيا" ومعناه: علم، وأول من استخدمه بمعناه العام "علم الفكرة" الفيلسوف الفرنسي دي تراسي في مطلع القرن التاسع عشر وقصد به ما كان في مقابل المحسوس؛ أي بمعنى: "التحليل التجريبي للذهن البشري".

ويستخدم - أيضاً - ويراد به العلم الذي يهتم بدراسة الأفكار والآراء والتصورات من حيث أصولها ونشأتها وأشكالها وقوانينها.

ثم تطور هذا المفهوم على يد ماركس ولينين ليستعمل كنسق فكري كامل من ناحية المعرفة والسياسة والميتافيزيقا والأخلاق والدين، أي أنها أصبحت وجهة نظر كاملة في كل شئون الحياة^(١).

(٩) الشيوعية الأولى:

يزعم الماركسيون أن الشيوعية كانت هي الطور الأول للبشرية، وأنها كانت شيوعية شاملة لكل نواحي الحياة البشرية بما في ذلك الجنس.. فكانت القائل البشرية الأولى تعيش في حالة من المشاعية الجنسية الكاملة؛ مع مشاعية الأرض والطعام وغير ذلك^(٢).

ثم بعد ذلك انتقلت البشرية إلى مرحلة الرق، ثم الإقطاع، ثم الرأسمالية، ثم - حتماً - تنتقل إلى الشيوعية الثانية؛ وهي آخر المراحل وأفضلها. وقد كذبهم الواقع وسقطت الشيوعية وتخلي عنها أتباعها في معقل دارها - الاتحاد السوفيتي.

(١) انظر: الموسوعة الميسرة: ٢/٩٩٠، اجمار الشيوعية: ص ٢٧.

(٢) انظر: مذاهب فكرية: ص ٣٥٥.

(١٠) الملكية الفردية:

هي حق كل فرد في أن تكون له ممتلكات خاصة به، لا يشاركه فيها أحد، ولا ينبغي للدولة أن تنتزعها منه.

ويرى الماركسيون أن الملكية الفردية هي سبب كل الشرور التي حلت بالبشرية منذ خروجها من مرحلة الشيوعية الأولى إلى أن تعود الشيوعية الثانية فتلغيها وتلغي معها الشرور الناشئة عنها.

وينشأ الشر من أن الذي يملك هو الذي يحكم، وحين يحكم فإنه يضع التشريعات التي تخدم مصالحه ومصالح طبقة على حساب بقية الطبقات.

ويرى هؤلاء الماديون أن الملكية الفردية ليست نزعة فطرية في النفس البشرية؛ بدليل فترة الشيوعية الأولى التي لم تكن فيها ملكية فردية، إنما هي أمر مكتسب؛ اكتسبته البشرية بعد أن تعلمت الزراعة؛ حيث أدى ذلك إلى انتهاء فترة الشيوعية الأولى ودخول البشرية في مرحلتها الرق والإقطاع، ثم لما تحولت الملكية من ملكية زراعية إلى ملكية صناعية رأسمالية دخلت في مرحلة الرأسمالية.

ويعتبرون أن الصراع الطبقي الذي يدور عليه تاريخ البشرية كله فيما بين الشيوعية الأولى والشيوعية الأخيرة قائم كله على الملكية الفردية ومتعلق بها، وأن هذا الصراع لن يزول من الأرض إلا بإزالة السبب المتعلق به؛ أي إزالة الملكية الفردية في جميع صورها^(١).

(١١) الصراع الطبقي:

ادعى ماركس أن تاريخ البشرية هو تاريخ الصراع الذي تحركه كوامن الحقد النفسي بين الطبقات؛ فالحر والعبد، والنيل والعامي، والسيد الإقطاعي والعبد

(١) انظر: السابق: ص ٣٦٢، ٣٦٣.

المسخر، والمعلم والصانع؛ كل هؤلاء: إما مضطهد وإما مضطهد؛ كانوا في تعارض دائم، وكانت بينهم حروب مستمرة؛ تارة تكون ظاهرة وتارة تكون مستترة.

والتركيب الطبقي له أسس ثلاثة؛ هي:

- ١- الملكية الخاصة؛ فلا بد من وجود ملكية خاصة حتى توجد طبقات بينها صراع.
- ٢- مبدأ العداوة؛ فلا بد من فرض العداوة بين الطبقات حتى يقال إنها طبقات؛ وإلا فهي معدومة ولا وجود لها.
- ٣- المصالح المادية المشتركة؛ فهي التي توحد طبقة البروليتاريا ضد الرأسماليين المستبدين.

هذه هي أسس التركيب الطبقي، ويهدف الشيوعيون من وراء الصراع الطبقي إلى تحقيق هدفين؛ هما:

- أ - استيلاء البروليتاريا على الحكم بعد القضاء على الطبقة البرجوازية.
- ب- تكوين المجتمع اللاتبقي وتحقيق المساواة بين الجميع^(١).

(١٣) الإلحاد:

الأصل في معنى كلمة الإلحاد من الناحية اللغوية هو الميل والعدول عن الشيء^(٢)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ وذلك بالعدول عن أسمائه الحسنى، وتسميته بما لا يليق به كتسمية النصارى له أباً أو تعطيل أسمائه عن معانيها ووجد حقائقها^(٣).

(١) انظر: انيار الشيوعية: ص ١٧٩ - ١٨١.

(٢) انظر: الصحاح للجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - ط ٢ القاهرة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م: (لحد) - ٥٣٤/٢.

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة: ٩٨١/٢.

ويطلق الإلحاد - أيضاً - على من حاد عن الحق، ومال عن الفطرة القويمة وأنكر وجود الله تعالى، وكذب بالمعتقدات الدينية^(١).

ومن صور الإلحاد نسبة الآيات الكونية إلى غير خالقها - سبحانه وتعالى؛ كما فعل الدهريون والطبيعيون - قديماً، والماركسيون وكثير من الفلاسفة الغربيين - حديثاً^(٢).

وقد ظهر الإلحاد في العالم وانتشر في القرنين الأخيرين كرد فعل للفساد العقدي والأخلاقي للكنيسة الأوربية - كما سبق في الوحدة الأولى من القسم الأول، واعتنقه جهاراً - بعد الفيلسوف الألماني هيغل - عدد كبير من الفلاسفة الغربيين، وكان الذي تولى كبر الدعوة إلى الإلحاد ماركس الذي اعتبر الإله خرافة من ابتداع خيال الإنسان، والدين أفيون الشعوب الذي يخدر الناس ويحمل البروليتاريا على الخضوع لظلم الرأسماليين، وقد شايعه على ذلك أتباع كثيرون في آسيا وشرق أوروبا وبقاع متفرقة من العالم^(٣).

ويمثل الإلحاد اليوم ظاهرة عالمية؛ حيث يُنص عليه في كل الدساتير الأوروبية والأمريكية باسم "العلمانية" تارة أو "اللا دينية" تارة أخرى، وأصبح له دول وحكومات تدافع عنه، ودعاة يدعون إليه؛ كما في أوروبا الشرقية وروسيا والصين^(٤).

هذا.. وبعد أن تعرفنا على أهم المصطلحات التي يستخدمها الماركسيون الشيوعيون وأتباعهم ونقادهم؛ ننتقل الآن إلى دراسة أفكارهم ومعتقداتهم بشيء من التفصيل؛ وذلك بالبدء ببيان مصادرهم، والتعريف بأبرز أعلامهم؛ من خلال الوحدة التالية.

(١) انظر: عقائد وتيارات فكرية معاصرة - مجموعة من الأساتذة: ص ٢٨٨.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة: ٩٨١/٢.

(٣) انظر: عقائد وتيارات فكرية: ص ٢٨٨.

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة: ٩٨١/٢.

خلاصة الوحدة الأولى

نستخلص من هذه الوحدة ما يلي:

١- المصطلحات الماركسية تبدو في ظاهرها علمية؛ بينما هي في مضمونها تتسم بالتطرف والانحراف.

٢- الماركسية: نسبة إلى مؤسسها "كارل ماركس"، وهي تقوم على أساس الإلحاد وإنكار الأديان، والصراعات الدموية، ومصادرة ملكية الأفراد، والإباحية الجنسية.

٣- الشيوعية: هي شيوعية الأموال والنساء والممتلكات، وقد حولها لينين من المجال النظري إلى المجال العملي، وقد تنازل أصحابها عن بعض مبادئها تماشياً مع ظروف الحياة.

٤- الاشتراكية: هي الشيوعية؛ ولكن مع استخدام أسلوب الترغيب بدلاً من التهيب؛ ولها مفاهيم كثيرة في أوروبا، وأساسها الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي ترعّمه برنشتين، وقد أدخل تغييرات عديدة على الشيوعية الماركسية؛ مثل: إفساح المجال لجميع الطبقات في المجتمع، وحق الأفراد في ملكية المال والمساهمة في مشاريع الدولة، وعدم معاداة الدين مع إبعاده عن النظم السياسية والاقتصادية.

٥- اشتراكية ماركس هي التي سماها بالاشتراكية العلمية، وهي مذهبها الاقتصادي والسياسي الذي لا يقبل الرفض لأنه من الحتميات.

٦- الرأسمالية: نظام اقتصادي يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وأهم صورها: الرأسمالية التجارية، والصناعية.

٧- البلشفية: من "البلشفزم" بمعنى الكثرة، وهو الحزب الشيوعي الذي كان يرأسه لينين؛ لأنه حزب الأكثرية.

٨- البروليتاريا: هي الفئة الثورية للعمال، وهي التي يعتمد عليها ماركس ولينين في

- القيام بالثورة على البرجوازية، وإنشاء المجتمع اللاطقي.
- ٩- البرجوازية: كلمة فرنسية تطلق على طبقة التجار ورجال الأعمال وأصحاب المصانع.
- ١٠- الأيديولوجيا: تتكون من "أيديو": فكرة، و"لوجيا": علم، ومعناها: علم الفكرة، واستخدامها ماركس بمعنى: نسق فكري كامل من ناحية المعرفة والسياسة والدين وغير ذلك.
- ١١- الشيوعية الأولى هي: زعم الماركسيين أن الطور الأول للبشرية كان عبارة عن شيوعية كاملة في كل نواحي الحياة البشرية بما في ذلك الجنس، ويعملون جاهدين على إرجاع البشرية إلى هذه الشيوعية مرة أخرى؛ وهي ما يسمونه بالشيوعية الثانية.
- ١٢- الملكية الفردية: هي حق الأفراد في أن تكون لهم ممتلكات خاصة، لا يشاركهم فيها أحد، ولا ينبغي للدولة أن تنتزعها منهم.
- ١٣- الصراع الطبقي: هو الصراع الذي تحركه كوامن الحقد النفسي بين الطبقات المتباينة، وهو يستلزم وجود: الملكية الفردية، ومبدأ العداء، والمصالح المادية المشتركة.
- ١٤- الإلحاد: هو الميل عن الحق، ومنه العدول عن أسماء الله الحسنى، وتسميته - تعالى - بما لا يليق من أسماء، ومن صورته - أيضاً - نسبة خلق الكون إلى غير الله؛ لأنه عدول عن الحق، ثم أطلق - حديثاً - على كل من ينكر وجود الله تعالى، ويكذب بالغيبيات، وينفي الأديان - عموماً.
- ١٥- يمثل الإلحاد اليوم ظاهرة عالمية؛ حيث أصبح له دول وحكومات تدافع عنه، ودعاة يدعون إليه؛ كما في أوروبا الشرقية وروسيا والصين؛ وغيرها.

الاختبار البعدي للوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخطأ في كل

مما يلي:

- ١- تتسم المصطلحات الماركسية بالعلم ظاهراً وباطناً.
- ٢- إنكار الأديان واعتبارها خرافة من أساس الماركسية.
- ٣- الشيوعية تقوم على أفكار ماركس وحده من غير تطبيقات.
- ٤- أفرز التطبيق للشيوعية عدم السماح بالملكية الشخصية مطلقاً.
- ٥- لم يتنازل الاتحاد السوفيتي عن الشيوعية حتى الآن.
- ٦- الاشتراكية كلمة غامضة بلغت المائتين في معانيها في بريطانيا وحدها.
- ٧- عقد المؤتمر الشيوعي سنة ١٩١٠م.
- ٨- الاشتراكية العلمية يتزعمها برنشتين، والديمقراطية يتزعمها ماركس.
- ٩- الاشتراكية الإسلامية مصطلح صحيح شكلاً ومضموناً.
- ١٠- الرأسمالية - دائماً - تبحث عن الربح.
- ١١- لم يوافق ماركس على الرأسمالية وحاربها بقوة.
- ١٢- البلشفية كلمة روسية بمعنى القلة.
- ١٣- البلشفية عكس المنشفيكي.
- ١٤- البروليتاريا تعبير فرنسي، والبرجوازية روماني.
- ١٥- البروليتاريا هي الفئة الثورية للعمال.
- ١٦- الأيديولوجيا مصطلح لاتيني بمعنى علم الفكرة.

١٧- يرى ماركس أن الصراع الطبقي سببه الملكية الفردية.

١٨- الإلحاد هو دفن الميت في اللحد - داخل القبر.

١٩- الصين وروسيا تدافعان عن الإلحاد.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

(١) الشيوعية مذهب سياسي يشتمل على أفكار ماركس وتطبيقات:

أ - لينين فقط. ب- ستالين فقط.

ج- برنشتين فقط. د- لينين وستالين معاً.

(٢) سمحت الشيوعية بالانفتاح على الغرب في عهد:

أ - لينين. ب- استالين.

ج- ماركس. د- جورباتشوف.

(٣) اختلف لينين مع برنشتين سنة (١٩٠٣م) بسبب:

أ - رئاسة الحكم. ب- المحافظة على أخلاق ماركس الدموية.

ج- رئاسة الحزب الشيوعي. د- تحديد مفهوم الاشتراكية.

(٤) تحول الرأسمالية إلى اشتراكية - في رأي ماركس:

أ - أمر احتمالي. ب- أمر عقلي.

ج- أمر حتمي. د- أمر شرعي.

(٥) استعمل ماركس "الأيدولوجيا" بمعنى:

أ - علم الفكرة. ب- التحليل التجريبي للذهن البشري.

ج- ما كان في مقابل المحسوس. د- وجهة نظر شاملة لشئون الحياة.

ثالثاً: الأسئلة التحليلية:

- (١) ماذا تعرف عن: الملكية الفردية - الشيوعية الأولى - الصراع الطبقي؟
- (٢) وضح المقصود بالأيديولوجيا.
- (٣) ما الفرق بين الشيوعية والاشتراكية؟

رابعاً: سؤال المقال:

- اكتب ما تعرفه عن: الإلحاد قديماً وحديثاً.

النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الطالب: حتى تكتسب المزيد من المعلومات، وتحقق الأهداف التعليمية الواردة في هذه الوحدة؛ عليك أن تقوم بممارسة النشاط التعليمي التالي:
اكتب مقالاً تجمع فيها أبعاد موضوع: تطور مصطلح الاشتراكية في روسيا وأوروبا.



الوحدة الثانية

مصادر الماركسية الشيوعية وأعلامها ونشأتها

مبررات دراسة الوحدة الثانية:

قد يتصور البعض أن آراء ماركس الإلحادية، وأفكاره المادية؛ قد ابتكرها ابتكاراً؛ فهي من بنات أفكاره، وأن أعلام الفكر الماركسي قد أتوا بمنهج جديد، وقاموا بتطوير آراء زعيمهم؛ كما هو المعهود في كثير من الفلسفات والمذاهب الفكرية..

والحقيقة على خلاف ذلك؛ فإن ماركس لم يأت بجديد، ولكنه جمع أسوء ما عند القدماء والمحدثين من آراء لا توافق وحي السماء، ولا يتقبلها عقل بشري، ولا ترتضيها فطرة سليمة؛ ثم لفقها تلفيقاً، ثم دعا إليها كل إنسان ترك عقنه وراءه ونسي أنه إنسان!

وإذا كان ماركس لم يبتكر هذا الفكر المادي الإلحادي؛ فمن أين أتى به؟ وما هي مصادر فلسفته؟ ومن هم هؤلاء الأتباع الذين تخلوا عن عقولهم وإنسانيتهم وساروا وراءه؟ وما دورهم في نشر هذا الفكر الخبيث؟ وكيف نشأ وانتشر في كثير من بقاع الأرض؟

إننا عهدنا اليهود الملعونين الخبيثاء وراء كل فكر منحرف ونحلة ضالة مضلة؛ فهل لليهود دور في نشأة هذا الفكر الهدام، ومساندته، ونشره، والدعاية له؟ وكيف تم ذلك؟

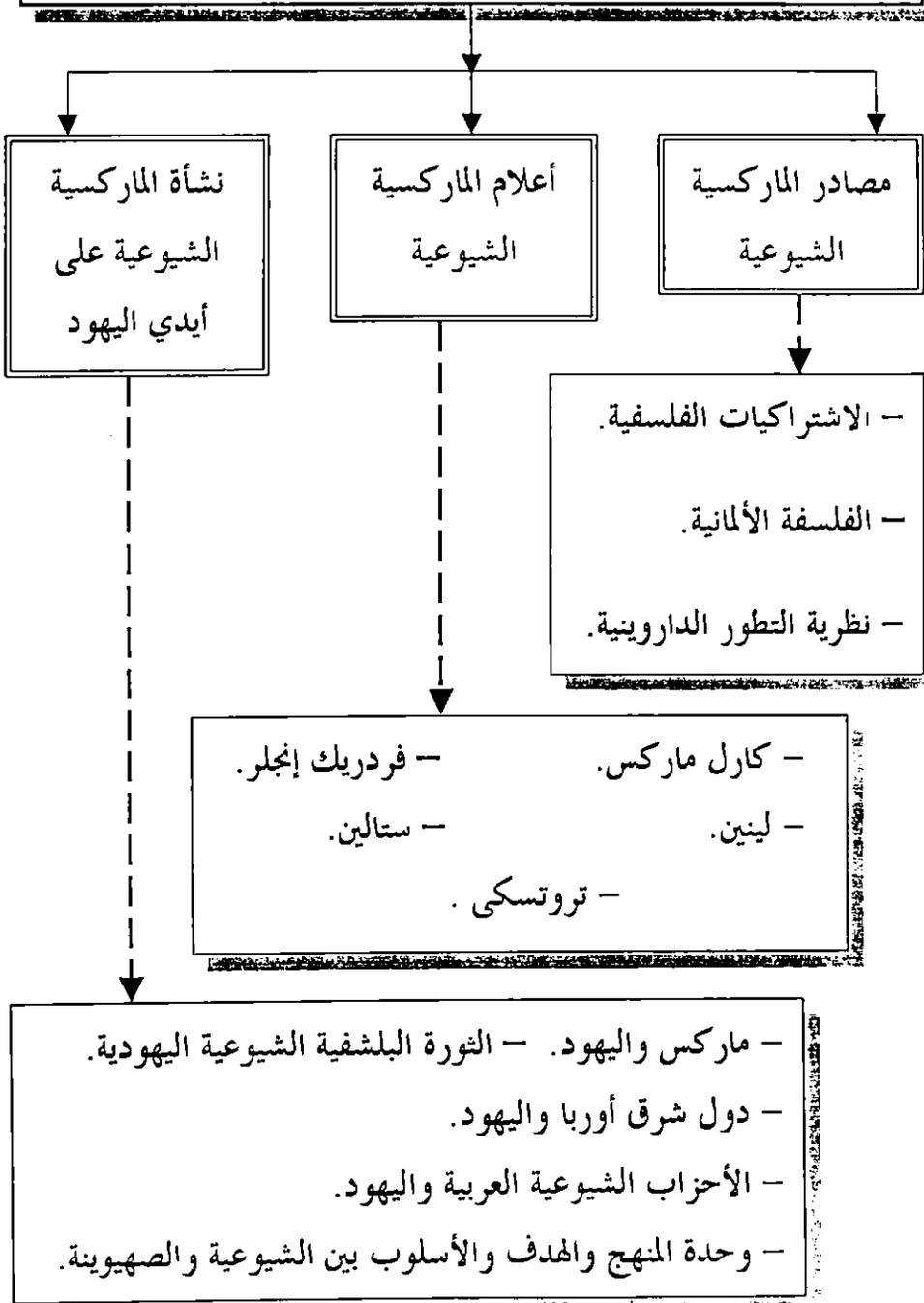
كل هذه أسئلة تحتاج إلى إجابات؛ فاحرص - عزيزي الدارس - على مذاكرة هذه الوحدة جيداً؛ حتى تظفر بإجابات هذه الأسئلة المهمة.

الأهداف التعليمية للوحدة الثانية:

عزيزي الدارس: يُرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تذكر مصادر الماركسية الشيوعية.
- ٢- تُعرِّف بأعلام الماركسية الشيوعية.
- ٣- تنبه على علاقة ماركس باليهود.
- ٤- تبين كيف أنشأ اليهود الشيوعية في روسيا.
- ٥- توضح دور اليهود في غرس الشيوعية في أوروبا والدول العربية.
- ٦- تبرهن على أن منهج وهدف وأسلوب الشيوعية والصهيونية واحد.

الوحدة الثانية: مصادر الماركسية الشيوعية وأعلامها ونشأتها



**مصادر الماركسية الشيوعية
وأعلامها ونشأتها**

**الوحدة
الثانية**

قبل التفصيل في بيان الماركسية والشيوعية أريد أن أنبه - أولاً - على أن الماركسية كان لها جذور وأصول سابقة عليها استطاع ماركس أن يستفيد منها في إقامة مذهبه.

وأن أعرف - ثانيًا - بأعلام الماركسية والشيوعية، ونشأتهم وحياتهم وثقافتهم وأخلاقهم؛ حتى نستطيع أن نربط بين أفكار المذهب وطبيعة شخصيات مؤسسيه. وأن أبين - ثالثًا - كيف نشأ هذا المذهب، ومن ساعد على انتشاره.. وبيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: مصادر الماركسية الشيوعية:

لقد أخذت الماركسية الشيوعية من فلسفات سابقة: يونانية وألمانية وفرنسية وإنجليزية؛ لذا يمكن إرجاع الماركسية إلى مصادر ثلاثة؛ هي:

(١) الاشتراكيات الفلسفية:

لقد حفل الفكر الفلسفي في مختلف عصوره بأفكار شيوعية، كما شاهد التاريخ بعض التطبيقات التي لم تدم طويلاً في اعتمادها على هذه الفلسفة؛ وأهم هذه الفلسفات والتطبيقات ما يلي:

أ - الشيوعية عند أفلاطون: لقد وضع أفلاطون - وهو من أحد أعلام الفلسفة اليونانية القديمة - نموذجاً فلسفياً لجمهورية خيالية؛ يعيش الناس فيها طبقاً لمبادئ الشيوعية في الملكية والنساء؛ فليس لفرد أن يملك شيئاً، وليس له أن يؤسس

أسرة مستقلة، أو يربي أولاده؛ بل ينبغي أن يُربي الأطفال في محاضن عامة بحيث يصبحوا ملكاً للدولة.

ويقال إن أفلاطون قد عدل عن نظريته هذه في أواخر عمره حيث سجل عودته في كتابه النواميس.

ب- شيوعية مزدك: في القرن الخامس الميلادي ظهرت في فارس حركة شيوعية قام بها مزدك؛ الذي ادعى أن الله جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد فيما بينهم؛ ولكن الناس تظالموا فيها، ومن هنا دعا إلى شيوعية المال والنساء حتى اختلطت الأنساب، وفسد المجتمع، وعمت الفوضى إلى أن قام عقلاء فارس بقتل مزدك والقضاء على فتنه.

ج- شيوعية القرامطة: في القرن الرابع الهجري أسس القرامطة - الخارجون عن الإسلام - دولة لهم على أساس من مبادئ الشيوعية في الإباحية الجنسية والتحلل الجنسي، وإلغاء العقائد والملكية الفردية.

د- شيوعية العصر الحديث: ظهر في العصر الحديث كثير من المؤلفات لفلاسفة ومفكرين تحدثوا عن إمكانية قيام مجتمعات تقوم على أسس اشتراكية شيوعية؛ مثل:

١- الكاتب الإنجليزي توماس مور (١٥١٦م)؛ الذي كتب قصته الخيالية "اليوتوبيا"؛ التي وصف فيها جزيرة خيالية؛ الأموال فيها شائعة، والإنتاج فيها يوزع بمعرفة الدولة، والناس سعداء في حياتهم.

٢- وعلى نفس المنهج كتب كامبالا (١٦٣٠م) "مدينة الشمس".

٣- المؤسس الفلسفي للشيوعية في العصر الحديث؛ وهو أوجست كونت؛ الذي اتجه في فلسفته إلى القضاء على النزعة الفردية الذاتية، وإقامة النزعة الإنسانية العامة التي تجعل الفرد ترساً في آلة المجتمع، كما اعتبر الملكية مجرد وظيفة لخدمة المجتمع لا لخدمة أصحاب الملكيات الخاصة.

٤- الفيلسوف الفرنسي لويس بلان؛ الذي قرر أن الحل الوحيد لمشكلة استقلال العمال هو أن تملك الدولة جميع الموارد فتوفر عملاً لكل مواطن، وتوزع الناتج على الجميع بالقسطاس.

٥- جان جاك روسو؛ الذي ذهب إلى أن الدين ونظم الأخلاق والمجتمع هي مجرد اختراع من ملاك الأرض الذين حدا بهم الجشع والحرص على ملكيتهم إلى أن يأتمروا بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ليخدعوا بها الناس، ويضللوا بها الفقراء.

٦- فولتير؛ الذي يزعم أن البشرية قد عاشت قرونًا متطاولة في حياة مادية خالصة؛ قوامها الحرث والنحت والبناء؛ قبل أن تفكر في قضايا الدين والروحانيات، وذهب إلى أن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاة ماكرون من الكهنة والقساوسة ليخدعوا بها الناس، ولقوا من يصدقهم وينخدع بهم.

- لا شك أن هذه المصادر هي أساس الماركسية، وسيوضح بعد قليل أن ماركس لم يزد في جوهر فلسفته الشيوعية عما قاله هؤلاء الفلاسفة؛ بدءاً من أفلاطون وانتهاءً بالفلاسفة المحدثين^(١).

(٣) الفلسفة الألمانية:

اتجهت الفلسفة الألمانية منذ "كانت" اتجاهًا مثاليًا، فقد ألح "كانت" على مبدأ فعالية الفكر وقدرته على صياغة وتركيب المادة التي تأتيه من الخارج؛ فكانت هذه المادة هي العائق الوحيد أمام المثالية المطلقة.

ثم جاء من بعد "كانت" "فختي" و"شليجر" و"هيجل" فوضعوا أسس المنهج الجدلي.

(١) انظر هذا العنصر في: الفهار الشيوعية أمام الإسلام: ص ٧٤-٧٦.

وقد كان لهيجل على وجه الخصوص أبعاد الأثر في نظرية ماركس؛ ذلك أن هيجل ادعى أن العقل هو الذي يخلق الأفكار والأشياء ويطور المجتمعات والوجود، فكل موجود عند هيجل هو فكرة في عقل الإنسان دون أن يكون له استقلال ذاتي خارج عن العقل، كما أنه ادعى أن العقل المطلق الذي أطلق عليه لفظ "الإله" قد اختلط بالطبيعة واتحد بها في عقل الإنسان وفكره الذي سماه "بالعقل المجرد"، وبذلك يقلل هيجل من قدسية الإله ويخلطه بالطبيعة في محاولة لتبرير عقيدته النصرانية في اتحاد الالهوت بالناسوت؛ إلا أنه - على كل حال - لم ينكر وجود الله؛ وإن أطلق عليه لفظ "المطلق".

وقد مهد هيجل الطريق أمام "فويرباخ" لكي يستتج من فلسفة هيجل أن الإنسان هو سيد نفسه وخالق فكرته عن الله؛ فليس للإله وجود مستقل عن الإنسان؛ بل هو فكرة في عقل الإنسان؛ وبالتالي فليس للإله وجود - أصلاً - بل هو خيال.

وقد تتلمذ ماركس على يد هيجل وفويرباخ، وأخذ من هيجل منهجه الجدلي بعد أن أفرغه من محتواه؛ فبدلاً من أن يجعل الجدل الفكري هو المحرك للتاريخ - كما فعل هيجل؛ ادعى أن الجدل يتحرك من خلال الجماهيرية والقوى الاقتصادية والمادة دون أن يكون للفكر أية فاعلية؛ فهيجل يعتبر الفكرة هي الأصل وسابقة في وجودها على المادة، وماركس يرى المادة هي الأصل وسابقة على الفكرة ومسيطرة عليها؛ ولذلك قال ماركس: "لا يختلف منهجي الجدلي في الأساس عن منهج هيجل فقط؛ بل هو نقيضه تماماً"^(١).

وأخذ ماركس من فويرباخ رأيه في أن الدين خرافة، والإله من ابتداء خيال

(١) مذاهب فكرية معاصرة - محمد قطب: ص ٢٦٨.

الإنسان؛ وخالف فويرباخ في دعواه لديانة جديدة مبنية على مثال الحب؛ بل رفض فكرة الدين - تماماً - وجعل أساس مذهبه المادة فقط^(١).

(٣) نظرية التطور الداروينية:

كانت العقبة الأساسية أمام حركة الإلحاد في أوروبا هي الإجابة عن هذا السؤال: إذا لم يكن الله موجوداً فكيف خلق العالم؟

وقد وجد داروين الإجابة على هذا السؤال من خلال الفلسفة اليونانية القديمة حيث قال انكسمنس بنظرية التطور والتوالد الذاتي؛ فأخذ داروين النظرية وفصلها في كتابه "أصل الأنواع" سنة (١٨٥٩م)، وملخص نظريته: أن تطور الحياة في الكائنات العضوية بدأ من السهولة إلى التعقيد، ومن الأحط إلى الأرقى، وأن كل مرحلة من مراحل التطور أعقبت التي قبلها بطريقة حتمية، وأن الطبيعة هي التي وهبت عوامل البقاء والنمو للكائنات، وأن أصل الحياة خلية كانت في مستنقع قبل ملايين السنين، ثم تطورت ومرت بمراحل حتى وصلت إلى مرحلة القرد، ثم انتهت بمرحلة الإنسان.

ولقد اطلع ماركس على كتاب داروين وأعجبه، واستمد منه فكرة مادة الإنسان، وجعل مطلبه في الحياة ينحصر في الحصول على الغذاء والسكن والجنس مهماً بذلك جميع العوامل الروحية لديه.

كما استعان ماركس بنظرية داروين في صياغة فلسفته في التغيير والتحول من خلال ظروف البيئة وضغوطها؛ إلا أنه زاد على داروين فجعل الإنسان مادة؛ ولا شك أن المادة أحط درجة من الحيوان^(٢).

(١) انظر هذا العنصر في: الميار الشيوعية: ص ٧٦، ٧٧، التراث الغامض ماركس والماركسيون - تأليف سدي هوك - ترجمة سيد كامل زهران - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦، ص ١٩ - ٢٣، السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية - د. مصطفى حلمي: ص ٢٣ - ٢٥، عقائد وتيارات فكرية معاصرة: ٢٩٣ - ٢٩٨، مذاهب فكرية معاصرة: ص ٢٦٨.

(٢) انظر هذا العنصر في: الميار الشيوعية: ص ٧٧، مذاهب فكرية معاصرة: ص ٣١٨، ٣١٩، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: ٩٣٥/٢ - ٩٤١.

وعلى كلٍ.. فقد تبين لنا أن ماركس كان ملفقاً أكثر منه فيلسوفاً، وأن كل عنصر من عناصر نظريته يمكن رده إلى مصدره الأساسي.

ثانياً: أعلام الماركسية الشيوعية:

أبرز مؤسسي الماركسية الشيوعية نظرياً وعملياً خمسة؛ هم:

(١) كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م):

ولد كارل في مدينة رينش بمقاطعة ترير بألمانيا، وينتمي بوالديه لسلسلة طويلة من حاخامات اليهود؛ فقد كان أبوه مردخاي ماركس أحد الحاخامات اليهود، ثم تحول إلى النصرانية؛ لأن النصارى كانوا يعزلون اليهود في حارات خاصة بهم، وينظرون إليهم نظرة الازدراء والكرهية؛ مما حمله على اعتناق النصرانية تخلصاً من المعاملة السيئة التي كان يلقاها اليهود في أوروبا، وهروباً من الفقر الذي أحدق به.

ولا يبعد - أيضاً - أن يكون دخول والد ماركس في النصرانية من أجل المشاركة في تنفيذ الخطة الصهيونية الكبرى التي تستهدف هدم الديانات الأخرى من داخلها، والقضاء عليها تماماً.

وعلى كلٍ.. فقد نشأ كارل نصارياً، ولم يبلغ سن السادسة حتى كان أبوه قد نصره وعمده، ولقد عانى من الفقر الشديد طفلاً وشاباً وزوجاً؛ حتى كانت زوجته تستجدي المساعدة من أصدقائه؛ مما عمق في نفسه رواسب الحقد اليهودي على الأغنياء، وكان - دائماً - مبتسماً حقوداً؛ ومن هنا تولدت أفكاره الحاقدة على الأغنياء.

ولقد ساعده صديقه فريدريك إنجلز بماله طيلة حياته، واجتهد في نشر كتبه وترويج أفكاره في حياته وبعد مماته.

وقد تولدت عند ماركس النزعة الإلحادية والمادية الموروثة عن أجداده اليهود

الذين تصوروا الإله مادة وحسداً؛ لذا كان معظم رفقائه من اليهود الذين يعملون في الأدب والسياسة والإعلام والمصارف وغير ذلك.

ورادت النزعة الإلحادية المادية عنده عندما تتلمذ على يد هيغل وفويرباخ، وتعمق في دراسة الفلسفة اليونانية في جامعة بون ثم جامعة برلين؛ حتى أنجز رسالته للدكتوراه سنة (١٨٤١م) في موضوع: "الخلاف في فلسفة الطبيعة بين ديمقراطيس وأبيقور".

وكان ماركس ينادي بتحقيق عالم خيالي تسود فيه العدالة والمساواة والحرية والسعادة؛ بينما كانت نفسيته من الداخل مشربة بالحققد على المجتمع والشعور بالظلم والتعاسة.

وقد ألف ماركس عدداً من المؤلفات التي بلور فيها نظريته الشيوعية؛ منها: "العائلة المقدسة" سنة (١٨٤٤م)، و"المثالية الألمانية" سنة (١٨٤٦م)، و"نقد الفلسفة" سنة (١٨٤٧م)، و"البيان الشيوعي" سنة (١٨٤٨م)، و"نقد الاقتصاد السياسي" سنة (١٨٥٩م)، ثم كتاب "رأس المال" الذي بدأه سنة (١٨٦٧م) وأتمه صديقه إنجلز.

توفي ماركس من غير أن يحظ بالديوع والشهرة؛ بل لم يهتم بأعماله وفلسفته إلا عدد محدود من خارج دائرة أتباعه وأصدقائه المقربين^(١).

(٣) فرديريك إنجلز (١٨٢٠ - ١٨٩٥):

ولد فرديريك إنجلز في ألمانيا، ونشأ حول كتابات هيغل مثل صديقه ماركس؛

(١) انظر عنه: الهيار الشيوعية: ص ٤٣ - ٤٦، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - بوخينسكي: ص ١١٨، ١١٩، التراث الغامض ماركس والماركسيون: ص ١٧ - ١٩، الشيوعية والإنسانية - الأستاذ عباس العقاد - ط دار الاعتصام: ص ٢٥ - ٥٠، مقالات في الإسلام والشيوعية - للدكتور عبد الحليم محمود - ط دار المعارف. ص ٣٢ - ٣٦، الموسوعة الميسرة: ٩٢٩/٢

الذي التقى به سنة (١٨٤٤م)، وأسما سويًا تنظيمًا سرّيًا باسم "عصبة الشيوعيين"، ثم أصدر البيان الشيوعي سنة (١٨٤٨م)، وكان إنجلز تابعًا لماركس في كل أفكاره، ومتعاونًا معه في كل أسس مذهبه؛ وقد ذكر بوخينسكي أن ماركس هو الواضع للمادية التاريخية "إذ أنه كان من المتخصصين في علوم الاقتصاد السياسي والاجتماع والفلسفة الاجتماعية"، وأن إنجلز هو "الذي وضع الأسس الفلسفية العامة للمادية الجدلية؛ التي تركز على الديالكتيك الميجلي من ناحية، وترتكز على المادية التي عرفها القرن التاسع عشر من ناحية أخرى"^(١).

وعلى كل.. فقد كان إنجلز هو الشخصية الثانية في المدرسة الماركسية الشيوعية، وقد ساعد ماركس في نشر المذهب، وكان من أسرة غنية؛ مما جعل ماركس يعتمد عليه في النفقة؛ حتى ظل إنجلز ينفق عليه هو وعائلته حتى مات. من مؤلفات إنجلز: "أصل الأسرة"، "الثانية في الطبيعة"، "الاشتراكية الخرافية والاشتراكية العلمية"، الجزء الثاني والثالث من كتاب "رأس المال" الذي كتب منه ماركس الجزء الأول قبل أن يموت^(٢).

(٣) لينين (١٨٧٠-١٩٢٤م):

واسمه الحقيقي: فلاديمير أليتش بوليانوف، وتنحدر أمه من سلالة يهودية، ولد سنة (١٨٧٠م)، كان قاسي القلب، مستبد الرأي، حاقداً على البشرية. يمثل لينين الشخصية الحاسمة في تاريخ الشيوعية، وقد انتقل بها من مجال النظر إلى مجال التطبيق العملي؛ حين ساعدته الحركة الصهيونية على القيام بالثورة البلشفية في

(١) تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - بوخينسكي: ص ١١٩.

(٢) انظر عنه: انصار الشيوعية: ص ٤٣ - ٤٦، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - بوخينسكي: ص ١١٨، ١١٩، التراث العامض ماركس وماركسيون: ص ١٧-١٩، مقالات في الإسلام والشيوعية - للدكتور عبد الحليم محمود: ص ٣٢ - ٣٦، الموسوعة الميسرة: ٩٢٩/٢.

روسيا سنة (١٩١٧م)؛ فقام بتطبيق أفكار ماركس مع زملائه ستالين وتروتسكي وغيرهم من اليهود الروس.

نشر لينين الشيوعية بشق الأساليب الخسيسة من النفاق والمداينة، والغزو الفكري، والانقلاب والثورات، والغزو العسكري.

وكانت له كتب كثيرة وخطب ونشرات في نشر الشيوعية وترويج أفكار ماركس؛ أهمها: مجموعة المؤلفات الكبرى^(١).

(٤) سنالين (١٨٧٩ - ١٩٥٤):

اسمه الحقيقي: جوزيف فاديونوفتش، وهو يهودي الأصل من يهود الروس، كان سكرتيراً للحزب الشيوعي ثم رئيساً بعد لينين، وقد اشتهر بالقسوة والجبروت والطغيان وشدة الإصرار على رأيه؛ يعتمد في تصفية خصومه على القتل والنفي، وكان مستعداً للتضحية بالشعب كله في سبيل شخصه، وقد ناقشته زوجته مرة فقتلها!

وهو من الطواغيت الثلاثة الذين يتردد ذكرهم في شعار الروس الملحدين؛ وهو: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين، الملكية الخاصة^(٢).

(٥) تروتسكي (١٨٧٩ - ١٩٤٠م):

اسمه الحقيقي: بروتشائين، وهو يهودي من يهود الروس، كانت له مكانة كبيرة في الحزب الشيوعي، وقد تولى الشؤون الخارجية بعد الثورة البلشفية، ثم أسندت إليه شؤون الحزب، ثم فصله ستالين من الحزب بتهمة العمل ضد مصلحة الحزب لتخلو له الزعامة، ثم دبر ستالين لاغتياله والخلاص منه نهائياً^(٣).

(١) انظر عنه: أهيار الشيوعية: ص٤٦، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا: ص١١٩، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: ٩٢٩/٢.

(٢) انظر عنه: الموسوعة الميسرة: ٩٣٠/٢.

(٣) انظر عنه: المرجع السابق.

ثالثاً: نشأة الماركسية الشيوعية على أيدي اليهود:

نخض كثير من الباحثين حين يعتبرون أن نشأة الماركسية الشيوعية كانت وليدة فلسفة ماركس وأفكاره الخاصة؛ التي أسهمت في ظهورها ظروف العمال في ظل الاقتصاد الرأسمالي المستغل؛ بالإضافة إلى فساد الكنيسة؛ مع ما كان يعاني منه ماركس من الفقر وشظف العيش وغير ذلك من الأسباب الهامشية.

ولكن الحقيقة التي ينبغي التنبيه عليها هي أن نشأة الماركسية الشيوعية ترجع إلى تخطيط محكم من الحركة الصهيونية الكبرى؛ التي فكرت ودبرت وقدرت لماركس وأتباعه من بعده وللحركة الشيوعية كيفية النشأة، وأسبغ العمل، ومنهج الانتشار؛ ولولا التخطيط السري لما كان للشيوعية كيان ولا وجود. وليان هذه الحقيقة أذكر الوقائع التالية:

(١) ماركس واليهود:

سبق أن ذكرتُ أن ماركس يهودي الأصل، وأنه من سلالة طويلة من حاخامات اليهود، وتنصر والده خصيصاً ليساهم بدوره في تقويض دعائم النصرانية وهدمها من داخلها - على الاحتمال الراجح.

ولقد تزعم ماركس فريقاً من يهود ألمانيا عرفوا بالشيوعيين، وبدأت بهم الشيوعية؛ وهؤلاء لليهود هم الذين أقاموا ماركس ورتبوا لنجاحه^(١).

وقد صرح ماركس بأنه اتصل بفيلسوف الصهيونية وواضع أساسها النظري؛ وهو: موشيه هيس أستاذ هرتزل الزعيم الصهيوني الشهير^(٢).

ورغم أن اليهود ساندوا ماركس في إقامة مذهبه الذي يخدم في مضمونه أهداف

(١) انظر: مقالات في الإسلام والشيوعية - للدكتور عبد الحليم محمود: ص ٤٠، ٤١.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة: ٩٣٢/٢.

الصهيونية - كما سيتضح عند عرض عناصر الفكر الماركسي - فإنه - كما يقول سدي هوك - "لم يحظَ بالذيع والشهرة إلا مؤخرًا؛ فعندما مات في (١٨٨٣م) لم يهتم به وبدوره وعمله إلا عدد محدود من خارج دائرة أتباعه وأنصاره السياسيين"^(١). ولكي يحظى فكر ماركس بالذيع والانتشار اجتهد اليهود في الدعاية له بالكتب والصحف وشتى وسائل الإعلام التي سيطروا عليها في أوروبا وروسيا وأمريكا^(٢).

ولذا يقول حكماء صهيون في بروتوكولاتهم بصراحة لا يخالجه شك: "لاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيثشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاجتاهات هذه العلوم في الفكر الأمي سيكون واضحًا لنا على التأكيد"^(٣). ونجاح ماركس الذي رتب له اليهود - كما هو مذكور في النص السابق - قد قامت به فرقة يهودية، أطلق عليها: "فرقة تحرير العمل"؛ كانت مهمتها نشر أفكار ماركس وآرائه؛ وذلك سنة (١٨٨٣م) بعد موته مباشرة^(٤). وفي عام (١٨٩٧م) عقدت المنظمات الصهيونية مؤتمر "بال" بزعمامة تيودور هرتزل؛ وكان من أهم مقررات هذا المؤتمر "أنه لا بد من إقامة الثورة البلشفية في روسيا"^(٥).

(٣) الثورة البلشفية الشيوعية اليهودية:

كانت روسيا القيصرية تدين بالنصرانية، وتعتنق المذهب الأرثوذكسي، وكان

(١) التراث الغامض ماركس والماركسيون - سدي هوك: ص ١٨.

(٢) انظر: اخبار الشيوعية: ص ٥٨، مقالات في الإسلام والشيوعية: ص ٤١.

(٣) الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون - ترجمة محمد خليفة التونسي - ط (٢) دار التراث - القاهرة: البروتوكول الثاني: ص ١٦٠، ١٦١.

(٤) انظر: اخبار الشيوعية: ص ٥٨، وانظر: مذهب ذوي العاهات - الأستاذ عباس العقاد: ص ٤٧-٤٩.

(٥) اخبار الشيوعية: ص ٥٨.

اليهود قد نأخوا في نشر العلمانية في غرب أوروبا حتى أضعفوا من أثر الكنيسة الكاثوليكية؛ ولم يبق أمامهم إلا تحطيم الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا وشرق أوروبا. وكان في روسيا أعداد كثيرة من اليهود الروس الذين قاموا بمحاولات عديدة لقتل قيصر روسيا؛ بل إن بعض الباحثين يرى أن الروس أصلهم اليهود السلاف الذين هاجروا إلى بلاد ما وراء النهر بعد تشردهم من فلسطين. ونظرًا لمحاولات اليهود المستمرة في السيطرة على مقاليد الأمور في روسيا، ومؤامرتهم الدينية لقتل القيصر الروسي؛ تكونت بين الإمبراطورية القيصرية واليهود عداوة؛ حمت اليهود على التصميم على إسقاط القيصرية حتى تخضع روسيا لسيطرتهم كما خضعت أوروبا.

ومن هنا حرص اليهود على إشاعة الفكر الإلحادي الذي تبناه ماركس في روسيا وشرق أوروبا، وقام اليهود الروس - الذين تظاهروا بأنهم من أبناء روسيا العامنين على ماضلة نظم الرجوازية والرأسمالية وملوك القيصرية الطغاة، ومناصرة الروليتاريا الضعفاء المقهورين - بثورة عارمة سنة (١٩١٧م) أحدثت الفظائع والشنائع من تعذيب الناس ودفنهم وهم أحياء، وقتل الشيوخ والأطفال وإبادة الأساقفة والكهان.

والدليل على أن الذين قاموا بالثورة البلشفية من اليهود وصنائعهم؛ ما يلي:

- ١- قائد الثورة لينين، ومعاونوه ستالين وتروتسكي؛ يهود ومن أصول يهودية.
- ٢- أول حكومة بعد الثورة كانت مكونة من (٢٢) وزيراً منهم (١٧) وزيراً يهودياً.
- ٣- أول مجلس شيوعي كان عدد أعضائه (٥٤٧) منهم (٤٤٧) من غلاة اليهود.
- ٤- أول من تولى رئاسة الدولة في روسيا بعد الثورة هو "كامنيف" يهودي.
- ٥- بعد سنة واحدة من قيام الثورة الشيوعية في روسيا كان تسلط اليهود على الدوائر الرسمية تسلطاً ساحقاً وصل إلى ٨٠% في الوظائف الحساسة.

- ٦- أصدر زعماء الثورة البلشفية في أول أسبوع بعد الثورة قراراً ذا شقين بحق اليهود:
- أ - يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه القانون.
- ب- الاعتراف بحق اليهود في إنشاء وطن قومي في فلسطين.
- وهذا القرار يدل على أن زعماء الثورة البلشفية لم يستطيعوا إخفاء تواطئهم مع اليهود؛ بل يؤكد أنهم هم يهود؛ حيث وعدوا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين قبل وعد بلفور بثلاثة أسابيع.
- ٧- التمهيد العملي لإقامة دولة إسرائيل في فلسطين؛ فقد أرسل لينين اثنين من اليهود الشيوعيين لتكوين الحزب الماركسي في فلسطين سنة (١٩١٩م)، ثم أرسل سنة (١٩٢٠م) "فلاديمير جابوتنسكي" اليهودي الشيوعي لتدريب الشباب اليهودي على حرب العصابات ضد العرب؛ كما أنه خصص مليون ليرة ذهبية لشراء أرض لليهود في فلسطين.
- ٨- قامت الثورة البلشفية في روسيا بأموال يهودية؛ حيث ساهمت المصارف اليهودية بمبلغ ٢٥ مليون جنيه استرليني.
- ٩- كشفت الوثائق عن اجتماع سري عقد بين لينين وحاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية سنة (١٩١٦م)؛ وتم في هذا الاجتماع التعاون على ترتيب الثورة البلشفية ونجاحها في مقابل رفع اليهود الروس إلى أسمى المراتب، وإقامة دولة إسرائيل في فلسطين.
- ١٠- جاء في مجلة أكاسيا الماسونية سنة (١٩٠٣م): "الماسونية التي هيأت الجو للثورة الفرنسية عام (١٧٨٩م)؛ عليها أن تهيأ للثورة الماركسية"، ومعلوم أن الماسونية تنظم صهيوني سري؛ هدفه إخضاع العالم لسيطرة اليهود^(١).

(١) انظر هذا العنصر في: انبياء الشيوعية: ص ٥٨ - ٦٤، الخطر اليهودي: ص ٨٩، ١٤٥، الموسوعة الميسرة: ٢/

(٣) دول شرق أوروبا واليهود:

لليهود الكلمة النافذة في مجالس دول شرق أوروبا الاستشارية والتنفيذية؛ فاليهود في حكومات رومانيا، وبلغاريا، ويوغسلافيا، والمجر، وبولندا، وتشيكوسلوفاكيا يحتلون أرفع المناصب، وهذه الدول هي التي أمدت إسرائيل بالأسلحة في حربها مع المسلمين في فلسطين سنة (١٩٤٨م).

وقد اعترف الرئيس الأمريكي روزفلت بأن اليهود هم الذين أنشأوا الشيوعية الاشتراكية في دول شرق أوروبا؛ فقال: "إن الاشتراكية أسس قواعدها فلاسفة من اليهود الأوربيين"^(١).

(٤) الأحزاب الشيوعية العربية واليهود:

عمل اليهود على نشر الفكر الشيوعي في البلاد العربية؛ ففي مصر أسس الحزب الشيوعي سنة (١٩٢١م) على يد يهودي يدعي "جوزيف روزنبرغ"، ثم تولاه بعد ذلك "هنري كوريل" اليهودي - أيضاً^(٢).

وقامت الأحزاب الشيوعية في سوريا والعراق ولبنان وفلسطين بواسطة اليهود، ويعترف الرفيق رائد - وهو أحد أقطاب الشيوعية في العراق - بأن وصية الحزب الشيوعي الإسرائيلي الأولى للأحزاب الشيوعية الأخرى هي خدمة اليهود وإعانتهم على إقامة دولتهم في فلسطين، والعمل على تفريق العرب والمسلمين.

وقد وصلت المعونات التي تبذلها إسرائيل للحزب الشيوعي العراقي أكثر من صف مليون دينار، والمخصص الرسمي من إسرائيل للشيوعيين في العراق هو ٣٠ ألف

(١) اخبار الشيوعية: ص ٦٢؛ وانظر: الخطر اليهودي: ص ٩٠.

(٢) انظر: مقالات في الإسلام والشيوعية: ص ٣٧ - ٣٩؛ وفيه أسماء عملاء آخرين للشيوعية من اليهود في مصر وغيرها.

(٥) مساندة روسيا لإسرائيل:

- لا يخفى على أحد أن اليهود الروس هم الذين يكونون الكيان الإسرائيلي في فلسطين؛ كما أن معظم جيل الرواد الذين شاركوا في تأسيس إسرائيل كانوا من اليهود الروس؛ وعلى رأسهم حايم وايزمان أول رئيس إسرائيلي في فلسطين.
- وبعد هزيمة ألمانيا على يد روسيا في الحرب العالمية الثانية؛ فرض ستالين على ألمانيا أن تدفع تعويضاً مالياً قدره (خمسة مليارات من الدولارات) توزع على اليهود من أجل تمكينهم من تحقيق كيانهم في فلسطين.
- وظلت روسيا مساندة لإسرائيل من غير خفاء أو استخفاء؛ ففي سنة (١٩٦٤م) صرح الملحق العسكري السوفيتي في باريس بأن ما يقدم من سلاح لعرب هو فقط لأغراض دفاعية، ولا يمكن أن تسمح روسيا باستعماله ضد إسرائيل؛ كما صرح بأن روسيا ستساند إسرائيل إلى الأبد.
- وقد ساهم الاتحاد السوفيتي في البحوث الذرية التي جرت في إسرائيل، ووضع تحت تصرفها عالم الذرة اليهودي الدكتور "لاندو" وغيره من العلماء السوفيت.
- وأخيراً التضليل السياسي الذي ساعد إسرائيل على انتصارها على العرب؛ حيث وقع العرب فريسة تحت خداع الروس الشيوعيين^(٢).

(٦) وحدة المنهج والهدف والأسلوب بين الشيوعية

والصهيونية:

اتفاق الشيوعية والصهيونية في وحدة المنهج والهدف والأسلوب من أكبر الأدلة

(١) انظر: انصار الشيوعية: ص ٦٢.

(٢) انظر: السابق: ٦٨، ٦٩.

على أن المنشئ الحقيقي للشيوعية هم اليهود؛ وبيان ذلك على النحو التالي:

أ - وحدة المنهج: الشيوعية نظرية مادية بحتة، واليهودية غارقة في عبادة المادة؛ بل إنهم لا يؤمنون إلا بإله مادي مجسد كالعجل - قديماً، والإنسان القاصر - كما في التوراة.

ب - وحدة الهدف: الشيوعية غرضها: هدم الأديان، وإشاعة الإلحاد، ونشر الفوضى الجنسية، وإغراق الناس في الشهوات، ونزع الملكية الفردية، وتخطيم الإنسان من داخله؛ حتى يعيش في الدنيا بلا هدف، ويصبح كالبهيمة يوجهه اليهود حيث يريدون؛ ومن ثم تكون لهم السيطرة على العالم.

وكذلك الصهيونية العالمية؛ تسعى في نشر المذاهب الهدامة، وإشاعة الإلحاد، وإغراق العالم في الشهوات والجنس، وتضليل الناس بأجهزة الإعلام التي يمتلكونها، وهدم الأديان، وإبعادهم عن الغيبات والعقائد التي من أجلها يعيشون؛ حتى يتسنى لهم السيطرة على العالم، وجعل الناس خدماً لشعب الله المختار.

ج - وحدة الأسلوب: كل من الشيوعية والصهيونية تتخذ أساليب واحدة؛ مثل: الإيمان بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، وإعلان شعارات براقية مضللة للناس: كالديمقراطية، والاشتراكية، والمساواة، والعدالة؛ ولكنها حين تصل إلى الكرسي تسحق كل من يقف أمامها..

فالشيوعية تعتمد على الحروب والثورات الدموية - عند القدرة، وتستخدم النفاق والخداع والأساليب المتلوية - عند الضعف، واليهود وراء كل الحروب الحديثة وكل الثورات الدموية التي قامت في العالم، والأماكن التي لا نفوذ لهم فيها يتخذون أسلوب النفاق والخداع إلى أن يصلوا إلى الكرسي^(١)؛ يقول أحد زعماء اليهود؛ وهو

(١) انظر ما سبق في: الهيار الشيوعية: ص ٦٤، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية: ص ٢٥٠ - ٢٧٠، مذنب ذوي العاهات: ص ٤٩-٥٠.

الدكتور أوسكار ليفي: "نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه، ومحركي الفتن فيه وجلّاديه"^(١).

- ومن هنا جاءت تقارير بعض الرؤساء والكتاب البارزين الذين يعلمون من بواطن الأمور ما لا يعلمه عوام الشعوب؛ فقد صرح الملك فيصل مرات عديدة بأن الشيوعية وليدة الصهيونية، وقال مرة: "عندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين؛ ولكن الحقيقة أن الصهيونية ولدت الشيوعية، وهدفها الأساسي هو التخريب والتحطيم، ولسوء الحظ يجدون الفرصة في أكثر من بلد في العالم لتخريبه".

- ويقول الكاتب "فرانك بریتون" في كتابه "الصهيونية والشيوعية": "الصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحد، وغايتهما واحدة، وما اختلافهما الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح في السعي إلى الغاية الواحدة؛ حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم".

- ويقول "روبرت وليامز" صاحب كتاب "اليهودي في أمريكا": "إن الصهيونية ليست شقيقة الشيوعية فحسب؛ بل هي أمها، وكل من درس تاريخ الشيوعية يعلم أن الذين كونوها وساروا بها إلى وضعها الراهن أغلبهم - خلال تاريخها - يهود متعصبون لليهودية؛ إنهم صهيونيون".

- ويقول "فرانك كريتون": "ليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هي القومية اليهودية"^(٢).

هذا.. وبعد أن وضع لنا المخطط الصهيوني الشيوعي؛ نتقل - الآن - إلى دراسة لب الفلسفة الماركسية؛ وهو: "الديالكتيك" أو المادية الجدلية التاريخية؛ وذلك من خلال عناصر الوحدة التالية.

(١) الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون: ص ٤، وانظر - أيضاً: ص ٨٥، ٨٦.

(٢) انظر هذه الأقوال وغيرها في: مقالات في الإسلام والشيوعية - للدكتور عبد الحليم عمود: ص ٤٠، ٤٢.

خلاصة الوحدة الثانية

نستخلص من هذه الوحدة ما يلي:

١- توجد اشتراكات كثيرة في القدم والحديث استقى منها ماركس مذهبه؛ مثل: شيوعية أفلاطون، وشيوعية مزدك، وشيوعية القرامطة، وشيوعية العصر الحديث على يد فلاسفة كثيرين؛ أبرزهم: توماس مور، وكامبانلا، وأوجست كونت، ولويس بلان، وجان جاك روسو، وفولتير.

٢- إن جوهر فلسفة ماركس الشيوعية لم يزد عما قاله هؤلاء الفلاسفة القدامى مثل أفلاطون، والمحدثون مثل كونت وفولتير.

٣- استفاد ماركس من الفلسفة الألمانية، واستقى منهجه الجدلي من هيغل بعد أن فرغ منهج هيغل الجدلي من مضمونه، ثم أخذ من فويرباخ رأيه في أن الدين خرافة.

٤- أخذ ماركس من داروين فكرة تطور خلق الإنسان، وأنه تكون نتيجة سلسلة من التطورات والتغيرات التي هي من آثار الطبيعة؛ إلا أن داروين جعل أصل الإنسان خلية وأن أحد مراحلها القرد؛ في حين أن ماركس جعل الإنسان مادة في أصله وتكوينه؛ ولا شك أن المادة أحط درجة من الحيوان.

٥- ولد كارل ماركس سنة (١٨١٨م) من أصل يهودي، ومات سنة (١٨٨٣م) بعد تعمقه في الفلسفة اليونانية والألمانية، وتأليفه مجموعة من الكتب التي تروج الفكر الشيوعي الإلحادي.

٦- فردريك إنجلز؛ هو الرجل الثاني في المدرسة الماركسية، وهو الذي ساند ماركس بماله وجهده، ولد سنة (١٨٢٠م)، ومات سنة (١٨٤٤م).

- ٧- لينين؛ هو الذي قام بالثورة البلشفية في روسيا سنة (١٩١٧م)، وهو الذي حول فلسفة ماركس من النظر إلى التطبيق، وقد ولد سنة (١٨٧٠م)، ومات سنة (١٩٢٤م).
- ٨- ستالين؛ كان يهودي الأصل، خلف لينين في رئاسة الحزب الشيوعي ونشر الشيوعية بالقوة والعنف، ولد سنة (١٨٧٩م)، ومات سنة (١٩٥٤).
- ٩- تروتسكي؛ يهودي له مكانة كبيرة في الحزب الشيوعي، ولد سنة (١٨٧٩م)، ودبر ستالين لاغتياله سنة (١٩٤٠م).
- ١٠- يخطئ كثير من الباحثين حين يعتبرون أن مذهب ماركس - كباقي المذاهب - كان نتاج فكر صاحبه، وأسهمت في نشأته ظروف طبيعية.
- ١١- الصحيح أن اليهود هم الذين ساندوا ماركس، ونشروا مذهبه من بعده.
- ١٢- ماركس يهودي الأصل والفكر، وأعوانه كانوا من اليهود، وقد اتصل بموشيه هيس أحد زعماء الصهيونية؛ مما يؤكد أنه كان يتحرك وفق مخطط الصهيونية العالمية.
- ١٣- أحد قرارات مؤتمر "بال" سنة (١٨٩٧م) الذي عقده اليهود: هو أنه لا بد من إقامة الثورة البلشفية في روسيا.
- ١٤- قواد الثورة البلشفية وزعماء الحزب الشيوعي في روسيا كلهم يهود أو من صنائعهم.
- ١٥- أصدر الحزب الشيوعي بعد الثورة البلشفية مباشرة قراراً يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي الذي يعاقب عليه القانون، ويعترف بحق اليهود في إقامة دولة في فلسطين.
- ١٦- ساهم رؤساء الحزب الشيوعي في إقامة دولة إسرائيل في فلسطين بالمال والعلماء العسكريين والانتماء السياسي.

- ١٧- قامت الثورة البلشفية في روسيا بأموال يهودية، وبدافع من الماسونية الصهيونية.
- ١٨- دول شرق أوروبا الشيوعية يتسلط عليها اليهود؛ وهي التي أمدت إسرائيل بالأسلحة في حربها مع المسلمين سنة (١٩٤٨م).
- ١٩- اليهود هم الذين كونوا الأحزاب الشيوعية في مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين؛ ومدوها بالمال، وحرصوا على رعايتها.
- ٢٠- قامت روسيا بمساندة إسرائيل قبل احتلالها لفلسطين وبعده، وساهمت مساهمة كبيرة في تكوين الكيان الإسرائيلي؛ مما يدل على أن الشيوعية والصهيونية اسمان لمسمى واحد.
- ٢١- منهج المادية البحتة متواجد في الشيوعية والصهيونية على حد سواء؛ كما أن هدفهما واحد وهو السيطرة على العالم، وأسلوبهما واحد وهو نشر الفساد بالخداع والنفاق عند الضعف والعنف والجبروت والتعذيب والتقتيل عند القدرة.
- ٢٢- صرح غير واحد من الرؤساء والكتاب السياسيين بأن الصهيونية هي أم الشيوعية؛ وأنها وجهان لعملة واحدة، وأنها أس الفساد في العالم.

الاختبار البعدي للوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

- ١- وافق أفلاطون على تأسيس الأسرة وتربية الأطفال تحت رعايتها.
- ٢- رجع أفلاطون عن رأيه في شيوعية الأموال والنساء.
- ٣- شيوعية مزدك كانت في القرن السابع الميلادي.
- ٤- شيوعيه القرامطة كانت في القرن السادس الهجري.
- ٥- يرى لويس بلان أن استقلال العمال يتحقق بتملك الدولة لجميع الموارد.
- ٦- الجدل عند ماركس مثل الجدل عند هيغل تماماً.
- ٧- أخذ ماركس من فويرباخ فكرة أن الدين خرافة.
- ٨- يرى داروين أن أصل الإنسان غزاة تعيش في الصحراء.
- ٩- من مراحل التطور عند داروين: القرد ثم الإنسان.
- ١٠- تأثر ماركس بنظرية التطور عند داروين من خلال ظروف الطبيعة وضغوطها.
- ١١- لا يبعد أن يكون والد ماركس قد تنصر ليسهم في التخطيط الصهيوني.
- ١٢- حظي ماركس بشهرة عالمية في حياته وبعد مماته.
- ١٣- كان إنجلز فقيراً جداً، وكان عائلة على ماركس.
- ١٤- كان لينين حسن الخلق، وكان ستالين رحيم الفؤاد.
- ١٥- قابل ماركس موشيه هيس زعيم الصهيونية وأستاذ هرتز.
- ١٦- اعترف حكماء صهيون بأنهم رتبوا نجاح داروين وماركس.

- ١٧- قامت الثورة البلشفية في المجر.
- ١٨- قادة الثورة البلشفية كلهم يهود ومن صنائع اليهود.
- ١٩- قامت الأحزاب الشيوعية العربية لمناهضة إسرائيل.
- ٢٠- قتل ستالين زوجته لأنها خانته مع رجل آخر.
- ٢١- الصهيونية هي أم الشيوعية.
- ٢٢- الشيوعية هي أم الصهيونية.
- ٢٣- غرض الصهيونية والشيوعية واحد وهو السيطرة على العالم كله.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

احتر من بين الأقواس الإجابة الصحيحة فيما يلي:

- ١- الذي ألف القصة الخيالية "اليوتوبيا"؛ هو: (فولتير - رسو - توماس مور).
- ٢- الذي ألف القصة الخيالية "مدينة الشمس"؛ هو: (لويس بلان - كامبانلا - مزدك).
- ٣- المؤسس الفلسفي للشيوعية في العصر الحديث؛ هو: (فولتير - أوجست كونت - رسو).
- ٤- قائد الثورة البلشفية سنة (١٩١٧م)؛ هو: (ستالين - تروتسكي - لينين).
- ٥- الذي هزم ألمانيا في الحرب العالمية الثانية؛ هو: (تروتسكي - لينين - ستالين).
- ٦- الذي تزعم مؤتمر "بال" الصهيوني سنة (١٨٩٧م)؛ هو: (هيس - وايزمان - هرتزل).
- ٧- أول رئيس لروسيا بعد الثورة البلشفية كان من اليهود؛ وهو: (تروتسكي - كامنيف - ستالين).
- ٨- أرسلت روسيا إلى إسرائيل عالم الذرة اليهودي الذي اسمه: (جابوتنسكي - لاندو - كوهين).

٩- أسس الحزب الشيوعي في مصر سنة (١٩٢١م) على يد اليهودي (هنري كوريل - روزنبرغ - لاندو).

ثالثاً: الأسئلة التحليلية:

- ١- ما هي مصادر الماركسية الشيوعية؟
- ٢- ماذا تعرف عن: كارل ماركس - إنجلترا - لينين؟
- ٣- كيف ساهم اليهود في إقامة الثورة البلشفية؟ وكيف ساندت روسيا إسرائيل في احتلال فلسطين؟
- ٤- كيف اتحدت الصهيونية والشيوعية في المنهج والهدف والأسلوب؟ ولماذا؟
- ٥- ما هي علاقة ماركس وأتباعه باليهود؟

رابعاً: أسئلة المقالة:

اكتب مذكرات مختصرة عن:

- ١- نظرية التطور الداروينية.
- ٢- شيوعية أفلاطون.
- ٣- دول شرق أوروبا واليهود.
- ٤- الأحزاب الشيوعية العربية واليهود.
- ٥- الثورة البلشفية.

النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الطالب: حتى تكتسب المزيد من المعلومات، وتحقق الأهداف التعليمية الواردة في هذه الوحدة؛ عليك أن تقوم بممارسة النشاط التعليمي التالي:

اكتب بحثاً تناول فيه موضوع: "الشيوعية وليدة الصهيونية"؛ بعد مطالعتك للمرجعين التاليين: "مقالات في الإسلام والشيوعية" للدكتور عبد الحلیم محمود، و"انهايار الشيوعية أمام الإسلام" للدكتور سعد الدين صالح.



الوحدة الثالثة

المادية الجدلية والمادية التاريخية في الفلسفة الماركسية

مبورات دراسة الوحدة الثالثة:

إن من أبرز سمات هذا العصر التقدم العلمي المذهل؛ ولذلك نرى الماركسيين الشيوعيين يحاولون أن يكسبوا فكرهم وفلسفتهم صفات العلم، ويظهروها في مظهر القوانين العلمية والقواعد المنطقية؛ حتى ينخدع بهم الجهال من كل نحلة..

وهذا هو مسلك كل صاحب فكر ضال، ومنهج منحرف؛ يحاول أن يروج بدعته ومنهجه تحت مسمى العلم؛ فإذا عرض على قواعد العقل، ومناهج العلم الصحيح التي لا تعرف المحاباة؛ انكشف على حقيقته، وظهرت سوءاته للناظرين.

فهل استطاع الماركسيون الشيوعيون أن يثبتوا صحة تصورهم الخاص تجاه المادية الجدلية بأدلة علمية صحيحة؟ وما الذي يقصدونه بالمادية التاريخية؟ وما علاقتها بالمادية الجدلية؟ وهل وافقهم العلم الحديث على تصورهم هذا؟

إن المسلم الذي يؤمن بالغييب يعيش - الآن - في وسط عالم مادي؛ فما السبب في ذلك؟ أهو شيوع الفكر المادي الماركسي الذي روج له اليهود؟ أم وقوع الناس في شباك خداع هؤلاء الملحدين؟ أم ماذا!؟

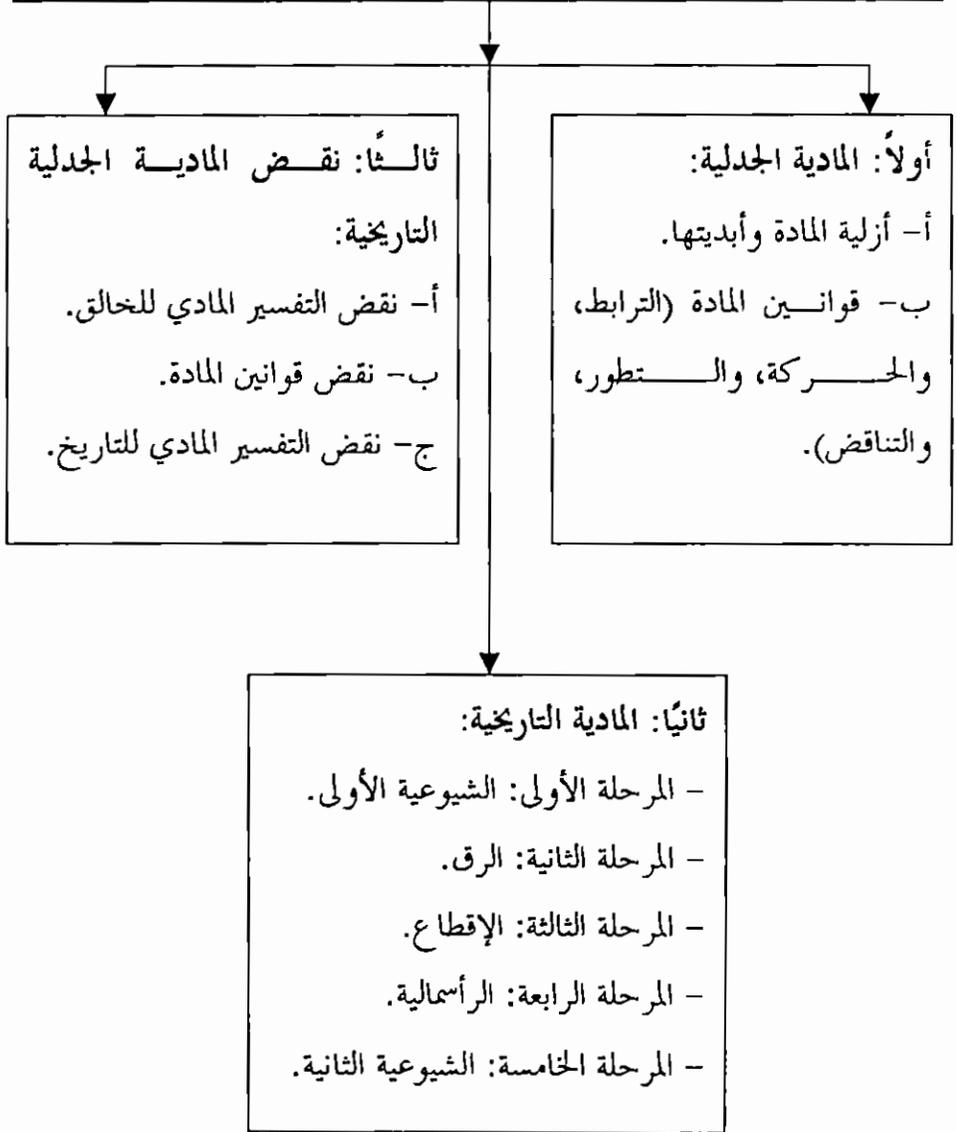
لكي تظفر - عزيزي الدارس - بالإجابة على هذه الأسئلة المهمة؛ التي لا ينبغي أن يجهلها مسلم؛ عليك أن تحرص على مذاكرة هذه الوحدة بعقل واع وذهن حاضر - مستعيناً بالله تبارك وتعالى.

الأهداف التعليمية للوحدة الثالثة:

- عزيزي الطالب: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:
- ١- تبين كلاً من المادية الجدلية، والمادية التاريخية.
 - ٢- توضح كلاً من أزلية المادة، وقوانين المادة.
 - ٣- تربط بين المادية الجدلية والمادية التاريخية.
 - ٤- تناقش قوانين المادة مناقشة علمية.
 - ٥- تنقض فكرة مادية الخالق بالعقل والعلم.
 - ٦- تنقد التفسير المادي للتاريخ نقدًا علميًا.
 - ٧- تفصح عن الغرض الحقيقي من المادية الجدلية التاريخية.
 - ٨- تذكر المسمى اللائق بموضوع التفسير المادي للتاريخ.

الوحدة الثالثة

المادية الجدلية والمادية التاريخية في الفلسفة الماركسية



المادية الجدلية والمادية التاريخية في الفلسفة الماركسية

الوحدة الثالثة

تقوم الماركسية الشيوعية على أساس المنهج الجدلي "الديالكتيك"؛ الذي استقاه ماركس من الفلسفة اليونانية في أدنى مراحلها، ومن الفلسفة الألمانية في أقصى انحرافها عن المنطق العقلي^(١).

والمادية الجدلية والمادية التاريخية شيان مترابطان في الفكر الماركسي الشيوعي؛ لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ولا يفهم أحدهما فهماً صحيحاً بمعزل عن الآخر؛ وإن كانت المادية الجدلية تعد بمثابة القاعدة التي تقوم عليها المادية التاريخية، والمادية التاريخية هي التطبيق التفصيلي للمادية الجدلية؛ فالعلاقة بينهما تشبه العلاقة بين العظام والأنسجة الحية في الكائن الحي^(٢)؛ لذا سأوضح كلاً منهما بمفرده، ثم أجمع بينهما عند نقضهما.. وذلك على النحو التالي:

أولاً: معنى الديالكتيك أو الجدل:

لفظ "الديالكتيك" مأخوذ من الكلمة اليونانية "دياليجو" ومعناها: المحادثة والمجادلة؛ فهي مستمدة من الحوار الفلسفي الإغريقي الذي كان يمثل وجهتي نظر مختلفتين تتجادلان حتى تبين الحقيقة من خلال الجدل، وغالباً ما تكون الحقيقة مزيجاً من وجهتي النظر المختلفتين.

وقد انتقل به الفيلسوف الألماني هيغل نقلة مختلفة عن سابقه حيث لم يعتبره مجرد عملية استدلال بل هو عنده انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناجمة

(١) انظر: الخيار الشيوعية: ص ٨٣.

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: ص ٣٠٥.

عنهما؛ وهكذا.. حتى يصل إلى المطلق.

واستعار ماركس المفهوم الجدلي لهيجل ولكنه عكسه؛ فجعل الحركة الجدلية تقوم - أولاً - بين أوضاع اقتصادية مادية قبل أن تكون منطقاً عقلياً؛ ولذا كانت المادية الجدلية - عنده - تتصور الأحداث سواء كانت طبيعية مادية أو بشرية بأن تكون قوة في اتجاه معين وقوة أخرى مناقضة لها في الاتجاه المضاد، ثم يحدث الصراع الذي ينتهي بانهزام القوة الأولى - وإن كانت لا تزول تماماً - وتغلب القوة الثانية - وإن كانت غلبتها ليست تامة؛ ومن صراع القوتين يخرج شيء ثالث.. وهكذا؛ ومن هنا كانت استعارة "الجدل" من ذلك الحوار الفلسفي مناسبة لذلك التصور ومعبرة عنه^(١).

ثانياً: المادية الجدلية:

المادية الجدلية تصور خاص لقضايا الألوهية والكون والحياة والإنسان؛ يقوم على أساس مادي بحت؛ وهو أن المادة هي الشيء الوحيد الأصيل في هذا الكون، وأن كل ما في الكون ومن فيه ينبثق من المادة، ومحكوم بقوانينها، ولا وجود له خارج نطاقها. كما يقوم من جهة أخرى على أساس التناقض في طبيعة المادة، ومن ثم في كل ما ينبثق عنها من مخلوقات وكائنات بما في ذلك الإنسان^(٢).

ولكن.. لماذا المادة هي أصل المخلوقات؟ وكيف ينبثق عنها الخلق؟

يجيب الماركسيون عن ذلك بأمرين أساسيين؛ هما:

أ - أزلية المادة وأبديتها وأسبقيتها في الوجود على الفكر.

ب- قوانين المادة التي تحكم الطبيعة وتحكم الحياة البشرية كذلك، وتفصيل

هذين الأمرين .. كما يلي:

(١) انظر: افيار الشيوعية: ص٣٧، مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٦٨، ٢٦٩، الموسوعة الميسرة: ١٠٦٥/٢.

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: ص٢٦٨.

(أ) أزلية المادة وأبديتها:

يعتبر ماركس وأتباعه أن المادة لا بداية ولا نهاية لها، فذاتها لم تخلق؛ وإنما كانت دائماً موجودة وستظل دائماً موجودة؛ فهي أزلية أبدية، موجودة بذاتها ومنشئة لغيرها، ومن هذه المادة انبثقت كل الكائنات؛ الحية وغير الحية بما في ذلك الإنسان، وأنها جميعاً قد انبثقت عنها بطريق الخلق.

والرب الخالق عندهم خرافة ابتدعتها خيال الإنسان، والحقيقة الوحيدة هي المادة؛ والوحدة التي تجمع الكون هي ماديته^(١).

ويرى الماركسيون أن المادة سابقة على الفكر، وأن كل عيبي غير مادي غير موجود ولا يمكن أن يوجد، وأنها العنصر الأول؛ لأنها منبع الإحساس والتصور والإدراك؛ بينما يعد الإدراك هو العنصر الثاني الناتج عن المادة لما بلغت في تطورها درجة عالية من الكمال؛ يقول ستالين: "إن الفكر هو نتاج الدماغ، والدماغ هو عضو التفكير؛ فلا يمكن بالتالي فصل الفكر عن المادة دون الوقوع في خطأ كبير"^(٢).

فالتبيعة قد وجدت ليس فقط قبل الناس؛ بل قبل الكائنات الحية - عموماً؛ يقول إنجلز: "التبيعة توجد مستقلة عن كل فلسفة، فهي الأساس الذي نمونا عليه؛ نحن الناس نتاجها أيضاً، وخارج الطبيعة والإنسان لا يوجد شيء، أما الكائنات العلوية التي ولدت في مخيلتنا لدينية فليست سوى انعكاس خيالي لوجودنا نحن"^(٣).

فعلى هذا يرى الماركسيون أن المادة هي الخالق الذي أنشأ الحياة، وأنشأ الإنسان، وأنشأ كل ما يحتوي عليه عالم الإنسان من أفكار ومشاعر. أما المادة ذاتها فلم تخلق؛ وإنما كانت دائماً موجودة وستظل دائماً موجودة.

(١) انظر: ص ٢٧٠ - ٢٧٣.

(٢) السابق: ص ٢٧٠.

(٣) السابق: ص ٢٧٢.

ولكن.. كيف تحكم المادة الطبيعة وتحكم الحياة البشرية؟!
يجيب الماركسيون عن ذلك بما سموه: قوانين المادة.. وبيان ذلك كما يلي:

(ب) قوانين المادة:

للمادة أربعة قوانين ثابتة وحتمية ومتناسقة؛ هي: الترابط، والحركة، والتطور، والتناقض؛ وبيان هذه القوانين على النحو التالي:

١- الترابط في الطبيعة: لا تعتبر الماركسية الطبيعة تراكمًا فرضيًا للأشياء، أو حوادث بعضها منفصل عن بعض؛ بل تعتبرها كلاً واحداً متماسكاً ترتبط فيه الأشياء والحوادث فيما بينها ارتباطاً عضوياً، ويتعلق أحدها بالآخر بحيث يكون بعضها شرطاً لبعض.

لذا تعتبر الطريقة الديالكتيكية أن أي حادث من حوادث الطبيعة لا يمكن فهمه إذا نظر إليه منفرداً بمعزل عن الحوادث المحيطة به؛ وعلى العكس؛ يمكن فهم أي حادث من الحوادث وتبريره إذا نظر إليه من حيث ارتباطه ارتباطاً لا ينفصم عن الحوادث المحيطة به التي تحدده وتكيفه^(١).

٢- الحركة في الطبيعة: لا تعتبر الماركسية الطبيعة في حالة سكون وجود؛ بل تعتبرها في حالة حركة دائمة؛ ففيها - دائماً - شيء يولد ويتطور وشيء ينحل ويضمحل.

وهذه الحركة ملازمة للمادة كخاصة جذرية لا تنفصل عنها؛ فكل الأجسام: من حبة الرمل إلى الشمس، من الخلية إلى الإنسان؛ في حركة دائمة من النشوء إلى الاضمحلال^(٢).

(١) انظر: السابق: ص ٢٧٣، وانظر: فلسفتنا - محمد باقر الصدر: ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) انظر: فلسفتنا: ص ٢٠٩، ٢١٠، مذاهب فكرية معاصرة: ص ٢٧٤.

٣- التطور في الطبيعة: إن الديالكتيك لا يعتبر حركة التطور حركة نمو بسيطة لا تؤدي التغيرات الكمية فيها إلى تغيرات كيفية؛ بل يعتبرها تطوراً ينتقل من تغيرات كمية ضئيلة وخفية إلى تغيرات ظاهرة وأساسية أي إلى تغيرات كيفية، وهذه التغيرات الكيفية ليست تدريجية بل هي سريعة فجائية، وتحدث بقفزات من حالة إلى أخرى؛ وليست هذه التغيرات جائزة الوقوع؛ بل هي ضرورية.

فكل شيء يتطور بحيث ينتقل من البسيط إلى المركب، ومن الأدنى إلى الأعلى^(١).

٤- التناقض في الطبيعة: يرى الماركسيون أن كل أشياء الطبيعة وحوادثها تحوي تناقضات داخلية؛ لأن لها جميعها جانباً سلبياً وإيجابياً، ماضياً وحاضراً، وفينا جميعاً عناصر تضمحل أو تتطور؛ فالصراع بين هذه المتضادات؛ بين القديم والجديد، وبين ما يموت وما يولد، وبين ما يفني وما يتطور؛ هو المحتوى الداخلي لحركة التطور.

ومن نتيجة الصراع بين المتضادين تحدث تغيرات جديدة، وتولد أجسام جديدة؛ فمثلاً: الأطفال يشبهون الآباء ولكنهم ليسوا نسخة منهم تماماً، والسبب في ذلك هو حدوث تفاعل بين قانون الوراثة وقانون التغير، فقانون الوراثة يثبت نفس الخواص في السلالة، وقانون التغير يضمن عدم التشابه وعدم التكرار، وبذلك يحدث اختيار طبيعي نتيجة للصراع بين هذين الضدين.

ونتيجة لكل صراع بين متضادين أو متناقضين - من هذا القبيل - تتولد أنواع جديدة من الكائنات الحية، وليست القوة الخارجية ولا الرب - عندهم - هو المصدر والمحرك لعملية تطور الطبيعة الحية؛ بل المصدر الوحيد هو التناقضات الداخلية للطبيعة^(٢).

(١) انظر: فلسفتنا: ص ٢٥٧، ٢٥٨، مذاهب فكرية معاصرة: ص ٢٧٥.

(٢) انظر: فلسفتنا: ص ٢٣٣، ٢٣٤، مذاهب فكرية معاصرة: ص ٢٧٥ - ٢٨٠.

وسياتي - إن شاء الله تعالى - مناقشة ونقض لهذه الأفكار.

ويمكن توضيح العلاقة بين هذه القوانين بالعبارة التالية: الكون وحدة لا تتجزأ، وكل ما فيه مترابط لا ينفك شيء منه عن الآخر، ومصدر هذا الكون هو المادة المتحركة المتطورة إلى أعلى، وهي في خلال تطورها تمر بمستويات من التعقيد حتى تنشأ موجودات أكثر فأكثر تعقيداً؛ مثل: ذرات دقيقة، خلايا حية، نباتات، بشر ومجتمعات؛ وهكذا. والتطور لا ينظر إليه باعتباره نمطاً دائرياً؛ وإنما كنمط خطي؛ فالأخير هو على الدوام الأكثر تعقيداً، والأكثر تعقيداً يمتزج مع الأحسن والأكثر سمواً..

ولكي يحدث التطور على دفعات وبسرعة وقوة فلا بد من الصراع الذي هو نتيجة التناقض في الطبيعة، وهو الذي يحدث القوة الدافعة للتطور؛ فالعالم برمته وكل عناصره خاضع تماماً لهذا التطور الحتمي؛ لذا نشاهد دائماً موت القديم وولادة الجديد، ومع هذا لا يوجد عنصر أبدي؛ وإنما المادة وحدها وبالصورة التي هي عليها، ودرجات تنوعها، وقوانينها الثابتة؛ هي التي تدوم أبدياً في الحركة الكونية؛ وعلى هذا فالعالم - في الحقيقة - ليس له من معنى ولا هدف؛ غير أنه يتطور بطريقة عمياء متمشياً مع قوانين المادة الأبدية^(١).

وبالقول بجمالية هذا التطور القائم على التناقض والصراع يرى الماركسيون أن للتاريخ تفسيراً آخر يختلف عما هو معهود لدى الناس، وأن الحياة - بناءً على ما سبق - محكومة بقوانين المادة.. وبيان ذلك على النحو التالي:

ثانياً: المادية التاريخية:

ما كانت دعوى الماركسية: المادية الجدلية؛ إلا من أجل تطبيقها على المجتمع

(١) انظر: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - بوخينسكي: ص ١٢٣، ١٢٤، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة - للدكتور محمد عبد الله الشراوي - ط مكتبة الزهراء - القاهرة سنة ١٩٨٨م: ص ١٩٣، ١٩٤.

وتاريخ هذا المجتمع؛ لذلك يبرز لينين غرض ماركس من المادية الجدلية قائلاً: "يجب جعل علم المجتمع منسجماً مع الأساس المادي، وإعادة بنائه استناداً إلى هذا الأساس"^(١).

فالمادية التاريخية محاولة لتفسير التاريخ البشري على الأسس المادية التي سلف ذكرها، واعتبار قوانين المادة هي بذاتها التي تحكم حياة البشر الاجتماعية، وأن الوضع المادي والاقتصادي هو الذي يكيف شكل الحياة البشرية في أي وقت من أوقاتها، وفي أي طور من أطوارها، وأنه هو الأصل الذي تنبثق منه الأفكار والمشاعر والمؤسسات والنظم التي ينشئها البشر في حياتهم، وأن المادة تسبق الوعي، ولا يمكن للوعي أن يسبق المادة، وأن الوضع المادي والاقتصادي في تطور دائم؛ ومن ثم فإن الأفكار والمشاعر والمؤسسات والنظم التي تنبثق عنه دئمة التطور - كذلك - بحكم ارتباطها بالوضع المادي والاقتصادي وانبثاقها عنه.

وبداية المادية التاريخية هي نظرية التطور الداروينية؛ لأن داروين يرى أن الحياة بدأت من الكائن الوحيد الخلية ثم إلى القرود ثم إلى الإنسان، وقد قرر في نظريته جملة من المبادئ التي تأثر بها أصحاب المادية الجدلية التاريخية؛ فمن أهم هذه المبادئ:

- أن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق، وأنها تحبب خبب عشواء وليس لها مقصد معين من الخلق ولا غاية.

- أن الظروف المادية المحيطة بالكائن الحي هي التي تحكم حياته كما تحكم تطوره، وأنه ليس حراً في اختيار طريقة حياته ولا طريقة تطوره؛ وإنما ذلك مفروض عليه من خارج كيانه من الظروف المادية المحيطة به.

- وأنه لا وجود لشيء ثابت في عالم الأحياء؛ لأن قانون التطور هو الذي يحكم

(١) مدخل نقدي لدراسة الفلسفة: ص ٢٠٢.

الحياة والأحياء، يحكمها من خارج كيانها ودون خضوع لإرادتها وبصورة حتمية^(١). وبناء على هذه المبادئ الداروينية فسر الماركسيون التاريخ تفسيراً مادياً بحتاً؛ حيث يرى ماركس أن الإنتاج المادي هو أساس الحياة البشرية كلها، وأساس التاريخ البشري، وأن وسائل الإنتاج التي يستخدمها الناس مثل الأدوات البدائية كاليد والمنجل والمطرقة، أو الوسائل الحديثة، وكذلك وسائل الزراعة في المراحل الأولى؛ هي التي حددت أشكال المجتمعات التي مرت بها الإنسانية بدءاً من الشيوعية الأولى، ثم العبودية والرق، ثم الإقطاع، ثم الرأسمالية، ثم الشيوعية الثانية؛ فكل هذه الأشكال قد ظهرت كنتيجة لصراعات حول وسائل الإنتاج وعلاقات الإنتاج، والقوى المنتجة.

وكل مرحلة من هذه المراحل كان لها نظامها السياسي والاجتماعي والديني والأخلاقي والفكري التابع من علاقات الإنتاج ووسائله؛ وفي ذلك يقول ماركس: 'إن العلاقات الاجتماعية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقوى المنتجة، وعندما يحصل الناس على قوى منتجة جديدة يغيرون أسلوبهم في الإنتاج، وتغييرهم أسلوب الإنتاج؛ أي بتغييرهم طرق اكتساب معيشتهم؛ يغيرون كل علاقاتهم الاجتماعية؛ فطاحونة الهواء تعطيك مجتمع الحاكم الإقطاعي، والطاحونة البخارية تعطيك مجتمع الرأسمالي الصناعي، فهناك حركة نمو مستمرة في القوى المنتجة، وحركة تهدم مستمرة في العلاقات الاجتماعية، وحركة مستمرة في الأفكار، وليس من شيء ثابت سوى تجديد الحركة"^(٢).. وتفصيل المراحل الإنسانية في التاريخ المادي عند الماركسيين كالآتي^(٣):

١- ففي المرحلة الأولى من حياة الإنسان (الشيوعية الأولى): كان الإنسان

يعتمد على يده بالإضافة إلى الوسائل البسيطة الأخرى في الحصول على طعامه وشرابه

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: ص ٢٨٣.

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: ص ٢٨٤.

(٣) انظر: انظار: انظار: ص ١٥٣، ١٥٤، مذاهب فكرية: ص ٢٨٥ - ٢٩٢.

من خلال الصيد والقنص من البر والبحر، وكان كل إنسان يحصل على قوت يومه دون زيادة، فلم يكن هناك فائض في الإنتاج؛ فكان شكل النظام الاجتماعي هو الشيوعية أو المشاعية التي لا تدع فرصة لإنسان أن يمتلك أي شيء حتى ولا امرأته؛ فلم تكن هناك أسرة ولا زواج ولا روابط اجتماعية ولا أديان.

٢- وفي المرحلة الثانية (الرق): أخذت المجتمعات الإنسانية طابع الاستقرار، فزرعوا الأرض، ورعوا الحيوانات؛ مما أدى إلى زيادة الإنتاج عن حاجة الناس؛ وبالتالي ظهرت قوة اجتماعية جديدة تملك ما زاد عن حاجة الناس، ودفعت بالمنتجين إلى بذل كل طاقتهم، فنشأ النظام الملكي "العبودي" الذي انقسم إلى طبقتين: سادة تملكوا فائض الإنتاج، وعبيد مرغمين على مواصلة الإنتاج.

ونظراً لضرورة إخضاعهم لسلطة الأديان ومبادئ الأخلاق، وظهر شكل الأسرة والزواج.

٣- وفي المرحلة الثالثة (الإقطاع): تنازل السادة عن بعض أملاكهم ووزعوها على معاونيهم من العبيد؛ نتيجة للصراع الذي دار بين الطبقتين، ولأن السادة لاحظوا ضعف الإنتاج؛ فظهرت الإقطاعيات التي عمل فيها الفلاحون.

٤- وفي المرحلة الرابعة (الرأسمالية): حدث نفس الصراع حول علاقات الإنتاج بين الفلاحين والإقطاعيين؛ مما فتت النظام الإقطاعي، وجعل الإقطاعيين يتركون الأرض لكي يستثمروا أموالهم في مجال الصناعة؛ فتحولت المجتمعات إلى الرأسمالية.

وقد حاول الرأسماليون أن يستثمروا أموالهم على حساب العمال الذين لا يملكون شيئاً إلا قوتهم ويعملون في مقابل الأجر الضئيل؛ الذي لا يوازي ما يقومون به من عمل؛ مما أدى إلى تراكم الأموال في أيدي الرأسماليين، وقد مكّنهم هذا من تحديث مصانعهم وتطويرها عن طريق استخدام البخار والآلة مما قضى على المصانع اليدوية،

وتحول أصحابها إلى أجراء عند أصحاب المصانع الآلية.

وقد أدى كل ذلك إلى صراع وتناقض بين العمال وبين أصحاب المصانع. ومن هنا تنبأ ماركس بحدوث صراعات دموية بين العمال وبين أصحاب المصانع؛ سوف تكشف عن ظهور شكل اجتماعي جديد يقوم على أنقاض الرأسمالية بفكرها واجتماعها وسياستها وأخلاقها.

٥- المرحلة الخامسة والأخيرة (الشيوعية الثانية): وهذا الشكل الجديد الذي لا بد أن يخلف الرأسمالية هو الشيوعية؛ الذي ستتغير فيه علاقات الإنتاج، وتحول إلى ملكية عامة للعمال (البروليتاريا)، وسوف تولد هذه الحالة الجديدة إنساناً جديداً بفكره ونظمه وأخلاقه وعلمه وكل ما يشكل وعيه، وأيضاً في هذه المرحلة - سيزال النظام الطبقي، ويستقر النظام اللاتبقي.

- الحتميات: ويقوم التفسير المادي للتاريخ على حتميات ثلاث؛ هي:

أ - المادية؛ المستمدة من قوانين المادة الحتمية - التي سبق ذكرها.

ب- الاقتصادية؛ المستمدة من الوضع الاقتصادي.

ج- التاريخية؛ المستمدة من المراحل التاريخية التي سبق ذكرها.

وهذه الحتميات الثلاث يؤدي بعضها إلى بعض بحيث يمكن اعتبارها حتمية واحدة: مادية اقتصادية تاريخية؛ فكلها أوجه لشيء واحد، وكل حدث من أحداث التاريخ واقع - لا محالة - تحت ظل الحتميات الثلاث.

فتحول المجتمع من الرق إلى الإقطاع - مثلاً - أمر حتمي وضروري، وتحول العالم من الرأسمالية إلى الشيوعية الثانية أمر حتمي وضروري ولا بد منه .

والعالم كله له نظام ثابت ودائم لا يشذ عنه شيء في الزمان ولا المكان، وكل شيء فيه ضروري وحتمي؛ حتى أفعال الإنسان وإرادته مسيرة وفق قوانين المادة الحتمية^(١).

"هذا هو التفسير المادي للتاريخ الذي يقلب الحقائق فيحول المادة والاقتصاد إلى

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: ص ٣٧٩، الموسوعة الميسرة: ١٠٥٢/٢.

كائن له وعي وله عقل؛ يسوق الإنسان أمامه ويحدد له عقله وفكره ووعيه، ويدفعه إلى حيث يريد هو بصرف النظر عن إرادة الإنسان؛ الذي تحول في تفسير ماركس إلى كمٍ مادي يتبع عجلة التاريخ؛ ولكن لا يوجهها ولا يتدخل فيها؛ فهو مجرد فقاعة تسلمها موجة إلى موجة أخرى بطريقة حتمية لا مفر منها"^(١).

ثالثاً: نقض المادية الجدلية التاريخية:

واضح مما سبق أن المادية الجدلية والمادية التاريخية وجهان لعملة واحدة؛ ولكن حتى أزيل ما تبقى من غموض حولهما سأقسم هاتين القضيتين إلى ثلاث قضايا رئيسية أقوم بنقضها في هذه الوحدة؛ وهي التفسير المادي للخالق، قوانين المادة، التفسير المادي للتاريخ.. وبيان ذلك على النحو التالي:

(أ) نقض التفسير المادي للخالق:

لقد أضفى الماركسيون على المادة أهم صفات الخالق؛ من اعتبارهم المادة هي التي خلقت الحياة والإنسان، وكل ما في الكون منبثق منها ولا وجود له خارج نطاقها، وادعائهم أن المادة أزلية أبدية؛ بل بالغوا وقالوا: "لا موجود إلا المادة"؛ ولا شك أن كل ذلك دعاوى باطلة يسهل نقضها وإثبات تهايتها من خلال النقاط التالية:

١- قولهم: "لا موجود إلا المادة"؛ هل كانت هذه النتيجة بعد استقرار للكون من خلاله أثبتوا هذه الدعوى؟ لا شك أنه لا يستطيع أحد أن يستغرق ببحثه وتفتيشه الكون كله ليصل إلى مثل هذه النتيجة^(٢).

٢- ثم ما هي هذه المادة التي لا موجود غيرها؟ إذا كانوا يقصدون بها: ما تدركه الحواس، وما لا تدركه فهو غير مادي وغير موجود؛ وأرادوا بذلك أن يقولوا:

(١) انصار الشيوعية: ص ١٥٥.

(٢) انظر: انصار الشيوعية: ص ١٠٥، الأسس الفلسفية للمذهب المادي.. عرض ونقض - للدكتور جعفر شيخ إدريس - بحث ضمن بحوث في الفكر الفلسفي - إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي: ص ١٣.

إن الله تعالى وملائكته لا يدركون بالحواس فهم غير موجودين؛ قلنا لهم: الفكر والعقل والمشاعر أشياء اتفق عليها البشر وهي لا تدرك بالحواس..

- ولقد حاول الماديون السابقون أن يجدوا مبررات تخرجهم من هذا المأزق؛ فقالوا: إن الفكر صورة من صور المادة؛ قلنا لهم: الفكر غير محسوس وهو صورة من صور المادة؛ إذا فالمادة يمكن أن تكون غير محسوسة.

- وقال آخرون: إن الفكر أثر من آثار المادة وليس صورة من صورها؛ قلنا لهم: إذا توجد أشياء غير مادية، ولن يغير من الحقيقة شيئاً كونها أثراً من آثار المادة؛ فالمهم أنه يوجد في الكون ما ليس بمادة. وقد أكد العلم الحديث ذلك حيث أثبت وجود الذرات والجزيئات، وهي لا تدرك بالحواس، وبعضها لا كتلة له؛ فهل العلم يتعامل مع كائنات وهمية؟!

- واقترح لينين تعريفاً جديداً للمادة يواكب في رأيه كل تطور علمي؛ وهو: أن المادي هو كل شيء يوجد وجوداً موضوعياً؛ أي أنه الشيء الذي لا يعتمد في وجوده على عقلنا أو على وعينا به.

وهذا التعريف اللينيني للمادة يخرج الماديين فعلاً من مأزق مخالفة العلم؛ ولكنه يوقعهم في مأزق موافقة الدين؛ لأن الله تعالى لا يعتمد في وجوده على وعينا به؛ وهذه من المسلمات الدينية؛ فالله هو خالق الإنسان وخالق وعيه، وكان الله تعالى ولم يكن إنسان، ويبقى - سبحانه - وكل من عليها فان، فوجوده - جل في علاه - لا يعتمد على شيء سواه، فتعريف لينين يدخل فيه القول بوجود الله تعالى، فوقع فيما أراد أن يهرب منه^(١).

٣- اعتبار الماركسيين أن المادة أزلية أبدية، قديمة بلا ابتداء دائمة بلا انتهاء؛ قد أثبت العلم الحديث خطأه؛ إذ يقول فرانك ألن - الحاصل على الدكتوراه في الطبيعة

(١) انظر: الأسس الفلسفية للمذهب المادي: ص ١٣ - ١٥، الشيوعية والإنسانية: ص ٧٧، ٧٨.

البيولوجية: "قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً، وأما سائرة حتمًا إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة الصفر، ويومئذٍ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة، ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمعنى الوقت، أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة؛ فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو - إذن - حدث من الأحداث"^(١).

ويقول أحد علماء الكيمياء - رونالد روبرت: "لقد تمكنا من تحديد عمر التكوينات الجيولوجية باستخدام العلاقات الإشعاعية، وهناك طرق كثيرة نستخدمها لتقرير عمر الأرض؛ ولكن نتائج هذه الطرق تشير كلها إلى أن الكون قد نشأ من نحو خمسة بلايين سنة؛ وعلى ذلك فإن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلًا، ولو كان كذلك لما بقيت فيه أي عناصر إشعاعية"^(٢).

وهكذا تتفق نظريات العلم الحديث في القرن العشرين على أن الكون حادث؛ وهي نفس الحقيقة التي قالت بها الكتب السماوية كلها؛ فهل يمكن بعد ذلك أن يصف الماركسيون ماديتهم بالعلمية.

وبناء على ذلك فإننا نستطيع أن نقرر أن العبارة التي يرددها المدرسون والطلاب في المدارس من أن "المادة لا تستحدث ولا تفتنى" خطأ، وهي تخالف الدين؛ لأنها تتناقض مع إيماننا بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأن كل شيء هالك إلا وجهه - سبحانه، وكذلك تخالف العلم الحديث الذي أثبت أن المادة حادثة وأنها ستزول وتفتنى حتمًا"^(٣).

(١) أخبار الشيوعية: ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) السابق: ص ١٠٩، وانظر كلام العلماء عن المادة وقائنها في: فلسفتنا - محمد باقر لصدر: ص ٣٠٦ - ٣٤٢.

(٣) انظر: الأسس الفلسفية للمذهب المادي: ص ١٨، ١٩.

٤- اعتبار الماركسيين أن المادة هي التي تخلق، وأن من بين خلقها الإنسان؛ دعوى عريضة، وفرية عظيمة؛ لا دليل عليها من العلم، ولا من العقل، ولا من الفطرة، ولا من الدين، ولا من العرف؛ ولذلك سأكتفي في نقضها بتوجيه هذه الأسئلة لساحرة التي لا يمكنهم الجواب عنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؛ وهي:

متى شوهدت المادة وهي تخلق؟ وكيف تخلق؟ يقول جورج إيرل دافز - عالم الطبيعة: "المنطق الذي نستطيع أن نأخذ به، والذي لا يمكن أن يتطرق إليه الشك هو أنه ليس هنالك شيء مادي يستطيع أن يخلق نفسه"^(١).

أي منطق وأي علم يقول: إن المادة يمكن أن تخلق المادة؟ وأي شكل من أشكال المادة هو الخالق وأيها المخلوق؟! الجماد هو الذي خلق النبات؟! أم الحيوان هو الذي خلق الإنسان؟! أم الذرات التي لا ترى بالعين المجردة هي التي خلقت الجرات؟! أخبرونا أيها العتلاء: أي لب وأي علم يقول: إن الخالق - أيًا كان هو - يمكن أن يخلق ما هو أرقى منه؟ وبعبارة أوضح: كيف تخلق المادة التي لا عقل لها ولا وعي ولا خلقة لها سوية إنساناً عاقلاً واعياً سويًا؟! وكيف يسيطر هذا الإنسان المخلوق على المادة (الخالق)؟! فيقطع الحديد، ويخترع المخترعات، ويعبد الطرق، ويخرق الجبال، ويشقق الأشجار، ويشق عباب البحار، ويخترق جو الفضاء، ويروض الوحوش، ويسخر البهائم لخدمته.. يفعل كل ذلك في أشكال المادة التي هي خالقه.. كيف هذا؟!

يقولون: إن الإنسان نتاج المادة! فكيف نتج عن المادة؟! من الذي أنتجه^(٢)؟! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ

(١) مذاهب فكرية معاصرة: ص ٣٠٨.

(٢) انظر: السابق: ص ٣٠٨ - ٣١٠.

أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تَتَّخِذُونَ الْمَضَلِينَ عَضُدًا ﴿ [الكهف: ٥١]، ويقول جل في علاه: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَّا يُوقِنُونَ ﴿ [الطور: ٣٥ - ٣٦]، إنهم يهربون من الله تعالى، ولا يريدون أن يقروا بما هو مغروس في نفوسهم من أن الذي خلقهم وخلق المادة وخلق الكون كله هو الله الواحد القهار؛ ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿ [النمل: ١٤].

٥- قد تأثر الماركسيون بمقولة داروين: "إن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق"، وقوله: "إن الطبيعة تحبب عيش عشواء"؛ لذلك ادعوا أن الناس نتاج الطبيعة؛ ولا شك أن هذا مذهب عباد الطبيعة - قديمًا وحديثًا - ولا يزيد على أن يكون مهربيًا وجدانيًا من إله الكنيسة - التي كانت تستعبد الناس في القرون الوسطى - إلى إله آخر ليست له كنيسة ولا التزامات؛ وعباده أحرار فيما يصنعون بأنفسهم لا سلطان لأحد عليهم إلا الهوى والشهوات.

وكما وجهنا لهم الأسئلة التي لا جواب عنها حين ادعوا أن المادة هي الخالق؛ كذلك نوجه لهم نفس الأسئلة مع استبدال لفظ "الطبيعة" بلفظ "المادة"؛ فنقول لهم: ماذا تقصدون بالطبيعة؟ العناصر الأولية وهي: التراب، والماء، والهواء، والنار؛ كما كان يقول بعض فلاسفة اليونان الأرائل؛ أم تقصدون بالطبيعة تلك المظاهر الصامتة من جبال وبحار وأهجار وأشجار وأزهار وجماد وحيوان وإنسان؟!

فلا يشك عاقل في أن العناصر الأولية أو مظاهر الطبيعة؛ كل فرد من ذلك ليس له القدرة على الخلق والإيجاد وإعطاء كل شيء صورته التي هو عليها، وتنسيق وظائف كل كائن بما يلائم ظروفه.

وكذلك اتفق العقلاء على أن أرقى الكائنات في هذه الطبيعة هو الإنسان، وأنه هو الذي يتمتع بالفكر والعقل، والقدرة على الاختراع، والسيطرة على غيره من أفراد الطبيعة؛ ومع ذلك لم يدع أحد - ولا يستطيع - أنه يخلق كل شيء، وأنه لا حد

لقدرته على الخلق؛ بل كل إنسان مقر في نفسه ولمن حوله أنه مخلوق مربوب، حتى الماركسيون - أنفسهم - وجميع الماديين والملحدين .

والحقيقة.. أن الطبيعة وثن وهمي يلجأ إليه هؤلاء الجاحدون ليلتقوا إليه بحيرتهم ودهشتهم كلما فاجأهم سر من أسرار الكون العجيب الذي يشهد أن لا إله إلا الله؛ فيهربون إلى هذا الوثن فراراً من الإقرار بما يجول في صدورهم من ربوبية الله تعالى للكون وألوهيته له وحده لا شريك له.

وإنه لمن الخير لهم أن يكشفوا أنفسهم بدلاً من هذه المغالطة الوهمية، ويسألوا أنفسهم هذا السؤال البدهي القريب: ما الطبيعة على وجه التحديد؟ وأين تكمن قدرتها على الخلق؟ في أي مكان منها؟ فإذا لم تكن محسوسة ولم يكن يحدها المكان ولا الحيز، وكان غيباً لا تدركه الأبصار؛ إنما تدرك آثاره فقط ومظاهره؛ فما الذي يبرر في منطق العقل أن نعدل عن الاسم الحقيقي "الله" ونلجأ إلى مسميات غير صحيحة علماً وعقلاً^(١).

ثم أخيراً.. أريد أن أسأل هذا السؤال المحير: كيف يكون الخالق الذي لا حد لقدرته على الخلق - في زعمهم - يخبط خبط عشواء؟!

لا شك أن من قال هذا الكلام يحدد الحق ويلفظ بهذا المرء استخفافاً بعقول الأتباع، وقصدًا بحتًا إلى نشر الإلحاد؛ لأغراض خبيثة يكنها في نفسه.

٦- لا شك أننا من خلال المناقشات السابقة تأكدنا من بطلان مادية الخالق، وأن المقصود الحقيقي من ترويح هذه الافتراءات التي لا تتوافق مع الفطرة السليمة، ولا العقل القويم، ولا العلم الصحيح؛ هو نشر الإلحاد الكامل الذي لا رجعة منه، وإزالة أي أثر من آثار الغيب في نفوس الناس؛ فيتحول الخالق إلى مادة! ويقال للناس: لا إله! والكون مادة! ومن هنا تصبح النفوس سهلة الانقياد والخضوع لشعب الله المختار؛ لأن

(١) انظر: السابق، ص: ٣٠٦، ٣٠٧.

من ألغى عقله واعتقد أن إله الكون مادة، ودنس باطنه بهذا الإلحاد الأسود، وانغمس في شهوات النفس وملذاتها؛ لا يمكنه أن يقول لطواغيت الماركسية والصهيونية: لا.

ب - نقض قوانين المادة:

لقد ألبس الماركسيون إلحادهم لباس العلم، وأوهوا الناس بأن للمادة - الخالق في زعمهم - قوانين بما تحكم الطبيعة والإنسان، وإذا كنا قد أثبتنا بالعقل والعلم بطلان أساس مذهبهم؛ وهو اعتبار المادة هي الخالق، وأما أزلية أبدية؛ فإن ما زيفوه من قوانين للمادة لا اعتبار له حينئذ؛ ولكننا سنطيل معهم النفس وناقشهم مناقشة علمية فيما ادعوا أنه قوانين.. وذلك على النحو التالي:

أ - لقد بني الماركسيون منهجهم الجدلي على قانون التطور الذي يدفعه التصارع والتناقض، وهذا التطور الذي حدث - ويحدث بصفة مستمرة - للمادة هو الذي به تخلق المادة الأشياء وتتحكم الطبيعة؛ لذا يقولون: إن المادة تطورت فأصبحت مادة حية، ثم تطورت فصارت إنساناً!

- ورغم ما في هذا الكلام من دعوى عريضة لا دليل عليها من العلم، ورغم ما فيه من سذاجة؛ فإننا سنحاول أن نناقشهم مناقشة علمية؛ فنقول لهم: كيف تطورت المادة؟ وما الذي جد على طبيعتها - فجأة - فتطورت إلى مادة حية؛ بينما هي كانت - في زعمهم - موجودة على صورتها منذ الأزل؟! وحين تطورت فلماذا لم تتطور كلها إلى مادة حية؟ ولماذا بقيت كميات هائلة من المادة لم تتطور إلى الآن؟! ولماذا حدث التطور في اتجاه الحياة بالذات؟ ولماذا حدث مرة واحدة ثم توقف؛ فلم تعد ذرة واحدة من المادة الجامدة تتحول إلى خلية حية مهما بذل معها من التجارب، ومهما تغيرت من حولها الظروف؟!!

- وحين تطورت المادة الحية - تلقائياً - فأصبحت - في أعلى حالات تطورها - إنساناً؛ فلماذا توقفت في التطور عند الإنسان ولم تتطور إلى ما هو أعلى منه؟ مع أن

التطور - في زعمهم - قانون من قوانين المادة، والقوانين لا تتوقف عن العمل؛ وإلا فهي ليست قوانين!

- ومن ناحية أخرى.. كيف تسمى للمادة المتطورة - التي هي الإنسان - أن تسيطر وتتحكم في المادة التي نتجت عنها؛ مع أن هذا ليس من قوانين المادة؟! فالقانون - المزعوم - هو تطور المادة، وليس سيطرة المتطور من المادة على غير المتطور منها. وهكذا نصل - علمياً - إلى ذات الطريق المسدود؛ سواء سرنا مع المادة الأزلية الأبدية عن طريق الخلق، أو عن طريق التطور الذاتي؛ في كلتا الحالين لا نجد تفسيراً لهذه السعوى على الإطلاق^(١)!

ب- لقد اصطدم المنهج الجدلي الماركسي مع العقل حين أقر بقانون التناقض؛ ومعلوم باتفاق العقلاء أن المتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان في آن واحد، وأن الصراع بين أضداد ومتناقضات مجتمعة في وحدة واحدة (يعني متحدة في الموضوع والشروط والظروف الزمانية والمكانية) مستحيل عقلاً^(٢).

وإذا كانوا يقصدون بالصراع والتناقض قيام كفاح بين أشياء مستقلة تتصارع فيما بينها لتؤدي إلى نتيجة معينة؛ فهذا النوع لا علاقة له بالتناقض؛ ومع ذلك فهو - أيضاً - خطأ من الناحية العلمية؛ لأن العلم الحديث قد أثبت أن المادة في الطبيعة؛ سواء على مستوى الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد في أصغر جزئياته؛ تقوم على قانون التناسق والتآلف، وليس التناقض والصراع؛ فظاهرة الذكورة والأنوثة، والليل والنهار، والسالب والموجب، والناقص والزائد؛ لا يحكمها - علمياً - قانون الصراع والجدل، وإنما يحكمها قانون التناسق والتكامل أو التعاقب؛ فلا وجود لليل بدون نهار يعقبه، ولا للذكر بدون الأنثى.. وهكذا.

(١) انظر: السابق: ص ٣١٠.

(٢) انظر: انصار الشيوعية: ص ٩١، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة ص: ١٩٨، ١٩٩.

فكل عنصر في الكون مكمل للآخر ليسير في نظام محكم من غير خلل ولا نشاز ولا صراع^(١)، وليدل على أن إله الكون واحد وأنه خالق حكيم بديع عليم قدير؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٤٩ - ٥٠].

ج - نقض التفسير المادي للتاريخ:

يكفي في نقض التفسير المادي للتاريخ ما قطع به الواقع المشاهد من سقوط الشيوعية وعدم زوال الرأسمالية حتى الآن؛ وبالتالي فالقول بجمالية تلاشي الرأسمالية وخلف الشيوعية الثانية لها باطل باتفاق الماركسيين الملحددين قبل المؤمنين بالله؛ ومع هذا فإننا سنطيل معهم النفس - كما اعتدنا - ونحاول أن نناقشهم مناقشة علمية من خلال النقاط الآتية:

١- أريد أن أنبه - أولاً - على أن ماركس لم يكن هو مبتكر التفسير المادي للتاريخ؛ بل سبقه إلى ذلك أفلاطون في جمهوريته؛ حيث تحدث أفلاطون عن المجتمعات المشاعية وطريقة معيشتها، ثم انتقل إلى التنافس على الملكية، ثم الصراع بين الأغنياء والفقراء، ثم نشأة البرجوازية؛ وكيف أنها يجمعها المال تقدم نفسها حين تدلج نيران الثورة التي تخلق المجتمع الشيوعي.

ولم يزد ماركس على ما اخترعه خيال أفلاطون، وادعى الماركسيون أن صاحبهم هو المبتكر لهذه الخرافة^(٢).

٢- لقد عجز ماركس عن التفريق بين تاريخ الإنسان وتاريخ الحيوان؛ فالإنسان عقل وإرادة وفكر، والحيوان شهوة ومادة وجبر؛ ولكن التفسير المادي يعكس هذه

(١) انظر: الميخار الشيوعية: ٩٣، ٩٤، وانظر - أيضاً: الأسس الفلسفية: ص ٢٤.

(٢) انظر: الميخار الشيوعية: ص ١٥٨، ١٥٩.

الحقائق الواقعية فينحط بالإنسان إلى درجة الحيوان - بل المادة والجماد - ويجعل تاريخه هو تاريخ بطنه لا تاريخ عقله، وتاريخ شهوته لا تاريخ إرادته. فالبشر عقول وأفكار تأتي بمواقف وأحداث، ومن ضمن هذه الأحداث والمواقف الأمور التي تخص الطعام والشراب ووسائل المعيشة والعوامل الاقتصادية والمادية؛ فهي جزئية في حياة الإنسان وليست هي كل تاريخه - كما ادعى الماركسيون^(١).

٣- لقد قلب ماركس الحقائق، ووضع العربة أمام الحصان؛ ذلك أنه فسر وجود الفكر والعقل واللغة وكل التراث الثقافي للإنسان من علم وسياسة واجتماع بل ودين بالعامل المادي وحده؛ وبالتحديد عوامل الإنتاج وعلاقات الإنتاج؛ وقال ذلك في عبارته الشهيرة: "ليس إدراك الناس هو الذي يعين معيشتهم ووجودهم؛ بل معيشتهم هي التي تعين إدراكهم"؛ أي أن وعي الإنسان وفكره ليس هو الذي يحدد له أسلوب معيسته؛ بل أسلوب المعيشة هو الذي يحدد هذا الوعي!

ولا شك أن هذا انحطاط بإنسانية الإنسان؛ أن يكون الإنسان العاقل هو مجرد ناتج من نواتج المادة والآلة، وهو كذلك انعكاس لما اتفقت عليه العقول والفطر السليمة؛ فإن الإنسان قد اخترع الطائرة من أجل هدف ورغبة قد حددها في ذهنه وفكره وهو سرعة التنقل، ولم يكن اختراع الطائرة هو الذي أنشأ هذه الرغبة وهذا الهدف في ذهن الإنسان، وكذلك فكر الإنسان هو الذي هداه إلى ابتكار وسائل الصيد والزراعة والصناعة؛ فعوامل الإنتاج تخضع لتوجيه الإنسان، وليست هي التي تملّي رغباتها وتوجيهها على الإنسان^(٢).

٤- ادعاء ماركس بأن تغيير الآلة ووسيلة الإنتاج يؤدي إلى تغيير النظام الاجتماعي والثقافي؛ ادعاء باطل يكذبه الواقع المعاش؛ فلقد تطورت آلات الإنتاج

(١) انظر: السابق: ص ١٥٩، ١٦٠.

(٢) انظر: السابق: ص ١٦٠، ١٦١، وانظر سقوط الماركسية: ص ٥٢.

في أوروبا وأمريكا تطوراً كبيراً، ووصلت إلى أحدث الأساليب التكنولوجية في الإنتاج؛ ومع ذلك فالنظام الرأسمالي كما هو، والنظام الاجتماعي كما هو، والنظام الديني كما هو؛ وهكذا تغيرت الآلة ولم يتغير بناء المجتمع - كما ادعى ماركس^(١).

٥- ما هو البرهان الذي أثبت به ماركس تفسيره للتاريخ؟ ليس هناك برهان؛ إنما هو اعتماد على روايات وقصص تاريخية لم تشاهد؛ لذلك يرفض أنصار النظرية الاجتماعية الحديثة - مثل ليزلي هوايت - فكرة القوانين الحتمية للتطور في النظم الاجتماعية؛ ذلك أن لكل مجتمع ظروفه الجغرافية والتاريخية والثقافية المميزة له^(٢).

٦- الحتميات الثلاث: المادية - الاقتصادية - التاريخية؛ هي التي تشكل حياة الإنسان وتغير ظروفه، والمادة وقوانينها هي التي تتصرف في شئون الناس؛ هذا هو اعتقاد الماركسيين؛ فلماذا لا تصنع المادة وقوانينها هذا التغيير في حياة الحيوان؟ لماذا لم يكن للحيوان تاريخ مثل تاريخ الإنسان - طالما أن المادة هي التي تتصرف في الإنسان والحيوان والكون كله؛ وطالما أن قوانين المادة حتمية؟!

لا شك أنه لا يوجد جواب عن هذه الأسئلة؛ لأن القول بأن المادة هي التي تتحكم في الإنسان وفي ظروفه وفي تاريخه باطل علمياً وعقلياً، والصحيح أن الإنسان وما عنده من رغبات في المعرفة والبحث في الكون وتحسين أحواله المعيشية في شتى جوانبها هو السبب الأساسي في تغيير مجرى التاريخ، وما أودعه الله تعالى في الإنسان من عقل وفكر وخصائص وشهوات هي التي تدفع بعض الناس إلى الخير وبعضهم إلى الشر؛ وبذلك تتنوع أحداث التاريخ طبقاً لمعارف الناس وعلومهم وأفكارهم وأخلاقهم ومشاعرهم وأديانهم وطبائعهم.. إلى غير ذلك من أمور.

(١) انظر: انهار الشيوعية: ص ١٦٢، سقوط الماركسية: ص ٥٦.

(٢) انظر: انهار الشيوعية: ص ١٦٤.

والدليل على ذلك أن الحمار - مثلاً - ليس له تاريخ؛ فالحمار الذي عاش قبل عشرة آلاف سنة هو الحمار الذي يعيش اليوم؛ لم يغير شيئاً في واقع حياته، ولا يملك أن يغير؛ لأنه لم يوهب ما عند الإنسان من ملكات ومشاعر ورغبات^(١).

٧- لماذا يقتصر التفسير المادي للتاريخ على الأمور الجاهلية وحدها؟ ولماذا يُحصر مراحلها في هذه المراحل الخمس (الشيوعية الأولى - الرق - الإقطاع - الرأسمالية - الشيوعية الثانية) - رغم أنه لا يوجد دليل على هذا الحصر، وأن للتاريخ زوايا متعددة قد اهتم بها العلماء؛ كلٌّ في تخصصه؟!!

- فقد اهتم العلماء بتفسير التاريخ من نواح متعددة؛ مثل: التفسير الديني للتاريخ، والتفسير الجغرافي، والتفسير الاجتماعي.. وغير ذلك^(٢).

- وقد كان للأمم الغابرة حضارات عريقة؛ مثل: المصريين القدماء، والصينيين، وليونان، والرومان، وتنوعت عند هذه الأمم المعارف وسبل المعاش من صيد وزراعة وصناعة وتجارة وغير ذلك، وكان لهم حكام وملوك وساسة، وكان لكل أمة ولكل بلد نظام في التحاكم والتعاش؛ وكل ذلك كان يختلف - كثيراً أو قليلاً - عن المراحل الخمس التي اقتصر عليها الماركسيون.

وأهم من ذلك كله.. أن ماركس قد تجاهل في تفسيره المادي للتاريخ تاريخ الإسلام؛ رغم أن الإسلام قد شغل رقعة فسيحة من المعمورة، وحكم جزءاً كبيراً من الأرض أكثر من عشرة قرون؛ فأى تفسير يتجاهل تفسير تاريخ الإسلام فهو تفسير غير عملي، وأي تفسير يعجز عن تفسير تاريخ الإسلام فهو غير صالح لتفسير تاريخ البشرية^(٣).

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: ص ٣٨١.

(٢) انظر: أمّيار الشيوعية: ص ١٦٢، ١٦٣، سقوط الماركسية: ص ٥٣.

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: ص ٣٨٥.

- ومعلوم أن تاريخ الإسلام لم يشتمل على هذه المراحل الجاهلية التي اهتم بما التفسير المادي الماركسي، وإنما اشتمل على ضد هذه المراحل: من العلم والإيمان ونشر الأخلاق القويمة من المساواة والعدل والأخوة.
- والحق.. أن الماركسيين اقتصروا على هذه المراحل الجاهلية في تاريخ البشرية لإعادة أسفل هذه المراحل مرة أخرى وهي الشيوعية؛ ليصبح المجتمع جاهلياً يسهل انقياده وخضوعه لليهود الملحدين؛ لذلك يجب علينا لزاماً أن نسمي هذا التفسير باسمه اللائق به؛ وهو: "التفسير الجاهلي للتاريخ".

خلاصة الوحدة الثالثة

نستخلص مما سبق في هذه الوحدة ما يلي:

- ١- الديالكتيك: مأخوذة من "دياليجو" - كلمة يونانية - ومعناها: الجدل، وقد حاول ماركس أن يفسر بها مادة الإنسان والمخلوقات والأحداث والتاريخ.
- ٢- المادة الجدلية تصور خاص لقضايا الألوهية والكون والحياة والإنسان؛ يقوم على أساس مادي بحت؛ وهو أن المادة هي الشيء الوحيد الأصيل في هذا الكون، وأن كل ما في الكون ومن فيه منبثق من المادة ومحكوم بقوانينها، ولا وجود له خارجها.
- ٣- أزلية المادة: بمعنى أن المادة لا بداية لها ولا نهاية؛ لأنها انبثقت كل الكائنات - كما يدعي ماركس وأتباعه.
- ٤- يرى الماركسيون أن المادة سابقة على الفكر، وأن كل غيبي غير مادي فهو غير موجود ولا يمكن أن يوجد.
- ٥- الطبيعة قد وجدت قبل الناس وقبل الكائنات الحية عمومًا، والناس نتاجها.
- ٦- قوانين المادة أربعة؛ هي:
 - أ - الترابط في الطبيعة: هو ارتباط جميع أفراد الطبيعة من كائنات مع بعضها ترابطاً عضوياً؛ بحيث لا يمكن فهم أي حادث بمعزل عن بقية الحوادث.
 - ب- الحركة في الطبيعة: الأشياء في الطبيعة في حركة دائمة من غير سكون.
 - ج- التطور في الطبيعة: هو انتقال الأشياء من حالة إلى أخرى بسرعة فجائية، ومن البسيط إلى المركب، ومن الأدنى إلى الأعلى؛ مع إحداث قفزات متكررة.
 - د- التناقض في الطبيعة: هو صراع بين المتضادات لإحداث تغيرات جديدة في الكون،

ونتيجة هذا التناقض: هي تولد أنواع جديدة من الكائنات في الطبيعة.

- والربط بين هذه القوانين يقوم على أساس التماسك بين أشكال المادة - وهي جميع المخلوقات - وحركتها الدائمة التي تؤدي إلى تطورها في صورة مستمرة إلى أعلى؛ من الجماد إلى الكائنات الحية إلى الإنسان، وأن هذا التطور يدفعه الصراع الذي هو نتيجة التناقض في الطبيعة بين قانون التطور الحتمي وقانون التغير؛ فينشأ من ذلك مخلوقات جديدة وتفتي أخرى؛ مثل موت القدم وولادة الجديد.

٧- العالم - في الحقيقة - ليس له من معنى ولا هدف؛ غير أنه يتطور بطريقة عمياء متمشيًا مع قوانين المادة الأبدية.

٨- المادية الجدلية أساس لتطبيق التفسير المادي للتاريخ الذي يفرض قوانين المادة على المجتمع وتاريخه.

٩- قوانين المادة هي التي تحكم حياة البشر الاجتماعية؛ حيث إن الوضع المادي والاقتصادي في تطور دائم؛ ومن ثم فإن الأفكار والمشاعر والمؤسسات والنظم التي تنبثق عنه دائمة التطور - كذلك - بحكم ارتباطها بالوضع المادي وانبثاقها عنه.

١٠- بداية المادية التاريخية هي نظرية التطور الداروينية؛ لأن داروين يرى أن الحياة بدأت من الكائن الوحيد الخلية ثم تطور إلى القرد ثم إلى الإنسان، ويرى أن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق، وأنها تخطط خبط عشواء، وأن الظروف المادية المحيطة بالكائن الحي هي التي تحكم حياته كما تحكم تطوره.

١١- بناء على المبادئ الداروينية يرى الماركسيون أن الإنتاج المادي هو أساس الحياة البشرية كلها، وأساس التاريخ البشري، وأن وسائل الإنتاج التي يستخدمها الناس - قديمًا وحديثًا - هي التي حددت أشكال المجتمع في أطواره الخمسة (الشيوعية الأولى - الرق - الإقطاع - الرأسمالية - الشيوعية الثانية)؛ فكل مرحلة من هذه المراحل كان لها نظامها السياسي والاجتماعي والديني والأخلاقي والفكري التابع

من علاقات الإنتاج ووسائله.

١٢- الحتميات: هي: المادية، والاقتصادية، والتاريخية، والتاريخية تمر بالمراحل الخمس السابقة بصورة حتمية وضرورية؛ بحيث لا يشذ عنها شيء في الزمان ولا المكان.

١٣- التفسير المادي للتاريخ يقرب الحقائق فيحول المادة والاقتصاد إلى كائن له عقل يسوق الإنسان أمامه ويحدد له عقله وفكره وحياته كلها.

١٤- واضح أن المادية الجدلية التاريخية تضي على المادة صفات الخالق الأزلي الأبدي الذي لا موجود سواه؛ وهذا باطل لأنه يصطدم مع العلم، ويتناقى مع العقل، ويناقض الفطرة السليمة؛ وذلك لما يلي:

أ- الادعاء بأنه لا موجود إلا المادة يحتاج إلى دليل، ولا دليل.

ب- تعريفات الماركسيين للمادة على أنها كل شيء محسوس ينقضه وجود أشياء غير محسوسة كالفكر والروح والمشاعر، وكذلك اعتبارها: كل شيء لا يعتمد في وجوده على عقلا أو على وعينا به؛ ينقضه أن الله جل جلاله لا يعتمد على وعينا في وجوده؛ بل هو خالقنا وخالق وعينا وعقلنا، وكان ولم يكن إنسان، ويبقى وكل من عليها فان - جل في علاه.

ج- العلم الحديث يثبت أن المادة حادثة، وأما فانية وزائلة ولا بد؛ ولذا فإن العبارة التي تتردد في المدارس من أن المادة لا تفني ولا تستحدث خطأ دينياً وعلمياً.

د- كيف تخلق المادة التي لا تعقل إنساناً يعقل ويفكر؟ وكيف يسيطر الإنسان المخلوق على المادة التي هي خالقة؟

هـ- ما المقصود بالطبيعة؟ العناصر الأولية من تراب وهواء وماء ونار، أم مظاهر الطبيعة من جماد ونبات وحيوان وإنسان؟ فكل ذلك لم يدع أنه هو الذي أنتج الإنسان وخلقته. ثم كيف تكون الطبيعة هي الموجدة لهذا النظام البديع ويكون من أساس صفاتها أنها تحبب حبط عشواء؟!

١٥- الحق أن الغرض من مادية الخالق هو إشاعة الإلحاد ليسهل تعبيد الناس لطواغيت الماركسية والصهيونية.

١٦- قانون التطور الذي ادعاه الماركسيون باطل علمًا وعقلًا؛ لأن قانون التطور يحتم انتقال المادة إلى مادة حية ثم إلى إنسان؛ فلماذا - إذن - لا يتطور الإنسان إلى شيء آخر أرقى منه؛ طالما أن التطور حتمي ومستمر؟ ولماذا لم تتطور جميع الكائنات إلى إنسان، وظلت الصخور والرمال على حالها جمادات لا عقل لها ولا وعي؟!

١٧- قانون التناقض مخالف للعقل؛ لأن التناقض لا يجتمعان معًا في آن واحد، وكذلك هو مخالف للعلم والواقع المشاهد؛ لأن الكون كله يشهد؛ والتجارب العلمية تثبت: أن المخلوقات في تآلف وتكامل وتعاقب ونظام بديع؛ لا تصارع ولا تناقض بينها.

١٨- ماركس سطا على أفكار أفلاطون في جمهوريته، ووضع لهذه الأفكار مسمى التفسير المادي للتاريخ، وادعي أنها من ابتكاره.

١٩- عجز ماركس عن التفريق بين تاريخ الإنسان المبني على العقل والإرادة؛ وبين تاريخ الحيوان المبني على الشهوة والمادة.

٢٠- قلب ماركس الحقائق وجعل العربة أمام الحصان؛ حين فسر الفكر والعقل والتراث الثقافي للإنسان بعوامل الإنتاج المادية.

٢١- ادعاء ماركس بأن وسائل الإنتاج تؤدي إلى تغير النظام الاجتماعي؛ ادعاء باطل يكذبه الواقع المشاهد في أوروبا وأمريكا.

٢٢- ادعاء الماركسيين بأن الأطوار التاريخية أطوار حتمية باطل يكذبه الواقع؛ حيث لا تزال الرأسمالية قائمة، وسقطت الشيوعية في عقر دارها، وتحلّي عنها أهلها في روسيا وكثير من دول أوروبا الشرقية.

٢٣- لماذا لا تصنع الحتمية المادية التاريخية الاقتصادية تاريخياً للحيوان كما صنعت تاريخاً للإنسان، ولماذا لا تتصرف في الإنسان والحيوان معاً بنفس القانون؛ بل الصحيح هو أن الإنسان - بما أودع الله تعالى فيه من إرادة وفكر وعقل وشهوة وشعور - هو السبب الأساسي في تغيير مجرى التاريخ.

٢٤- اقتصار الماركسيين على هذه الأطوار الخمسة التي هي من صفات الجاهليين، وتركهم لكل الأوجه التاريخية في تاريخ البشر من اجتماع وعلم وصناعة وتجارة وحكم وسياسة ودين وأخلاق، وتجاهلهم لتاريخ الإسلام النظيف من هذه الأطوار الجاهلية؛ أكبر دليل على أن تفسيرهم للتاريخ تفسير غير علمي وغير موضوعي.

٢٥- والحق.. أن الماركسيين اقتصروا على هذه المراحل الجاهلية في تاريخ البشرية لإعادة أسفل هذه المراحل وهي الشيوعية المفسدة؛ ليصبح المجتمع جاهلياً سهلاً انقياده وخضوعه لليهود الملحدين؛ لذلك يحسن أن نسميه بالتفسير الجاهلي للتاريخ؛ بدلاً من التفسير المادي للتاريخ.

الاختبار البعدي للوحدة الثالثة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

- ١- المادية الجدلية تصور خاص لقضايا الألوهية والكون والحياة.
- ٢- يرى الماركسيون أن الفكر كان قبل المادة.
- ٣- يرى داروين أن الطبيعة تسمع وترى.
- ٤- يرى داروين أن الطبيعة خلقت الناس.
- ٥- للمادة سبعة قوانين عند الماركسيين.
- ٦- الديالكتيك كلمة يونانية تعني المادة.
- ٧- أزلية المادة تستلزم فناء المادة.
- ٨- الترابط في الطبيعة والتناقض فيها شيء واحد.
- ٩- الحتميات أربع: مادية واقتصادية وتاريخية وجدلية.
- ١٠- الشيوعية الأولى كانت بعد الرق مباشرة.
- ١١- التطور المادي يحدث منقطعاً وكثيراً ما يتوقف - كما يرى الماركسيين.
- ١٢- العالم ليس له هدف ولا معنى - على رأي الماركسيين.
- ١٣- يرى لينين أن التطور حتمي ومستمر ويدفعه الصراع الدائم.
- ١٤- أخذ ماركس التفسير المادي للتاريخ من أرسطو.
- ١٥- المراحل التاريخية عند الشيوعيين ثلاثة فقط.
- ١٦- الإنتاج هو الذي يتحكم في المجتمع وتاريخه - كما يتصور ماركس.

- ١٧- وضع ماركس العربة قبل الحصان في تفسيره المادي للتاريخ.
- ١٨- عبارة: "المادة لا تفني ولا تستحدث" صحيحة علمياً.
- ١٩- عبارة: "المادة لا تفني ولا تستحدث" مناقضة للدين والعلم.
- ٢٠- أصاب لينين في تعريفه للمادة وخرج من جميع المآزق.
- ٢١- المشاعر ليست من المادة عند جميع العقلاء.
- ٢٢- التناقض في المادة قانون علمي صحيح.
- ٢٣- يمكن للمادة التي لا عقل لها أن تخلق إنساناً له عقل.
- ٢٤- الحمار له تاريخ كما أن للإنسان تاريخاً.
- ٢٥- لم يفرق ماركس بين تاريخ الإنسان وتاريخ الحيوان.
- ٢٦- المادة التاريخية هي المادة الاقتصادية عند الماركسيين.
- ٢٧- تفسير التناقض بقيام صراع بين أشياء مستقلة صحيح علمياً.
- ٢٨- قال داروين: الطبيعة تخبط خبط عشواء.
- ٢٩- تجاهل ماركس التاريخ الإسلامي.
- ٣٠- الهدف من المادة الجدلية التاريخية هو إخضاع الناس لملاحدة اليهود.

ثانياً: أسئلة الاختبار من متعدد:

- ١- الذي قال: الفكر نتاج الدماغ.. فلا يمكن فصل الفكر عن المادة:
 - أ - ماركس.
 - ب- داروين.
 - ج- لينين.
 - د- ستالين.
- ٢- الذي قال: خارج الطبيعة والإنسان لا يوجد شيء:
 - أ - أفلاطون.
 - ب- ستالين.
 - ج- إنجلز.
 - د- ماركس.
- ٣- يرى الماركسيون أن الكون هو:
 - أ - الطبيعة الصامتة فقط.
 - ب- الكائنات الحية فقط.

- ج- المادة المتطورة إلى أعلى. د- المجتمع البشري المتطور.
- ٤- الذي قال: الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق:
- أ- نيوتن. ب- لينين. ج- داروين. د- إنجلز.
- ٥- وسائل الإنتاج في نظر ماركس؛ هي:
- أ- أدوات الصيد فقط. ب- آلات الصناعة فقط.
- ج- وسائل الزراعة فقط. د- كل ما سبق وغيره.
- ٦- الشيوعية الثانية عند الماركسيين:
- أ- أول أطوار التاريخ. ب- الطور الأخير المستمر.
- ج- الطور الأخير الزائل. د- الطور الثالث المنتهي.
- ٧- الواقع المشاهد:
- أ- صدق ماركس في زوال الرأسمالية.
- ب- كذب ماركس في زوال الرأسمالية.
- ج- كذب لينين في سقوط روسيا القيصرية.
- د- صدق ستالين في دوام الشيوعية.
- ٨- تعريف لينين للمادة؛ هو أن المادة هي:
- أ- التي تدرك بالحواس فقط.
- ب- التي لا تدرك بالحواس مطلقاً.
- ج- الشيء المعنوي فقط.
- د- الشيء الذي لا يعتمد في وجوده على وعينا.
- ٩- عبارة: "لا موجود إلا المادة"؛ جاءت نتيجة:
- أ- استقراء علمي صحيح.

- ب- استقراء فلسفي محتمل الصحة.
ج- افتراض علمي يمكن إثباته.
د - دعوى لا دليل عليها من العلم.
١٠- الهدف الخفي من المادية الجدلية التاريخية؛ هو:
أ - هداية الناس إلى الحق.
ب- تحسين المستوى المعيشي.
ج- إخضاع العالم لطواغيت الصهيونية.
د - انتصار روسيا على أمريكا.

ثالثاً: الأسئلة التحليلية:

- ١- ناقش هذه الادعاءات الماركسية مناقشة علمية هادئة:
أ - لا موجود إلا المادة.
ب- المادة لا تفني ولا تستحدث.
ج- الكون كله خاضع لتطور حتمي مستمر.
د - الطبيعة تشتمل على تناقض مادي تنشأ بسببه الكائنات.
هـ- الإنتاج المادي هو أساس الحياة البشرية كلها.
٢- اذكر ما تعرفه عن:
- أزلية المادة وأبديتها.
- نظرية التطور الداروينية.
- التناقض في الطبيعة.
- الطبقات الاجتماعية في جمهورية أفلاطون.
- الحتميات الثلاث في الماركسية.
٣- كيف وضع ماركس العربة أمام الحصان في تفسيره المادي للتاريخ؟ وكيف تناقض تفسيره؟

رابعاً: أسئلة المقال:

اكتب بوجوه مختصرة في:

- ١- نقض التفسير المادي للخالق.
- ٢- نقض قوانين المادة الماركسية.
- ٣- نقض التفسير المادي للتاريخ.



الوحدة الرابعة

الإنسان والدين في نظر الماركسيين

مبورات دراسة الوحدة الرابعة:

أربعة أمور مركوزة في فطرة الإنسان - أي إنسان - هي:
أولاً: وجود الله تعالى، وخلقه للكون بما فيه الإنسان، وربوبيته وقهره لمخلوقاته،
وتدبيره لشئون العالم.

ثانياً: الدين بما يشمل عليه من: تعظيم الإله، واتخاذ شعائر لتحقيق عبودية هذا
الإله؛ حتى ولو كان هذا الدين باطلاً، وهذا الإله مخلوقاً مزعوماً .

ثالثاً: فكر الإنسان وعقله ووعيه، واليقين بأن هذا الفكر والوعي شيء آخر
يختلف عن أعضاء الإنسان الحسية التي هي لحم وعظم.

رابعاً: الأخلاق الحسنة؛ التي هي معايير على أساسها ينظم الناس حياتهم؛ مثل:
الحق، والعدل والعفة، ونحو ذلك.

فهذه الأمور قد أجمعت عليها البشرية، ولا تجد أحداً ينكرها إلا أن يوصف
بواحد من هذين الوصفين:

أ - إما أن يكون شاذاً، مريضاً نفسياً، خارجاً عن دائرة المكلفين العقلاء من
لبشر.

ب- وإما أن يكون معانداً جاحداً؛ يدعي خلاف ما هو مستقر في نفسه،
ومركوز في فطرته من هذه الحقائق المتفق عليها؛ والذي دفعه إلى هذا الإنكار هو
غرض خبيث يخطط له؛ ومهما تصورنا هذا الغرض؛ فإنه لن يخرج عن دائرة الأطماع
البشرية من الرغبة في العلو في الأرض، والسيطرة على العالم، واتخاذ الوسائل الدنيئة في
سبيل ذلك.

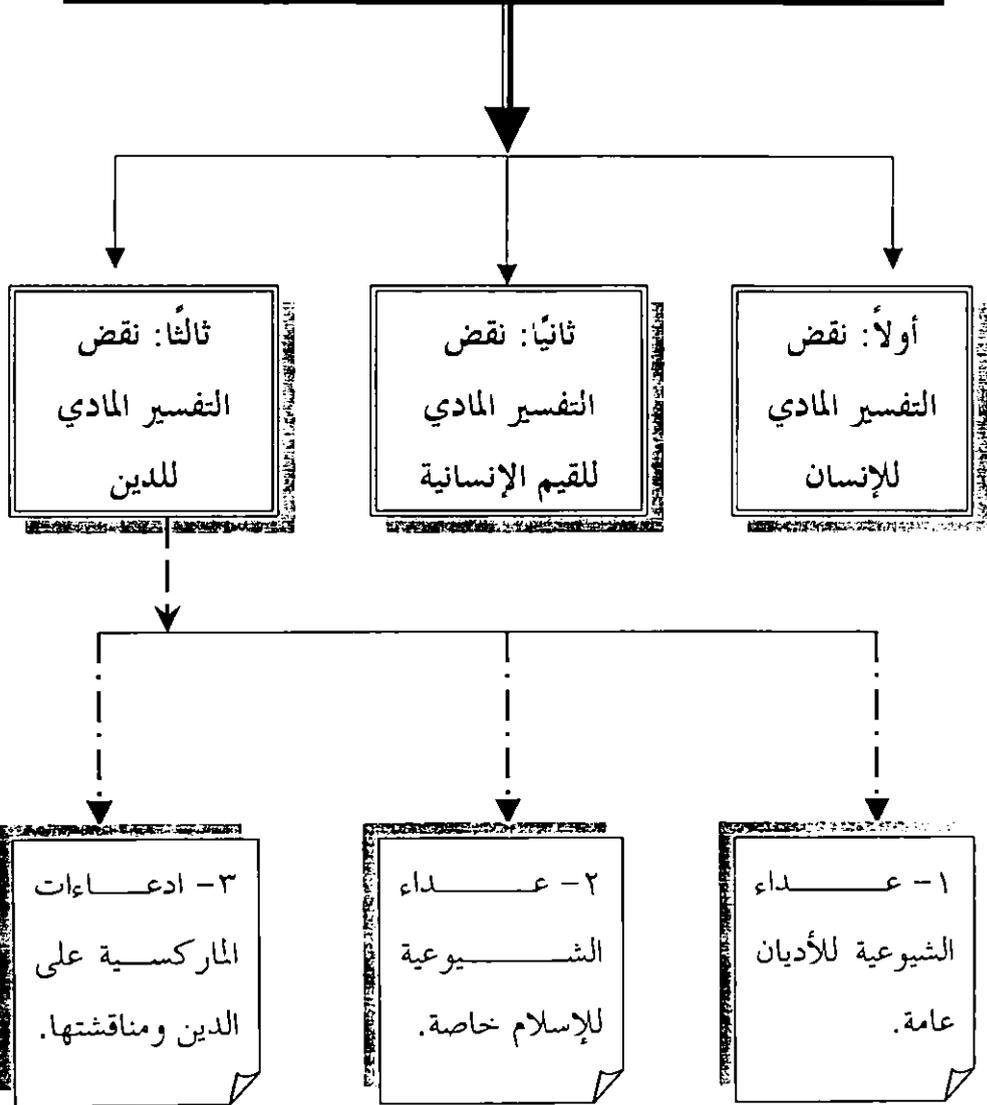
وبناء على ذلك.. نريد أن نتساءل: لماذا أنكر الماركسيون هذه الأمور الفطرية؟ وما هي فلسفتهم التي اعتمدوا عليها في ذلك؟ وما الهدف الحقيقي من وراء هذا الإنكار لمثل هذه الأمور المغروسة في أعماق النفوس؟ للإجابة على هذه الأسئلة المهمة أدعوك - عزيزي الطائب - إلى دراسة هذه الوحدة بجد واهتمام؛ مستعينًا بالله تعالى؛ فهو حسبنا ونعم الوكيل.

الأهداف التعليمية للوحدة الرابعة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تبين نظرة كل من ماركس وداروين لنشأة الإنسان وتطوره.
- ٢- تناقش تفسير الماركسيين المادي للقيم الإنسانية.
- ٤- تبرهن على عداء الشيوعيين للأديان عامة وللإسلام خاصة.
- ٥- تنقض التفسير المادي للدين.
- ٦- تثبت وجود الله تعالى بالبراهين العقلية والعلمية.
- ٧- توضح كيف كان الشيوعيون غير أصلاء في إنكارهم للبعث.

الوحدة الرابعة: الإنسان والدين في نظر الماركسيين



الإنسان والدين في نظر الماركسيين

الوحدة الرابعة

سلف في الوحدة السابقة أن الماركسية تدعي أنه لا وجود إلا للمادة، وحتى عقل الإنسان هو انعكاس لها وصورة من صورها، والإنسان نفسه شكل من أشكال المادة، وكل غيبي غير مادي فهو غير موجود؛ وبالتالي فالدين وما يشتمل عليه من غيبات - في نظرهم - خرافة ابتدعتها خيال الإنسان ولا أساس لها في عالم الوجود. وقد بنوا على هذا الاعتقاد رفض جميع القيم الإنسانية والأسس الدينية والأخلاقية، ولم يكتفوا بذلك؛ بل أنزلوا تصورهم هذا على أرض الواقع، وبدأوا يتعاملون مع الإنسان لا كإنسان ولكن كمادة، ويسلكون مع أهل الأديان سلوكاً بشعاً لا يصدر من إنسان فيه روح وله مشاعر ووجدان؛ بل من إنسان كالحجارة أو أشد قسوة..

وفي هذه الوحدة سأقوم بنقد تفسيرهم المادي للإنسان والدين بشيء من التفصيل؛ مع حكاية بعض تطبيقاتهم العملية في هذا الشأن في واقع الحياة؛ ليتبين لنا هدفهم الخفي من وراء هذا الفكر الغامض والشاذ.. وذلك على النحو التالي:

أولاً: نقض التفسير المادي للإنسان:

- استغل ماركس النظرية الداروينية - التي صورت الإنسان على أنه حيوان من نتاج الطبيعة - في الإسراف في تشويه صورة الإنسان الكريمة العالية، وصوره في صورة هابطة تحجب عنه مجالات رفعة وإشراقه.
- وفي الحقيقة.. إن داروين نفسه - رغم نفيه الخلق المباشر للإنسان على صورته الإنسانية؛ وإحاقه بسلسلة التطور الحيواني - لم يهبط به إلى المستوى الذي وضعته فيه المادية الجدلية التاريخية، فإن الإنسان عنده كائن حي تطور عن القردة العليا

مع فاصل تطوري تصوره ولم يعثر عليه فسماه "الحلقة المفقودة"، وهي الحلقة الوسيطة بين القرد والإنسان، كما كان الإنسان عنده متأثراً بالبيئة المادية في تطوره من الحالة القردية إلى الحالة الإنسانية؟ لأن ظروف البيئة المادية هي التي أحدثت سلسلة التطور من أول الكائن الوحيد الخلية إلى الإنسان - كما سبق .

وعلى هذا .. فالإنسان لم يكن - قط - في التصور الدارويني مادة، ولا كانت قوانين المادة منطبقة عليه؛ فمذ تحولت المادة الميتة إلى مادة حية - بصورة لم يشأ داروين أن يتعرض لها؛ بل هرب لكيلا تلجئه إلى الاعتراف بالإرادة الإلهية في إخراج الحي من الميت - وهي تحكم بقوانين الحياة لا قوانين المادة الميتة.

وكانت تلك بديهية عند داروين وعند الناس جميعاً؛ لا يخالفهم فيها شك؛ لأنها أوضح من أن يثور فيها الشك.

ولئن كان داروين قد رد الإنسان إلى المرتبة الحيوانية - على أساس جسده - مغفلاً تفرد الإنسان؛ فإنه على أي حال قد ارتفع بالكائنات الحية جميعاً بما فيها الإنسان - بل هو في قمتها - عن مجال المادة، وجعل مجال الحديث عنها هو علم "الحياة" الذي يختلف اختلافاً كبيراً عن علم "المادة".

بينما هبط التفسير المادي للتاريخ بالإنسان إلى دركة أسفل من المرحلة الحيوانية؛ ليرتد في مهاوي المادية الحالكة؛ حيث يعود إلى التراب من غير روح، ويصبح قانونه هو قانون التراب.

- إن منطق الماركسيين منطق عجيب يجعل "الإنسان نتاج المادة"؛ فإذا قيل: وفكر الإنسان وعقله؟! يقولون: "الفكر نتاج الدماغ، والدماغ مادة!"

فإذا كان الماركسيون عندهم هذا القدر من الحصانة والعقل وسرعة الجواب فليجيبوا لنا على هذه الأسئلة: إذا كان الأصل في الفكر هو مادة الدماغ؛ فإنه لا يختلف مخ الطفل الوليد عن مخ الإنسان الناضج؛ من حيث تركيبه المادي؛ فلماذا -

بداً - لا يفكر الطفل بينما يفكر الإنسان الناضج؟ ولماذا الطفل - حين يميز أو يبدأ يفكر - يفكر على نحو مختلف عن تفكير الإنسان الناضج من جميع الوجوه؟ هل هناك عناصر مادية تضاف إلى مخ الطفل فيصبح مخ إنسان ناضج؟ وما تلك العناصر على وجه التحديد؟ وأخاخ الناس جميعهم - من حيث التركيب المادي - متشابهة إن لم تكن متماثلة.. فلماذا يختلف تفكير شخص عن شخص آخر اختلافاً تاماً مع عدم وجود اختلاف في المادة التي يصدر عنها هذا الفكر وذاك؟!

وحيث لو كشفنا على مخه لأبصرنا تغيراً معيناً ملموساً طراً عليه، فاسود - مثلاً - بعد بياضه، أو زادت فيه كمية النحاس ونقصت كمية الفوسفور؟!

- يدعي الشيوعيون أن الإنسان سيد هذا الكون - لا إيماناً بهذه الحقيقة؛ ولكن لينفوا فقط ألوهية الله لهذا الكون وكل ما فيه بما في ذلك الإنسان، فإذا أخرجوا الإنسان من مجال العبودية لله ردوه أسفل سافلين؛ تحكمه الحتميات، وتمرغه المادة في الوحل - فإننا نسألهم: ما الذي يجعله سيداً للكون رغم أنه من نفس التركيب المادي الذي يتركب منه الكون؟ وتجري عليه نفس قوانين المادة التي تحكم الكون - كما تدعون؟

- إن المؤمنين بالله ورسله يؤمنون بأن الإنسان من مادة هذا الكون؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْتُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]؛ ولكنهم يؤمنون بأن هناك شيئاً آخر غير الطين هو الذي جعل الإنسان إنساناً وميزه على بقية الخلق؛ ذلك هو النفخة العلوية فيه؛ كما قال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ - ٧٢].

فإذا جرده الشيوعيون من نفخة الروح وجعلوه طيناً فحسب؛ فكيف يفسرون

سيادة الطين على الطين، أو سيادة جزء من المادة على بقية المادة المماثلة لها تماماً في التركيب؟! وكيف يكون هذا منطقاً علمياً تبني عليه نظرية علمية وتفسير علمي للحياة البشرية؟!!

- إن انطباق قوانين المادة الجامدة على الإنسان أسطورة غير مسبوقة في تاريخ الفكر البشري، إنما مجرد هراء يتلبس بزى علمي مزيف؛ لا يمكن تفسيره إلا إذا أخرجناه تماماً من دائرة العلم، ونظرنا إليه من زاوية الهدف المقصود منه؛ وهو مسح الإنسان وتشويبهه والهبوط به إلى الدرك الأسفل؛ لينحقق المخطط الكبير؛ وهو تعويد الناس لطواغيت الصهيونية..

لا بد - إذا - أن يلحق الإنسان بالمادة ويرتبط بقوانينها خشية أن ينفلت ذات يوم من القبضة الشريرة إذا بقيت له صفة الآدمية؛ لأن من صفات الآدمية حرية الاختيار، وإذا اختار رفع رأسه وقال: "أنا إنسان"؛ فكيف ينصاع حينئذٍ للشعب المختار^(١)؟!!

ثانياً: نقض التفسير المادي للقيم الإنسانية:

منذ جعل الإنسان مادة فقد أُلغيت في الحقيقة كل القيم على الفور، ولم يعد لها مكان في حياة الإنسان؛ فأنى للمادة - مهما تطورت - أن يكون لها قيم؛ روحية أو نفسية أو خلقية؟! ولكن الشيوعية ما كانت تملك أن تتجاهل وجود القيم في التاريخ البشري؛ فكان لا بد من أن تعطى تفسيراً ما، يفسدها ويشوهها ليقضي عليها في النهاية.

والتفسير المادي للقيم هو الأداة التي اختارها الشيوعية لأداء جريمتها الكبرى؛

(١) انظر تفصيل هذا الموضوع في: الشيوعية والإنسانية - العقاد: ص ١١٥ - ١٣٥، مذاهب فكرية

معاصرة - محمد قطب: ص ٣١٤ - ٣١٩.

فهي تتظاهر بإعطاء تفسير لتلك القيم؛ بينما ذلك التفسير في الحقيقة يلغي القيم إلغاءً بآناً ويقضي عليها من منبتها؛ ومع ذلك فإننا سنتجاهل هذه الحقيقة، ونتعامل مع تفسيرهم كأنه جاد، ونعرضه مع مناقشته مناقشة علمية على النحو التالي:

يتمثل التفسير المادي للقيم الإنسانية في مجموعة من النقاط نُحملها فيما يلي:

- ١- تضخيم العامل المادي والاقتصادي وجعله أساس كل شيء في حياة الإنسان.
 - ٢- اعتبار القيم المعنوية كلها مجرد انعكاس للوضع المادي والاقتصادي.
 - ٣- نفي وجود قيم ثابتة بحكم التطور الذي يغير القيم كلها كلما تغير الوضع المادي والاقتصادي.
 - ٤- السخرية بالحق والعدل والأخلاق المركزة في الفطر الإنسانية، والقول بخضوع الناس للحتميات المادية والاقتصادية والتاريخية.
- وبيان هذه النقاط مع مناقشتها ونقضها.. كما يلي:

أ - تضخيم العامل المادي والاقتصادي، واعتبار القيم المعنوية مجرد انعكاس

لها:

يعتبر الماركسيون الشيوعية الأولى حالة من الهدوء والاستقرار والسعادة والتعاون الأخوي، وهي كلها قيم معنوية سببها الوحيد هو عدم وجود ملكية فردية، وقيام الحياة على الملكية الجماعية أو المشاعية؛ وهو سبب اقتصادي بحت.

وتحول نظام الأسرة من التبعية للأُم إلى التبعية للأب، وسيطرة الأب على الأسرة كلها يرجع إلى سبب اقتصادي مادي بحت هو ظهور الملكية الفردية مع اكتشاف الزراعة، واعتقاد الرجل أنه يمكن أن يورث أبناءه مما يملكه. وبقية المراحل التاريخية كانت نتاج التغير المادي والاقتصادي - كما سبق ذلك في الوحدة السالفة.

وكذلك وجود أخلاقيات الجنس في العهد الزراعي، والحفاظ على العرض، وإعطاء العفة الجنسية أهمية بالغة، ووجود الغيرة في نفس الرجل على زوجته؛ كل ذلك

راجع إلى سبب اقتصادي بحت؛ هو أن الرجل في المجتمع الزراعي هو المنتج الأصلي وهو وحده المتكسب الذي ينفق على زوجته وأسرته، ومن ثم تدعوه سيطرته - الاقتصادية - إلى التحكم في المرأة وفرض أخلاقيات الجنس عليها، يفرض عليها العفة قبل الزواج وبعده، ويفرض عليها أن تكون له وحده حين يتزوج، ومن ثم تصبح العفة فضيلة خلقية واجتماعية يحرص عليها المجتمع، ويشدد في شأنها، ويعطيها تلك الأهمية البالغة.

بينما تفقد العفة وأخلاقيات الجنس قيمتها ووجودها في المجتمع الصناعي لسبب اقتصادي كذلك؛ وهو تحرر المرأة اقتصادياً ومشاركتها للرجل في العمل وتكسبها بنفسها، وبالتالي لا تكون عالية على الرجل، فيفقد الرجل سيطرته عليها، ولا يعود يحق له أن يطالبها بالعفة قبل الزواج وبعده.

وهكذا.. يرجع الماركسيون جميع الأخلاق والقيم إلى عوامل اقتصادية بحتة؛ ومناقشة هذا المفهوم بما يلي:

١ - معلوم أن البشرية قد تعلقت - منذ مولدها - بالقيم العليا من صدق وعدل وخير وفضيلة وأمانة ونظافة سلوك، إلى غير ذلك، وسواء مارس الناس هذه القيم والفضائل بالفعل أم بعدوا عنها في سلوكهم العملي كل البعد، أو ناقضوها مناقضة صريحة؛ فإنهم يتغنون بها في فنونهم وآدابهم، ويعجبون بها إذا رأوها ممثلة في سلوك واقعي؛ ما لم يكونوا مرضى القلوب بصورة غير معتادة، ينفرون من الخير ويهشون للرديلة والانتكاس لأن رؤية الخير تذكرهم بانتكاسهم فيكرهونه، ورؤية الرديلة تغطي مواقفهم فيهشون لها؛ كالذين قال الله فيهم: ﴿ وَذُؤا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: ٨٩].

فتعلق البشرية كلها بالقيم العليا واتفقهم عليها؛ رغم اختلافهم في كثير من الأمور؛ دليل صريح على أن هذه القيم من الأمور المركوزة في الفطر، وأنها مما اتفق عليها جميع العقلاء؛ ولا شك أن المخالف لذلك مريض شاذ.

٢- رد القيم الأخلاقية إلى المادية تحقير لها، وتزهيد للناس فيها؛ وهذا هدف مقصود حتى ينحرف الإنسان، أما إذا استقام واعتدل بناءً على هذه القيم فإنه يفسد بذلك المخطط الذي يخطط له اليهود الملحدون من إخضاع العالم وتسخيرها لخدمتهم.

ب- نفي وجود قيم ثابتة بحكم التطور الذي يغير القيم كلها كلما تغير الوضع المادي والاقتصادي:

والمقصود من التغير بحكم التطور هو اعتبار القيم الإنسانية والأخلاقية كلمات خوفاء يملؤها كل جيل بما يحلو له؛ ولكنها في ذاتها ليست شيئاً ثابتاً محددًا يمكن التعرف عليه.

وهنا يذكرنا ماركس بدور كالم الذي جعل العقل الجمعي هو الذي يضع القيم والنظم والتقاليد والأخلاق؛ وهو لا يثبت على حال؛ يحل اليوم ما حرمه بالأمس، ويحرم غدًا ما يحله اليوم.

وهذا تلاعب بالقيم التي ارتكزت في فطر الناس، وبها تستقيم حياتهم؛ إذ يتسنى لهم الأخذ بها إذا كان في ذلك مصلحتهم، ونسفها ومحوها إذا كان في ذلك موافقة لمخططاتهم.

ج- السخرية بالحق والعدل وجميع الأخلاق المركوزة في الفطر الإنسانية وإخضاعها للحتميات المادية:

يرى الماركسيون أن جميع الأخلاق والقيم لا وجود لها ولا تأثير لها في عالم الواقع، وأن البشرية لم تلتزم - قط - بذلك؛ إنما الذي يسير حياة البشرية من مبدئها إلى منتهاها هو الحتميات: المادية والاقتصادية والتاريخية؛ التي لا توصف بأنها حق أو عدل أو أمانة أو عفة؛ وإنما توصف بأنها صواب ما دامت في موضعها التاريخي الصحيح.

ويقولون: إن الثورات الناجحة هي التي توافق سير الحتميات التاريخية فتأتي في وقتها الصحيح، وتكون موافقة للحتميات المادية والاقتصادية، ويكون الصراع الطبقي فيها قد نضج إلى الحد الذي ينجح الثورة، أما الثورات التي لا توافق حط سير احتميات فإنها تفشل مهما بذل فيها من الضحايا.

إذن.. فليس السبب في قيام الثورات هو هذه الحتميات؛ بل موافقتها هو الذي يؤدي إلى نجاحها - في زعمهم؛ أما قيامها فلا بد أن يكون له سبب آخر أغفله - عامداً - التفسير المادي للتاريخ؛ وهذا السبب هو ما كان كامناً في نفس الإنسان من كره للظلم وحب للعدل، وتطلع إلى الحق؛ ولكنهم جحدوا ذلك حتى لا يعترفوا بأنهم معاكسون لما فطر الله تعالى عليه البشر.

والواقع المشاهد خير دليل على بطلان التفسير المادي للقيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية؛ حيث أثبت أن معاكسة هذه القيم ومخالفتها لا يمكن - بحال - أن يكون أمراً طبيعياً متلائماً مع ظروف الإنسان الحتمية التي توافق كل مرحلة من مراحل التاريخ؛ بل هو حالة مرضية تنافر فطرة الإنسان التي فطره الله عليها..

فقد أجمعت الإحصائيات والمؤتمرات على أن انتشار القتل، والجنون، والانتحار، والأمراض النفسية، والاضطرابات العصبية، وإدمان المخدرات، واتساع نطاق الجريمة، والجنوح إلى الشذوذ الجنسي؛ كل ذلك كان وليد ضياع القيم والأخلاق، وضعف الدين في النفوس، وزوال سيطرة الأب المربي، وفقدان العفة، وتفكك الأسرة، وممارسة الحرية الكاملة في علاقات الجنس.

ولو أن النفس البشرية ليس لها كيان محدد ولا صورة ينبغي لها أن تكون عليها، وليس مرتكزاً فيها هذه الأسس والمبادئ الأخلاقية؛ لما حدث رد الفعل المرضي الذي

حدث بالفعل في حياة الناس، ولاستجابت استجابة طبيعية للشكل الذي شكلت به؛ سواء كان الذي حدد هذا الشكل هو التطور الحتمي - كما يدعي الماركسيون، أو التخطيط الشرير المهادف لإفساد البشرية واستعبادها - كما سلفت الإشارة إلى ذلك^(١).

ثالثاً: نقض التفسير المادي للدين:

لم تكن أفكار ماركس عن المادة فلسفة حقيقية، ولا علماً صحيحاً؛ بقدر ما كانت سياسة معينة لنشر الإلحاد في العالم، وإنكار الدين والإله وسائر الغيبيات. سبق أن ذكرنا شعار الماركسية: "لا وجود إلا للمادة"، وبناءً على ذلك.. فهم ينكرون وجود الإله واليوم الآخر والجنة والنار والملائكة وكل شيء غيبي غير مادي، ويعتبرون الأديان خرافات نبعت من طين الأرض، ولم تنزل من السماء؛ لذا قال ماركس: "الدين هو زفرة الكائن المثقل بالألم، وروح عالم لم تبق فيه روح، وفكر عالم لم يبق فيه فكر، إنه أفيون الشعوب، إذن فنقد الدين هو الخطوة الأولى لنقد هذا الوادي الغارق في الدموع"^(٢). وقد تلقف لينين عبارة ماركس هذه وبنى عليها المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه الشيوعية؛ فقال: "الإلحاد جزء طبيعي من الماركسية لا ينفصل عنها"^(٣).

١- عداة الشيوعية للأديان عامة:

فالشيوعية معادية للدين، ولا قيام لها إلا بالقضاء عليه، وهذا ما ينص عليه لينين

(١) انظر تفصيل هذا الموضوع في: الشيوعية والإنسانية ص ١٣٥ - ١٧١، مذاهب فكرية معاصرة: ص

٣٢٣ - ٣٤٤.

(٢) انهيار الشيوعية: ص ١١٨.

(٣) السابق.

بقوله: " الماركسية هي المادية، وبصفتها تلك فهي معادية للدين معادة لا رحمة فيها"^(١)، ويقول - أيضاً: 'لا إله إلا المادة، ورسالة الطبقة البروليتارية هي القضاء على الدين والمتدينين والداعين إليه"^(٢).

وما إن قامت الثورة الشيوعية في روسيا حتى وضع لينين الإلحاد كأساس أول من أسسها؛ حيث أصبح الإلحاد هو دين الدولة الرسمي الذي أنفقت في سبيل نشره وتدعيمه آلاف الملايين؛ مستخدمة كل أجهزة الدولة الرسمية من التربية والتعليم، والصحافة والكتب، وأجهزة الإعلام، وكذلك اتخذ الماركسيون هذه الأجهزة وسائل لانتراع الأديان من نفوس المؤمنين، وتنشئة الأجيال الجديدة على الإلحاد.

وفي عام (١٩٢٢م) أنشئت المؤسسات الرسمية لهذا الغرض، ومنها: "دار الإلحاد"، و"رابطة الملحدين"، و"مشروع السنوات الخمس لإلغاء الدين" وكان الإلحاد أحد الأعمال القيمة النافعة التي يفخرون بالتخطيط لها!

هذا في الوقت الذي منعت فيه الشيوعية حرية الدعوة إلى الدين - كما ينص دستورها في مادته الرابعة والعشرين بعد المائة، والمادة الثامنة والخمسون من الدستور تنص على أن "جميع المتعبدين يعدون من أعداء الثورة، ويجوز لرجال الشرطة في شتى الظروف أن يقتحموا بيوتهم، ويتولوا أمورهم بطريقتهم الخاصة"^(٣).

وما إن تولى ستالين السلطة بعد لينين حتى أصدر مرسوماً بإغلاق أماكن العبادة، وتصفية كل الجماعات الدينية، وإبعاد المتدينين عن المناصب العامة، ووظائف الحكومة، وتحريم نشر أي كتب دينية، وأمر بتحويل أماكن العبادة إلى دور لعرض الأفلام المعادية للدين، وتحويل بعضها إلى أندية للترفيه وقضاء أوقات الفراغ.

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) السابق: ص ١١٩.

وإنني لا أجد عبارة عبر بها الماركسيون عن بغضهم للدين والإله أشد من عبارة لينين القائل فيها: "إن كل فكرة عن الله؛ بل حتى مجرد التفكير في وجود الله؛ إنما هي حقارة لا تطاق ولا تحتمل، إنها حقارة من أخطر الأنواع، ووباء يعد من أشد الأنواع خطراً... إن كل دفاع عن فكرة الله أو تبرير لها مهما يكن طراز هذا الدفاع أو التبرير، ومهما تحسن نية المدافع؛ إنما هو تبرير للرجعية"^(١)!

٣- عداة الشيوعية للإسلام خاصة :

هذا بالنسبة لعداء الماركسية والشيوعية للأديان عموماً؛ أما عن عداة الشيوعية للإسلام على وجه الخصوص فقد كان أشد من غيره؛ وإليك بعضاً منه:

١- يقول كليموفتش - عضو المجمع العلمي السوفيتي: "إنه يستحيل أن يقوم صرح الشيوعية قبل أن يُقضى على الإسلام"^(٢).

وإذا كانت الشيوعية تعادي الأديان بصفة عامة من منطلق مفاهيمها المادية الخاطئة؛ فإن عداها للإسلام من نوع آخر؛ فهي تنظر إليه كمزاحم خطير، وتخشى منه أن ينازعها السلطان في السيطرة على عقول الناس بعقيدته وأخلاقه ونظامه.

وذلك لأن الإسلام لا يزال بعقيدته السماوية الصادقة سالماً من كل تحريف؛ بخلاف اليهودية والنصرانية، كما أن أصول العقيدة الإسلامية سهلة وواضحة ومقنعة للعقل، وموافقة للفطرة؛ بخلاف غموض عقيدة النصرانية، ومادية عقيدة اليهودية، وغموض إلحاد الماركسية.

٢- ضم الشيوعيون أجزاء كثيرة من البلاد الإسلامية المجاورة لروسيا إليهم، وحاولوا

(١) السابق: ص ١٢٢، وانظر: عقائد وتيارات فكرية معاصرة - مرجع سابق: ص ٣٠٤ - ٣١١.

(٢) الهيار الشيوعية: ص ١٣٨.

تغيير هويتها الإسلامية بتهجير المسلمين من بلادهم، وتغيير أسمائهم والقضاء على أماكن عبادتهم.

٣- استعملت الشيوعية صور النفاق والخداع والمداينة مع الدول الإسلامية؛ مثل جمهوريات: بخارى، والأورال، وسيريا، والقوقاز، وتركستان؛ وذلك في بادئ الأمر؛ حتى تثبت أقدام الشيوعية من ناحية، ومن ناحية أخرى؛ لأن كل ما تستخرجه روسيا من بترول تأخذه من جمهورية أذربيجان المسلمة، وكل رصيدها من الذهب والفضة والحديد تأخذه من تركستان الإسلامية، وكذلك لأن عدد المسلمين يزيد عن المائة مليون - عدا الملايين التي قتلت أثناء الغزو الشيوعي. ثم بعد ذلك حاولوا نشر الإلحاد بين المسلمين عن طريق الغزو الفكري؛ ولكن المسلمين رفضوا الشيوعية بقوة؛ فما كان من الماركسيين إلا أنهم دهموا ديار المسلمين بالدبابات، وقذفهم بالطائرات، وحاولوا نشر الإلحاد بالقوة العسكرية، وبالتعذيب، وبالأساليب الخسيسة.

٤- تشويه صورة الإسلام من خلال الوثائق الرسمية؛ مثل دوائر المعارف الرسمية والمعاجم؛ ونحو ذلك - كما جاء في دائرة المعارف السوفيتية عن رسول الله ﷺ من قذح وتضليل، وكذلك ما جاء في قاموس الفلسفة السوفيتي من إنكار لوجود شخصية الرسول محمد ﷺ بالكلية، وادعاء أن القرآن ألفه المسلمون في القرن الحادي عشر بالاتفاق مع اليهود! وغير ذلك من أساليب التضليل والغش والخداع.

٥- إجهاض حركات انبثاق الإسلام المطالبة بتطبيق الإسلام تطبيقاً واقعياً، ومحاولة القضاء على قادة هذه الحركات بتلقيق التهم لهم، ثم إعدامهم بواسطة الحكام العملاء لهم.

٦- استخدام أنصار الاشتراكية والشيوعية في العالم الإسلامي في هدم الدين؛ حيث

يدعون أنهم مسلمون ويؤدون الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع؛ مثل صلاة الجمعة والحج أحياناً؛ ثم نشر الاشتراكية بين المسلمين. وكذلك تهيئة المجال لأنصار الاشتراكية بالسيطرة على المناصب الرئيسية في الوزارات والإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية؛ في الدول الإسلامية. إلى غير ذلك من أساليب المحاربة للإسلام والمسلمين.

٣- ادعاءات الماركسية على الدين ومناقشتها:

بعد أن أوجزنا نظرة الماركسية الشيوعية للدين، وعداء الشيوعيين للأديان عامة وللإسلام خاصة، نجمل ادعاءات الماركسية على الدين مع مناقشة كل ادعاء؛ وذلك من خلال النقاط التالية:

١- ادعى الماركسيون أن الدين مجرد اختراع من الطبقات القوية لإخضاع الطبقات الضعيفة، فهو مجرد مخدر تعطيه الطبقة الحاكمة المستغلة للطبقة المحكومة المضطهدة؛ لكي تنسى مطامعها ودورها السياسي وتستسلم للواقع. كما يدعون أن الحكام الأقوياء الظالمين يصرفون المظلومين عن الدنيا بتوجيههم إلى حياة أخرى بعد الموت؛ فيها كل ما حرموا منه في الدنيا.

ومن هنا شاعت عبارة ماركس بين الشيوعيين: "الدين أفيون الشعوب".

- والرد على ذلك سهل ميسور؛ وهو أنه قد ثبت باتفاق مؤرخي الأديان أنه لم يكن الأغنياء والملوك والحكام هم أتباع الأديان، أو المؤيدين للرسول؛ بل كانوا هم المعارضين للرسول، وما ناصر الأنبياء وأيد الأديان إلا الفقراء؛ فكيف يقال: كان الدين من اختراع الحكام والطبقات القوية؟! فهذا - من غير ريب - جهل بالتاريخ.

٢- كما أن الدين كان من اختراع الطبقة الحاكمة في بعض الأزمان - كما يدعي الماركسيون؛ كذلك كان من اختراع الطبقة الضعيفة المضطهدة في أزمان أخرى - كما يفهم من كلام ماركس؛ حيث يقول: "عن البؤس الديني هو التعبير عن البؤس

- ويكفي في الرد على هذا الادعاء مناقضة الادعاء الأول له؛ وعلى كل.. فإننا سنناقشه من خلال التاريخ الصادق الذي لا يزور؛ فقد ثبت تاريخياً أنه قد التزم بالدين كثير من الملوك والحكام والأمراء؛ وإن كان الفقراء هم السابقين لتصديق الرسل كما ذكرنا في الرد على الادعاء الأول؛ ومثال الملوك والأمراء المتدينين: قسطنطين الذي نصر النصرانية، وكل خلفاء وأمراء الدولة الإسلامية من عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - حتى يومنا هذا.

وأما عن ادعاء ماركس أن الدين كان وليد الأطوار الخمسة التاريخية بطورها؛ فإنه من التعسف تفسير ظاهرة الدين التي وجدت في جميع العصور وكل الفترات وعند كل المجتمعات بتفسير خاص في كل جيل من الأجيال، فإن دلالة خمسين قرناً - على الأقل - من تاريخ البشرية المكتوب - فضلاً عن قرون أخرى غير مكتوبة لا يعلم عددها إلا الله - لا يمكن أن تلغي بجرة قلم مهما يكن جيروت هذا القلم وطغيانه! وليس لمجرد تنكر جيل أو جيلين وإعلانهم الإلحاد في فترة زمنية قصيرة من عمر البشرية وعند فئة قليلة من ساكني المعمورة - أي الماركسيين والشيوعيين في القرنين الأخيرين - يدعي الماركسيون هذا الادعاء العريض؛ وهو أن الدين كان عند البؤساء فقط لظروف مادية في فترات معينة من التاريخ.

بل الحق أن يقال: إن الدين أمر مركوز في الفطر الإنسانية كلها؛ مهما اختلفت أجناس الناس، وطبائعهم، ولغاتهم، وآلهتهم التي يعبدونها، وظروف معيشتهم، وأشكال حياتهم؛ ولا دليل على ذلك أقوى من التزام جحافل البشرية على مدار أكثر من خمسين قرناً بهذه الظاهرة؛ رغم اختلافهم في معظم مظاهر الحياة؛ ومثل ذلك: اتفاق البشرية على حاجة الإنسان للهواء والماء والطعام، واتفاقهم كذلك على ضرورة

(١) الهيار الشيوعية: ص ١٢٣.

التكسب، واتفقهم على وجود الغريزة الجنسية بين الذكر والأنثى؛ كل ذلك دليل على أن هذه الأمور فطرية؛ فكذلك الدين أمر فطري لا ينكره إلا مكابر.

- بل إن الماركسيين الشيوعيين أنفسهم قد اعترفوا بالدين حين اتخذوا الإلحاد دينًا لهم؛ وادعوا أن المادة هي الخالق الأزلي الأبدي ونسبوا إليها كل شيء في الوجود، وعبروا عنها أحيانًا بالطبيعة؛ فكل ذلك يعد من مظاهر الدين، ومن سلوك المتدينين؛ ولكنه تدين باطل؛ لأنه قائم على الهروب من الاعتراف بالله خالقًا إلى نسبة ذلك إلى المادة، وعلى اعتقاد الإلحاد المناهض للأديان؛ رغم أنه قد تشكل بنفس أشكال الملل والنحل الأخرى التي يروج لها معتقوها؛ ولا أدل على ذلك من إيمان الماركسيين بماركس وإنجلز، وتقديسهم لكتبهما؛ وهذه العبارة التي يرددونها شعارًا لهم: "نحن نؤمن بثلاثة: كارل ماركس، ولينين، وستالين، ولا نؤمن بثلاثة: الله، والدين، والملكية الخاصة"^(١)؛ لهي أكبر شاهد على أنهم قد اتخذوا من إلحادهم دينًا، ومن المادة إلهًا، ومن قادتهم طواغيت وأصنامًا.

٣- إنكار الشيوعيين لوجود الله - كما سبق في نصوصهم؛ إنما هو نوع من أنواع المعاندة لما ارتكز في فطرة الإنسان من التجائه إلى خالق حكيم، وإله عليم رحمن رحيم.

- ويكفي للرد عليهم دليان: الأول: النظر في الكون العجيب، وما اشتمل عليه من نظام بديع، والنظر إلى تكوين الإنسان وخلقته؛ كل ذلك لا يمكن أن يصدر من مادة صماء لا تعي ولا تعقل؛ بل لا بد أن يصدر من إله حكيم قدير، أعلم من الإنسان وجميع المخلوقات وأقدر وأحكم؛ وهذا لا يتوفر في المادة - كما سبق تفصيل ذلك.

والثاني: دليل العلم الحديث الذي يدعون أنهم موافقون له؛ فقد أثبت العلماء

(١) انهيار الشيوعية: ص ١٣٦.

التجريبيون وجود الله من خلال أبحاثهم في: الطبيعة، والفلك، وإنسان؛ حين برهن العلماء المحدثون - في القرن العشرين - على أن الوجود لا يمكن أن يكون إلا من صنع خالق حكيم منظم مبدع هو الله رب العالمين؛ يقول كريستس موريسون - الرئيس السابق لأكاديمية العلوم: "إن وجود الخالق تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها؛ تكون الحياة بدونها مستحيلة"، ويقول - أيضًا: "لم يعد التناسق الميت للذرات الجامدة يربط تصورنا بما هو مادي، وإن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم لتدعو إلى وجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة"^(١).

وهكذا تبدو الشيوعية في إنكارها لوجود الله رجعية متخلفة، تقف ضد التقدم، وتحاول أن تحمد العقل البشري عند حدود الجدل الماركسي العقيم.

٤- سبق ادعاء الماركسيين أن الحكام الظالمين صرفوا المظلومين عن الدنيا بتوجيههم إلى حياة أخرى بعد الموت؛ فيها كل ما حرموا منه في الدنيا، وأنهم ينكرون حقيقة البعث والنشور، وهو أصل من أصول الدين؛ فمن أنكر الدين وأنكر الإله الخالق أنكر - كذلك - البعث والجنة والنار.

- ويكفي للرد عليهم أن نقرر أن الماركسيين ليسوا موضوعيين ولا منصفين؛ ليس فقط في معاندتهم للحق والفطر السليمة؛ بل - أيضًا - في عرضهم لمذهبهم؛ وذلك لأن إنكار البعث أمر لا تستلزمه فلسفتهم المادية نفسها؛ لأنهم ادعوا أن المادة هي التي تخلق، وابتكروا لذلك فلسفة قائمة على قوانين المادة التي ابتدعوها - كما سبق تفصيل ذلك - والبعث إنما هو خلق ثانٍ؛ فلماذا يكون الأول ممكنًا والثاني محالاً؟ إذا كان الإنسان قد خلق - بزعمهم - من المادة؛ فما الذي يمنع أن يخلق مرة ثانية كذلك من المادة ويتفاعل قوانينها؟ وكما أن هذا الكون البديع في نظامه قد خلق بتفاعل قوانين المادة؛ فلماذا لا يخلق كون آخر بنفس التفاعلات - التي يدعون

(١) السابق: ص ١٢٩.

استمرارها؟ لو كان الماركسيون الماديون أصلاء في تفكيرهم لقادهم منطقهم إلى هذه النتيجة، ولقالوا: إن البعث ليس محالاً، وليس أبعد احتمالاً من الخلق الأول؛ ولكننا لا ندري أكائن هو أم لا^(١).

- وإذا كان الماركسيون لا يريدون أن يفكروا، وليسوا أصلاء في منطقهم؛ فإن المؤمنين بالله تعالى أصلاء في إيمانهم واعتقادهم؛ ويؤمنون باليوم الآخر والبعث والنشور، ويعتقدون أن الله العظيم القدير الذي خلقهم أول مرة قادر على أن يخلقهم ثانية، وأنه حكيم لا يخلق عبثاً ولا يترك سدى؛ وأن الدنيا لا تصلح أن تكون دار قرار ولا داراً نهائية - لمن تفكر وعقل، وأنه لا بد من دار يقتص فيها من الظالم للمظلوم، ويجزى فيها المسيء بإساءته، والمحسن على إحسانه.

٥- وأخيراً.. أؤكد وأكرر وأقرر ما سبق ذكره مراراً: من أن المدف من إنكار الدين والإله والغيبيات والبعث والجنة والنار؛ هو أن الشيوعية - اليهودية المنشأ - تريد أن تقيم مجتمعاً بشرياً على الإلحاد الكامل والبعد التام عن الدين، فتزعم أن الدين ليس من الفطرة، وأن أسباباً معينة في البيئة أو في موقف الإنسان من البيئة هي التي أنشأت ظاهرة الدين فيما مضى من التاريخ، وأن هذه الأسباب الآن قد زالت فينبغي للدين أن يزول..

تدعي الشيوعية الصهيونية كل ذلك لتكون مجتمعاً ملحدًا خاضعاً تمام الخضوع لطواغيت الصهيونية العالمية^(٢).

- وبعد هذا التفصيل لآراء الماركسيين وفلسفتهم وبيان مصطلحاتهم؛ وعرض موقفهم من أهم القضايا التي تخص الدين والإنسان والحياة؛ أرى أنه - بذلك - قد

(١) انظر: الأسس الفلسفية للمذهب المادي- مرجع سابق: ص ٢٣.

(٢) انظر تفصيل هذا الموضوع في: الإسلام في وجه الزحف الأحمر- الشيخ محمد الغزالي - ط مكتبة وهبة: ص ٢١-٥٨، ١٠٢-١٤٠، هيار الشيوعية: ص ١١٧ - ١٣٦، الشيوعية والإنسانية: ص ١٧٢ - ١٨٧، مذاهب فكرية معاصرة: ص ٣٤٤-٣٥٠.

اتضح صورة الشيوعية المعاصرة لكل ذي عينين، وأنه انتبه كل من يقرأ هذه الصفحات إلى كثير من مخططات الصهيونية التي اتخذت الشيوعية منفذاً لها لترويج الإلحاد..

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خلاصة الوحدة الرابعة

نستخلص مما سبق في هذه الوحدة ما يلي:

- ١- استغل ماركس النظرية الداروينية - التي صورت الإنسان على أنه حيوان من نتاج الطبيعة - في تشويه صورة الإنسان والمهبوط به إلى المادة الصماء التي لا تعقل ولا تحس.
- ٢- لم يهبط داروين بالإنسان إلى المادة، ولم يطبق عليه قوانين المادة، إنما طبق عليه قوانين الحياة؛ ولكن الماركسيين أضافوا إلى نظريته ما زادها سوءاً.
- ٣- إن منطق الماركسيين منطوق عجيب يجعل الإنسان نتاج المادة، والفكر من الدماغ، والدماغ مادة.
- ٤- إذا كان الفكر من المادة وقوانين المادة واحدة؛ فلماذا يختلف الطفل عن الكبير في التفكير؟ ولماذا يختلف الناس في تفكيرهم؟
- ٥- يدعي الشيوعيون أن الإنسان سيد الكون؛ فبماذا جعلتم الإنسان هو سيد الكون؛ رغم أنه مساوٍ للكون في التركيب والخلق؛ فالكل من المادة ومحكوم بقوانينها؟
- ٦- إن المؤمنين بالله ورسله يعتقدون أن الإنسان خلق من طين، ونفخ الله تعالى فيه الروح، فارتفع بهذه الروح عن الجماد والنبات، وارتفع بما أودع الله تعالى فيه من عقل ومواهب عن الحيوان، وارتفع بما اختصه الله تعالى به من تكليف واختيار للإيمان والعمل الصالح وبما علمه من معارف عن الملائكة.
- ٧- انطباق قوانين المادة على الإنسان أسطورة غير مسبوقة في تاريخ الفكر البشري؛ وإنما هي من اختراع ملاحدة اليهود لسلب الإنسان إنسانيته حتى يصبح عبداً لطواغيت الصهيونية.
- ٨- منذ جعل الإنسان مادة فقد أُلغيت كل القيم على الفور، ولم يعد لها مكان في حياة

الإنسان؛ فأنى للمادة - مهما تطورت - أن يكون لها قيم روحية أو أخلاقية؟!

٩- يمثل التفسير المادي للقيم الإنسانية في: تضخيم العامل المادي والاقتصادي، واعتبار القيم المعنوية كلها مجرد انعكاس لهما، ونفي وجود قيم ثابتة بحكم التطور الذي يغير القيم كلها كلما تغير الوضع المادي والاقتصادي، ولسخرية من الحق والعدل والأخلاق المركزة في الفطر؛ واعتبارها خاضعة للحتميات.

١٠- اعتبر الماركسيون وجود العفة وأخلاقيات الجنس في العهد الزراعي بسبب وجود الغيرة من الرجل الذي ينفق على زوجته؛ بينما فقدت هذه الأخلاقيات في المجتمع الصناعي؛ لأن المرأة ساوت الرجل في التكسب؛ فلم يحق للرجل أن يفرض عليها هذه الأخلاقيات.

١١- أخطأ الماركسيون في نفيهم للقيم والمبادئ الأخلاقية؛ لأنها أمور مركزة في الفطر، ولا ينكرها إلا مريض شاذ أو مكابر معاند.

١٢- نفي الأخلاق الإنسانية عنصر من عناصر المخطط الصهيوني لإشاعة الفساد بين الناس، ولنشر الرذيلة في العالم.

١٣- تلاعب ماركس - ومثله دوركايم - بالقيم والأخلاق، وادعيا عدم ثبوتهما وتغيرها حسب العقل الجمعي - عند دور كايم، والوضع المادي - عند ماركس، وما ذلك إلا لإفصاح الفرصة لليهود الملحدون ليأخذوا بهذه القيم أو يتركوها حسب مصالحهم وتخطيطهم.

١٤- يعتبر الماركسيون الثورات الناجحة هي الموافقة للحتميات التاريخية؛ إذن فليس السبب في قيام الثورات هو الحتميات؛ وإنما سبب آخر أغفله التفسير المادي عمداً؛ حتى لا يقر الماركسيون بأن سبب الثورات هو ما ارتكز في نفس الإنسان من كره الظلم وحب العدل.

١٥- يكفي لبطلان نفي الماركسيين للقيم الأخلاقية ما أثبتته لواقع المشاهد، وما

أجمعت عليه الإحصائيات من أن: القلق والجنون والأمراض النفسية وانتشار الجريمة والانتحار؛ كل ذلك سببه ضياع القيم والأخلاق وضعف الدين في النفوس.

١٦- الحق أن أفكار ماركس كانت سياسة لنشر الإلحاد، وإنكار الدين والإله.

١٧- اعتبر ماركس الدين أفيون الشعوب، ورأى لينين أن الإلحاد هو المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه الماركسية.

١٨- تشكلت مظاهر عداة الشيوعية للأديان عامة، وحارب الشيوعيون أهل الأديان بكل ما أوتوا من قوة، وجميع الوسائل، وكرسوا لذلك الملايين من الأموال.

١٩- نال الإسلام النصيب الأوفر من عداة الشيوعيين؛ حتى اعتبره كليموفتش هو المانع من قيام صرح الشيوعية.

٢٠- تنوع عداة الشيوعية للإسلام من نفاق ومداهنة إلى قصف عسكري، ومن محاولة نشر الإلحاد بين المسلمين بالغزو الفكري إلى نشره عن طريق العملاء الذين يولونهم السلطة والمراكز العليا في البلاد الإسلامية، ومن إجهاض لحركات البعث الإسلامي إلى تعذيب وتشريد وتقتيل للدعاة الإسلاميين.

٢١- ادعى الماركسيون أن الدين مجرد اختراع من الطبقات الحاكمة القوية لإخضاع الطبقات الضعيفة وتخديرهم؛ وهذا مخالف لما اتفق عليه مؤرخو الأديان من أن الأغنياء والرؤساء هم الذين يقفون في وجه الرسل وأهل الأديان - غالبًا وخاصة في بادئ الأمر - وأن الدين عادة ينتشر على أيدي الفقراء والضعفاء.

٢٢- يفهم من كلام ماركس أن المستضعفين هم الذي اخترعوا فكرة الدين ليوهمو أنفسهم بدار أخرى تتحسن فيها معيشتهم؛ وهذا باطل - أيضًا - لأنه قد ثبت تاريخيًا - بما لا يختلف فيه اثنان - أن كثيرًا من الملوك والأمراء كانوا متدينين.

٢٣- الصحيح أن الدين مركز في الفطرة كما أن الرغبة في التكسب والغريزة الجنسية

بين الذكر والأنثى مركوزة في الفطرة - كذلك، والدليل على ذلك اتفاق
جحافل البشرية على مدار أكثر من خمسة آلاف سنة -على اختلاف أزمانهم
وأماكنهم وظروفهم- على أمر الدين.

٢٤- الماركسيون أنفسهم يتدينون بدين الإلحاد، ويؤمنون بماركس ولينين وستالين،
ويؤهلون المادة، ويقدمون كتب مؤسسي الماركسية، ويتشبهون في تعاملهم مع
الماركسية والإلحاد وتعظيمهم للمادة بأهل كل ملة ونحلة.

٢٥- يكفي للرد على الشيوعيين في إنكار وجود الله: النظر إلى ملكوت السموات
والأرض الذي لا يمكن أن يخلقه إلا إله حكيم قدير، وشهادة العلم الحديث الذي
ينسب الشيوعيون إليه أنفسهم.

٢٦- الشيوعيون متخلفون يقفون ضد التقدم العلمي؛ بسبب مخالفتهم للعلم الحديث
الذي أثبت وجود الله تعالى بالبراهين القطعية.

٢٧- الماركسيون ليسوا منصفين في إنكار الحياة الثانية؛ إذ اعتقادهم أن المادة هي التي
خلقت أولاً لا يمنع احتمال أن تخلق ثانياً طالما أن قوانينها حتمية ومستمرة - كما
يزعمون.

٢٨- المؤمنون بالله ورسله أصلاء في اعتقادهم البعث؛ لأنهم آمنوا بأن خالق الكون هو
الله رب العالمين الحكيم القدير، والقادر على أن يخلق أول مرة قدر على أن يعث
خلقه يوم القيامة؛ ثم إنه حكيم لا يخلق عبثاً، ولا يترك الظالم يموت من غير
قصاص منه للمظلوم، ولا بد أن يجزي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

٢٩- الهدف الأساسي من إنكار الماركسيين للدين هو حرص اليهود الملحددين على
إقامة مجتمعاً إلحادياً ليس له علاقة بالإيمان بالله واليوم الآخر وليس له قيمة ولا
مبادئ؛ ليسهل لتعبده لطواغيت الصهيونية.

٣٠- لا بد أن يكون المسلم متنبه لمخططات اليهود، وعلى حذر تام من خداع
الشيوعيين الذين يعملون لحساب الصهيونية العالمية.

الاختبار البعدي للوحدة الرابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (x) أمام الإجابة الخطأ في كل

مما يلي:

- ١- استغل ماركس النظرية الداروينية وطورها تطويراً حسناً.
- ٢- أثبت داروين أن الإنسان مادة.
- ٣- يرى داروين أن الإنسان يحكم بقوانين الحياة لا المادة.
- ٤- يرى الماركسيون أن الفكر نتاج المادة.
- ٥- يؤمن الشيوعيون بأن الإنسان سيد الكون إيماناً صادقاً.
- ٦- المؤمنون بالله ورسله يعتقدون أن الإنسان طين وروح.
- ٧- انطباق قوانين المادة على الإنسان أسطورة لم تسبق بمثل.
- ٨- يعتبر الماركسيون القيم الإنسانية انعكاساً لفترة الإنسان.
- ٩- يوافق الماركسيون على أخلاقيات الجنس ويدعون إليها.
- ١٠- يستهزئ الشيوعيون بالدين والعدل والحق والعفة.
- ١١- إثبات الأخلاق أو نفيها ليس له علاقة بالمخطط الصهيوني.
- ١٢- الواقع المشاهد خير دليل على فساد رأي ماركس تجاه القيم.
- ١٣- أفكار ماركس فلسفة حقيقية وعلم اجتهادي.
- ١٤- يعتقد الماركسيون أن الدين خرافة.
- ١٥- لم يعاد الشيوعيون من الأديان سوى الإسلام فقط.
- ١٦- استخدم الشيوعيون كل أجهزة الدولة لنشر الإلحاد.
- ١٧- عداة الشيوعية للإسلام من أجل أنه دين فقط.

- ١٨- أنكر قاموس الفلسفة السوفيتي وجود شخصية الرسول ﷺ .
- ١٩- مدحت دائرة المعارف السوفيتية الرسول ﷺ.
- ٢٠- ثبت باتفاق مؤرخي الأديان أن الملوك والأغنياء أكثر معارضة للأديان.
- ٢١- التاريخ الصادق قد أثبت تدين بعض الملوك والأمراء.
- ٢٢- العلم الحديث ينكر وجود الله تعالى.
- ٢٣- يوافق الشيوعيون العلم الحديث في إثبات وجود الله تعالى.
- ٢٤- الماركسيون منصفون وموضوعيون في نظرهم للبعث.
- ٢٥- هدف الشيوعيين الأساسي هو نصره الحق.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

(أ) اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يلي:

- ١- الذي ألقى الإنسان في خلقه بسلسلة التطور الحيواني؛ هو: (ماركس - داروين - إنجلز).
- ٢- الذي قال: "الدين أفيون الشعوب"، هو: (داروين - لينين - ماركس).
- ٣- أنشأ الشيوعيون دار الإلحاد ورابطة الملحدن سنة (١٩٢٥م - ١٩٢٢م - ١٩١٩م).
- ٤- الذي قال: "الإلحاد جزء طبيعي من الماركسية"، هو: (لينين - ستالين - ماركس).
- ٥- الذي حول أماكن العبادة إلى أندية ترفيه؛ هو: (لينين - إنجلز - ستالين).
- ٦- القائل: "يستحيل أن يقوم صرح الشيوعية قبل أن يقضي على الإسلام" هو: (ستالين - كليموفتش - ماركس).
- ٧- ناقى الشيوعيون جمهورية أذربيجان الإسلامية من أجل: (الذهب - البترول - الحديد).

٨- داهن الشيوعيون جمهورية تركستان المسلمة من أجل: (البترول - الذهب - القمح).

٩- يرى قاموس الفلسفة السوفيتي أن القرآن أُلّف في القرن: (السابع - الحادي عشر - العاشر).

١٠- الذي قال: "المعارف الجديدة تدعو إلى وجود مدبر وراء الطبيعة" هو: (داروين - موريسون - نيوتن).

(ب) اختر الإجابة الصحيحة من البدائل الآتية:

(١) لم يتعرض داروين لكيفية تحول المادة الميتة إلى مادة حية:

أ - حتى لا يظهر جهله .

ب - حتى لا يعترف بالإله الخالق.

ج - لكي لا يعارض ماركس في رأيه.

د - لكي لا يعادي الصهيونية.

(٢) الحلقة المفقودة عند داروين هي:

أ - الفاصل بين الخلية والحيوان.

ب - الفاصل بين المادة الميتة والحية.

ج - المرحلة السابقة على القرد.

د - الفاصل بين القرد والإنسان.

(٣) الدين والقيم الأخلاقية:

أ - أمور مركوزة في فطرة الإنسان.

ب - أمور خاضعة للتحتميات الماركسية.

ج - أمور يكتسبها الإنسان من البيئة.

د - أمور لم يثبتها إلا العلم الحديث.

(٤) أجمعت الإحصائيات على أن الجنون والانتحار؛ سببه:

أ - عدم موافقة التحتميات الماركسية.

ب - تقدم العلم الحديث.

ج - ضياع الدين وفساد الأخلاق.

د - ضعف الاقتصاد العالمي.

(٥) البعث ممكن وليس مستحيلاً وفق عقيدة:

أ - المسلمين فقط. ب - الماركسيين فقط.

ج - اليهود فقط. د - المسلمين واليهود والماركسيين.

ثالثاً: الأسئلة التحليلية:

(١) قارن بين رأي ماركس وداروين في نشأة الإنسان وتطوره؛ مع مناقشتهما معاً وبيان وجهة نظر الإسلام.

(٢) قارن بين ماركس ودوركايم في نظرتهما للأخلاق والقيم؛ مع بيان هدفهما الحقيقي من النتيجة التي وصلا إليها.

(٣) لماذا ادعى الشيوعيون أن الإنسان هو سيد هذا الكون؟ وهل يوافق المسلمون على هذا الادعاء وعلى الغرض منه؟ وضح إجابتك.

(٤) هل الشيوعيون أصلاء ومنصفون في إنكارهم للبعث؟ ولماذا؟

(٥) بين موقف العلم الحديث من إنكار الشيوعيين لوجود الله تعالى.

رابعاً: أسئلة المقال:

- اكتب مذكرات مختصرة حول:

(أ) الدين أمر مركوز في الفطرة الإنسانية.

(ب) عداة الشيوعية للأديان عامة.

(ج) عداة الشيوعية للإسلام خاصة.

(د) فكر الإنسان بين الإسلام والماركسية.

النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

عزيزي الطالب: حتى تكتسب المزيد من المعلومات، وتحقق الأهداف التعليمية الواردة في فصول هذه الوحدة؛ عليك أن تقوم بممارسة النشاط التعليمي التالي:
اكتب بحثاً تتناول فيه موضوع: "عقيدة البعث بين الإسلام والماركسية".

قائمة المراجع

قائمة المراجع

- * آفاق الفلسفة - تأليف د. فؤاد زكريا - ط (١) دار التنوير - بيروت سنة ١٩٨٨ م.
- * أخطاء المنهج الغربي في العقائد والتاريخ والحضارة - تأليف أ. أنور الجندي - ط دار الكتاب اللبناني.
- * الأسس الفلسفية للمذهب المادي - تأليف د. جعفر شيخ إدريس - ضمن أبحاث في الفكر الفلسفي - ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- * الإسلام في وجه الزحف الأحمر - تأليف الشيخ محمد الغزالي - ط (٩) مكتبة وهبة سنة ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.
- * الإسلام والفكر الوجودي المعاصر - تأليف د. أبو الوفا التفتازاني - ضمن أبحاث في الفكر الفلسفي - ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- * انقياد الشيوعية أمام الإسلام - تأليف د. سعد الدين صالح - ط (١) دار الأرقم - الزقازيق سنة ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م.
- * البحث العلمي ومناهجه النظرية "رؤية إسلامية" - تأليف د. سعد الدين صالح - ط (٢) مكتبة الصحابة - جدة سنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.
- * بين الكتب والناس - تأليف الأستاذ عباس العقاد - ط (٤) دار المعارف سنة ١٩٨٥ م.
- * تاريخ الفلسفة الحديثة - تأليف د. يوسف كرم - ط (٥) دار المعارف سنة ١٩٨٦ م.
- * تاريخ الفلسفة الروسية - تأليف نيقولاي لوسكي - ترجمة فؤاد كامل - مراجعة د. زكي نجيب محمود - ط دار المعارف سنة ١٩٨٤ م.
- * تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا - تأليف بوخينسكي - ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي - ط منشورات جامعة قاريونس - بنغازي.
- * تجديد التفكير الديني في الإسلام - تأليف محمد إقبال - ترجمة عباس محمود - ط (٢) مطبعة لجنة التأليف سنة ١٩٦٨ م.

- * التراث الغامض.. هاركس والماركسيون - تأليف سدني هوك - ترجمة سيد كامل زهران - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م.
- * التفكير الفلسفي في الإسلام - تأليف د. عبد الحلیم محمود - ط (٢) دار المعارف سنة ١٩٨٩م.
- * الحضارة الإسلامية - تأليف د. طه عبد المقصود - ط دار الثقافة العربية سنة ٢٠٠٢ م.
- * الحياة الكريمة - تأليف بيرتون بورتر - ترجمة د. أحمد حمدي محمود - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م.
- * الدين - تأليف د. محمد عبد الله دراز - ط (٣) دار القلم - الكويت سنة ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
- * رأيهم في الإسلام - تأليف لوك باربولسكو وفيليب كاردينال - ترجمة ابن منصور العبد الله - ط (٢) دار السامي سنة ١٩٩٠م.
- * رحلات داخل الفلسفة الغربية - تأليف د. جورج زيناتي - ط دار المنتخب العربي.
- * رواد الفلسفة الحديثة - تأليف ريتشارد شاخت - ترجمة د. أحمد حمدي محمود - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م.
- * سقوط الماركسية - تأليف وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الإسلام خان - ط (١) رابطة الجامعات الإسلامية سنة ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧م.
- * السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية - تأليف د. مصطفى حلمي - ط دار الدعوة - الإسكندرية.
- * شبهات في الفكر الإسلامي - تأليف أ. أنور الجندي - ط دار الاعتصام سنة ١٩٧٧م.
- * الشيوعية والإنسانية - تأليف الأستاذ عباس العقاد - ط (٢) دار الاعتصام سنة ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م.
- * الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - ط (٢) الشربتلي سنة ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢م.

- * عقائد وتيارات فكرية معاصرة - تأليف د. محمد شامة ود. محمد الجليند وغيرهما - ط (١) دار قطري بن الفجاءة - جامعة قطر سنة ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.
- * العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية - تأليف د. سعد الدين صالح - ط (٣) مكتبة الصحابة - جدة سنة ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.
- * علمانيون أم ملحدون - تأليف محمد إبراهيم مبروك - ط (١) دار ثابت سنة ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.
- * الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث - تأليف د. عبد القادر محمود - ط (٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦ م.
- * الفلسفة الحديثة عرض نقدي - تأليف د. كريم مني - ط منشورات جامعة قارونس - بنغازي.
- * الفلسفة الحديثة والمعاصرة - تأليف د. إمام عبد الفتاح إمام - ط دار الثقافة سنة ١٩٨٦ م.
- * فلسفتنا - تأليف محمد باقر الصدر - ط (٣) دار الفكر - بيروت سنة ١٩٧٠ م.
- * قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر - تأليف د. حسن حنفي - ط (٣) دار الفكر العربي سنة ١٩٨٨ م.
- * مبادئ الفلسفة - ديكرات - ترجمة د. عثمان أمين - ط دار الثقافة سنة ١٩٧٤ م.
- * مدخل نقدي لدراسة الفلسفة - تأليف د. محمد عبد الله الشرقاوي - ط مكتبة الزهراء سنة ١٩٨٨ م.
- * مذهب ذوي العاهات - تأليف الأستاذ عباس العقاد - القاهرة سنة ١٩٧٧ م.
- * مذاهب فكرية معاصرة - تأليف أ. محمد قطب - ط (٨) دار الشروق سنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.
- * مقالات في الإسلام والشيعوية - تأليف د. عبد الحليم محمود - ط دار المعارف سنة ١٩٨٣ م.

- * مقال عن المنهج - تأليف رينيه ديكرت - ترجمة محمود محمد الحضيبي - مراجعة وتقسيم د. محمد مصطفى حلمي - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.
- * من أجل انطلاقة حضارية شاملة - تأليف د. عبد الكريم بكار - ط (١) دار المسلم - الرياض سنة ١٤١٥هـ.
- * منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوربية الحديثة والمعاصرة في الجامعة - تأليف د. أبو الوفا التفتازاني - ضمن أبحاث في الفكر الفلسفي - ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة ١٣٩٧هـ.
- * الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - إشراف د. مانع بن حماد الجهني - ط (٣) دار الندوة العالمية للطباعة سنة ١٤١٨ هـ.
- * نحن والحضارة الغربية - تأليف أبو الأعلى المودودي - ط دار الفكر بيروت.
- * نظرات في المنطق الحديث ومناهج البحث - تأليف د. محمد الأنور حامد - ط (٢) دار الطباعة المحمدية سنة ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م.
- * نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام - تأليف ماهر خليل - ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- * نقد الثقافة الإلحادية - تأليف د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم - ط (١) دار هجر سنة ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٥م.
- * الوجودية - تأليف جونو ماكوري - ترجمة د. إمام عبد الفتاح - مراجعة د. فؤاد زكريا - ط دار الثقافة سنة ١٩٨٦م.
- * يتابع الفلسفة الغربية - تأليف د. محمد رشاد دهمش - ط (١) القاهرة سنة ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م.

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	رسالة إلى الدارس
٤	لوحة المسار لدراسة الكتاب
٥	خريطة مكونات الكتاب
٦ - ٨	مقدمة
٩ - ٩٣	القسم الأول: نشأة الفلسفة الغربية وسماها وموقف المسلمين منها.
١١ - ٣٧	الوحدة الأولى: لمحة عن تاريخ الفلسفة الغربية
١٢	ميررات دراسة الوحدة
١٣	الأهداف التعليمية للوحدة
١٤	الرسم الخطي للوحدة الأولى
١٥	أولاً: مفهوم الفلسفة الغربية
١٧	ثانياً: جذور الفلسفة الغربية
١٨	ثالثاً: فلسفة العصور الوسطى
٢١	رابعاً: عصر النهضة
٢٦	خامساً: الفلسفة الحديثة
٢٨	سادساً: الفلسفة المعاصرة
٣٠	خلاصة الوحدة الأولى
٣٣	الاختبار البعدي للوحدة الأولى
٣٧	النشاط التعليمي للوحدة الأولى

٥٨-٣٩	الوحدة الثانية: سمات الفلسفة الغربية
٤٠	ممرات دراسة الوحدة
٤١	الأهداف التعليمية للوحدة
٤٢	الرسم الخطي للوحدة
٤٣	أولاً: سمات الفلسفة الحديثة
٤٦	ثانياً: سمات الفلسفة المعاصرة
٥٠	خلاصة الوحدة الثانية
٥٢	الاختبار البعدي للوحدة الثانية
٥٧	النشاط التعليمي للوحدة الثانية
٨٨-٥٩	الوحدة الثالثة: قضية التأثير والتأثر بين المسلمين وفلاسفة الغرب
٦٠	ممرات دراسة الوحدة
٦١	الأهداف التعليمية للوحدة
٦٢	الرسم الخطي للوحدة
٦٣	أولاً: تأثر فلاسفة الغرب بجهود المسلمين العلمية والفكرية.
٧٠	ثانياً: تأثر المسلمين بالفكر الغربي المعاصر
٧٥	ثالثاً: نقد الفلسفة الغربية إجمالاً من منظور إسلامي .
٨١	رابعاً: تقوم دراسة المسلمين للفلسفة الغربية
٨٤	خلاصة الوحدة الثالثة
٨٩	الاختبار البعدي للوحدة الثالثة
٩٣	النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

٢١٦-٩٤	القسم الثاني: أهم تيارات الفلسفة الغربية
١٣٤-٩٥	الوحدة الأولى: الفلسفة التجريبية الحديثة
٩٦	ميررات دراسة الوحدة
٩٧	الأهداف التعليمية للوحدة
٩٨	الرسم الخطي للوحدة
٩٩	أولاً: مفهوم الفلسفة التجريبية
١٠٠	ثانياً: رواد الفلسفة التجريبية وآراؤهم
١٠١	١- فرنسيس بيكون
١١٠	٢- جون لوك
١١٣	٣- ديفيد هوم
١١٦	ثالثاً: تقويم الفلسفة التجريبية من منظور إسلامي
١٢٣	خلاصة الوحدة الأولى
١٢٨	الاختبار البعدي للوحدة الأولى
١٣٣	النشاط التعليمي للوحدة الأولى.....
١٧٠-١٣٥	الوحدة الثانية: الفلسفة العقلية الرياضية الحديثة ...
١٣٦	ميررات دراسة الوحدة
١٣٨	الأهداف التعليمية للوحدة
١٣٩	الرسم الخطي للوحدة
١٤٠	أولاً: مفهوم الفلسفة العقلية الرياضية
١٤٢	ثانياً: رواد الفلسفة العقلية الرياضية وآراؤهم
١٤٢	١- رينيه ديكارت
١٤٨	٢- باروخ سبينوزا

١٥٣	٣- جوتفريد ليننتر
١٥٦	ثالثاً: تقويم الفلسفة العقلية الرياضية من منظور إسلامي
١٦١ خلاصة الوحدة الثانية
١٦٥ الاختبار البعدي للوحدة الثانية
١٧٠ النشاط التعليمي للوحدة الثانية
١٧١-٢١٦ الوحدة الثالثة: الفلسفات الأوربية المعاصرة
١٧٢ مبررات دراسة الوحدة
١٧٤ الأهداف التعليمية للوحدة
١٧٥ الرسم الخطي للوحدة
١٧٦ أولاً: الفلسفة المثالية
١٧٩ ثانياً: الفلسفة الوضعية وأقسامها
١٨٩ ثالثاً: الفلسفة النفعية
١٩٢ رابعاً: الفلسفة الذرائعية (الرجماتية)
١٩٥ خامساً: الفلسفة الجنسية (الفرويدية)
١٩٩ سادساً: الفلسفة الوجودية
٢٠٦ خلاصة الوحدة الثالثة
٢١٢ الاختبار البعدي للوحدة الثالثة
٢١٦ النشاط التعليمي للوحدة الثالثة
٢١٧-٣٣٧ القسم الثالث: الماركسية الشيوعية
٢١٨-٢٣٨ الوحدة الأولى: توضيح لأهم مصطلحات الماركسية
 الشيوعية
٢١٩ مبررات دراسة الوحدة

٢١٩ ميررات دراسة الوحدة
٢٢٠ الأهداف التعليمية للوحدة
٢٢١ الرسم الخطي للوحدة
٢٢٢ ١- الماركسية
٢٢٣ ٢- الشيوعية
٢٢٤ ٣- الاشتراكية
٢٢٥ ٤- الرأسمالية
٢٢٦ ٥، ٦ البلشفية، البروليتاريا
٢٢٧ ٧- البرجوازية
٢٢٨ ٨، ٩ الأيديولوجيا، الشيوعية الأولى
٢٢٩ ١٠، ١١ الملكية الفردية، الصراع الطبقي
٢٣٠ ١٢- الإلحاد
٢٣٢ خلاصة الوحدة الأولى
٢٣٤ الاختبار البعدي للوحدة الأولى
٢٣٧ النشاط التعليمي للوحدة الأولى
٢٣٩-٢٦٧	الوحدة الثانية: مصادر الماركسية الشيوعية وأعلامها
 ونشأتها
٢٤٠ ميررات دراسة الوحدة
٢٤١ الأهداف التعليمية للوحدة
٢٤٢ الرسم الخطي للوحدة
٢٤٣ مصادر الماركسية الشيوعية
٢٤٨ أعلام الماركسية الشيوعية

٢٤٨	١- كارل ماركس
٢٤٩	٢- فردريك إنجلز
٢٥٠	٣- لينين
٢٥١	٤، ٥ ستالين، تروتسكي
٢٥٢	نشأة الماركسية الشيوعية على أيدي اليهود
٢٦٠	خلاصة الوحدة الثانية
٢٦٣	الاختبار البعدي للوحدة الثانية
٢٦٦	النشاط التعليمي للوحدة الثانية
٣٠٥-٢٦٨	الوحدة الثالثة: المادية الجدلية والمادية التاريخية
٢٦٩	مبررات دراسة الوحدة
٢٧٠	الأهداف التعليمية للوحدة الثالثة
٢٧١	الرسم الخطي للوحدة الثالثة
٢٧٢	أولاً: المادية الجدلية
٢٧٣	ثانياً: المادية التاريخية
٢٨٢	ثالثاً: نقض المادية الجدلية التاريخية
٢٩٥	خلاصة الوحدة الثالثة
٣٠٠	الاختبار البعدي للوحدة الثالثة
٣٠٥	النشاط التعليمي للوحدة الثالثة
٣٣٧-٣٠٦	الوحدة الرابعة: الإنسان والدين في نظر الماركسيين
٣٠٧	مبررات دراسة الوحدة
٣٠٩	الأهداف التعليمية للوحدة
٣١٠	الرسم الخطي للوحدة

٣١١ أولاً: نقض التفسير المادي للإنسان
٣١٤ ثانياً: نقض التفسير المادي للقيم الإنسانية
٣١٩ ثالثاً: نقض التفسير المادي للدين
٣٢٩ خلاصة الوحدة الرابعة
٣٣٣ الاختبار البعدي للوحدة الرابعة
٣٣٧ النشاط التعليمي للوحدة
٣٣٨ قائمة المراجع
٣٤٣ الفهرس

طبع بمطابع

إفازوق الحديثة للطباعة والنشر

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨

القاهرة